جامعة الجزائر

معهد التاريخ

دور أسرة البرامكة
في
تاريخ الخلافة العباسية

(رسالة ماجيستير في التاريخ الاسلامي)

يقدمها :

الطالب قويدر بشار

تحت إشراف :

الاستاذ الدكتور موسى لقبال

أستاذ التاريخ الاسلامي والوسيط بجامعة الجزائر

السنة الجامعية 1985 ـ 1986

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بهذه المناسبة لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى المشرف الدكتور موسى لقبال لتوجيهاته السديدة، وإرشاداته القيمة التي لولاها لما أضحى هذا البحث على هذا المستوى من الاعداد.

الطالب

قويدر بشار

مقدمة

يعتبر تاريخ الخلافة الاموية (41ـ 132هـ/ 661ـ749م) ،مرحلة هامة في بناء الدولة الاسلامية ،استمرت فيها عملية الاحتكاك الحضاري بين حضارة العرب ومبادئ الاسلام اولا وبين حضارات الشعوب الاخرى من جهة ثانية .

وكان دور الامويين هاما في تنظيم هذا التفاعل الحضاري وتوجيهه لخدمة بناء الدولة وارساء قواعد نظامها ،وتظهر اهمية ذلك بشكل عام في ما شيد من مشاريع حضارية واساليب وتنظيمات الخلفاء الامويين التي انتهجوها للتكيف مع مقتضيات الظروف المستجدة في انماط الحياة الناتجة عن عمليات الامتزاج البشري بعد توسع حركات الفتح الاسلامي في عهدهم .

وبغض النظر عن نجاحهم في اكثر المسائل حيوية واخفاقهم في بعضها الا ان الثابت انها واجهتهم مظاهر معقدة ،طرحت على ادارتهم قضايا حضارية ذات ابعاد متشعبة لم يكن بوسعهم وقتذاك التغلب عليها .

ان عجزهم هذا قد سمح لبعض المؤرخين باعطاء ارائهم ،حول اسبابه والظروف التي تحكمت فيه ،انطلاقا من محاولتهم تفسير عوامل نجاح خصومهم العباسيين في القضاء عليهم سنة 132هـ/ 749م .

واظن ان جل هذه الاراء قد ركزت على اخفاق الامويين في تحقيق المساواة بين العناصر الاجتماعية المكونة لدولتهم ،بدعوة ان خلفائهم العباسيين قد نجحوا في ذلك اثناء تنظيم الثورة وبعدها .

ولذلك فقد شاع وصف الخلافة الاموية بالدولة العربية " لاعتمادها على العنصر العربي في التسيير ، وفرضها اللغة العربية كأداة للتعامل والتعبير في كامل انحاء الدولة .

ويبدوا ان هذا الاختصاص قد كان سبب تحامل الكثير من المؤرخين على الامويين حيث ،وصفوهم بأشنع الاوصاف ،ونسبوا اليهم التعسف والظلم وسوء التدبير واتهموهم

بمخالفة الشريعة الاسلامية لاحتقارهم العناصر غير العربية في دولتهم
واحسب ان أول من طرح هذه التفسيرات ،جماعة من المستشرقين
امثال " فرانسيسكو غابريلي (FrancescoGABRIELI) (1) ،برنارلويس Bernard LEWIS (2) ودومنيك سورديل DominiqueSOURDEL (3) وغيرهم (4) •
وتبعهم في ذلك كثير من المؤرخين العرب (5) •

(1)Frèncesco GABRIELI .LES ARABES.Traduit de l'Italien par Marie De Wasmer.Editions Buchet Chastel.Paris 1968.PP.99-100.
(2)Bernard LEWIS.LES ARABES DANS L'HISTOIRE.Traduit de l'anglais par Annie Mestritz,éditions de laBaconnière,Neuchatel Suisse 1958.PP.68-68.
(3)Dominique SOURDEL. HISTOIRE DES ARABES.Que sais-je?N°27068 Deuxième édition corrigée.Imprimerie des Presses Universitaires de France.Paris .1980.PP.45-49.
(4)Van Volten.

Welhausen

(5) — فانفلوتن ،
السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ،ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ،العالم الاسلامي ، ط2 ،القاهرة ،1965/ ص21 ،35 ،134 ،135
فالهوزن ،
تاريخ الدولة العربية الى نهاية العصر الاموي ،ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة سلسلة الالف كتاب ،القاهرة ،1958م ، هنا وهناك • وللكتاب ترجمة اخرى بعنوان ، السيادة العربية وسقوطها ،قام بها يوسف العش ، دمشق ،1956م
ي بلياييب ،
العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، الدار المتحدة للمشر ، بيروت ، 1973م ، ص 242 — 251•
فيليب حتي ،
العرب تاريخ موجز ،ط 4 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1968م ،ص 103—104
جورجي زيدان ،
تاريخ التمدن الاسلامي ،بدون تاريخ ، ج 4 ، (ص90 ،99— 101 •
محمد بديع سريف ،
الصراع بين الموالي والعرب ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1954،هنا وهنا ك =

بمخالفة الشريعة الاسلامية لاحتقارهم العناصر غير العربية في دولتهم
واحسب ان اوّل من طرح هذه التفسيرات ،جماعة من المستشرقين
امثال " فرانسيسكو غابريلي (FrancescoGABRIELI)(1) ،برنارلويس Bernard LEWIS (2)ودومنيك سوردييل DominiqueSOURDEL (3)وغيرهم (4) •
وتبعهم في ذلك كثير من المؤرخين العرب (5) •

(1)Frèncesco GABRIELI .LES ARABES.Traduit de l'Italien par Marie De Wasmer.Editions Buchet Chastel.Paris 1968.PP.99-100.
(2)Bernard LEWIS.LES ARABES DANS L'HISTOIRE.Traduit de l'anglais par Annie Mestritz,éditions de laBaconnière,Neuchatel Suisse 1958.PP.65-68. a
(3)Dominique SOURDEL. HISTOIRE DES ARABES.Que sais-je?N°27068 Deuxième édition corrigée.Imprimerie des Presses Universitaires de France.Paris .1980.PP.45-49.
(4)Van Volten.

Welhausen

(5)— فانفلوتن ،
السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني امية ،ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ،العالم الاسلامي ، ط2 ،القاهرة ،1965/ ص21 ،35 ، 134 ، 135
فالهوزن ،
تاريخ الدولة العربية الى نهاية العصر الاموي ،ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة سلسلة الالف كتاب ،القاهرة ،1958م ، هنا وهناك • وللكتاب ترجمة اخرى بعنوان ، السيادة العربية وسقوطها ،قام بها يوسف العش ، دمشق ،1956م
ي بلياييب ،
العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ،الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، 1973م ، ص 242 — 251•
فيليب حتي ،
العرب تاريخ موجز ،ط 4 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1968م ،ص 103—104
جورجي زيدان ،
تاريخ التمدن الاسلامي ،بدون تاريخ ، ج 4 ، (ص90 ،99— 101 •
محمد بديع شريف ،
الصراع بين الموالي والعرب ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1954،هنا وهنا ك =

واحسب ان آراء هؤلاء المؤرخين كانت متسرعة ، وغير موضوعية في اغلب جوانبها اذ ما لبثت ان ابطلها باحثون تطورت اصول النقد لديهم (1) ، فضلا عن اكتشافهم لمخطوطات (+) ، اضافت للمادة التاريخية رصيدا هاما من المعارف ، ساهمت في توضيح رؤيتهم وتصحيح اخطاء سلفهم .

- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي ، (العصر العباسي) ، ط 7 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964م ، ج2 ، ص12ـ19 .
علي حشن خربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، طبعة دار المعارف ، مصر 1959م ، هنا وهناك .
احمد المختار العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1972م ، ص14ـ 16 ، ومحمد حلمي محمد احمد ، الخلافة والدولة في العصر العباسي ، ط2 ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1398هـ/1978م ص36ـ77 .
احمد علبي ، انتقال السلطة من الامويين الى العباسيين ، مجلة (الباحث) ، السنة الثالثة ، عدد 15 ، 1981م ، ص 117ـ 138 .
ثريا حافظ عرفة ، الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الاول ، ط 1 ، جدة ، 1402هـ/1982م ، ص11
(1) -CL, CAHEN? *Poin de vue sur la revolution Abbasside,* (RevueHistorique) , 1963.

كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين قاسم ، ط 2 ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1977 ، 43 ومابعدها .
- *Daniel DENNET*
دانييل دينيت
الجزية والاسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت بدون تاريخ ، ص29 ، ومابعدها .
Hamilton GEEB.
هاملتون جب
دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس وآخرون ، دار العلم للملايين بيروت ، 1384هـ/ 1964م ، ص13 .
(+) انظر الفصل الاول ، نقد المصادر .

وتجب الاشارة هنا ان اغلب المؤرخين المسلمين القدماء لم يعطوا تفسيرات واضحة عن سياسة الامويين تجاه العناصر غير العربية المسمين عادة باسم " الموالي "(+)، ولا نقدا لاساليبهم عدا جمعهم لروايات كثيرة عن الادوار البارزة التي حدثت في عهدهم ، وان ذكروا بعض التعاليق فهي رغم قلتها لا تعدو ان تكون نابعة من ميولهم المتعددة مع احتمال تصرفهم في انتقاء الروايات وتجنب ما من شأنه المساس بشعور العباسيين وهم على رأس السلطة وقت كتابة هؤلاء المؤرخين للاحداث (1) .

والرائج ان اشكالية القضايا الإجتماعية المعقدة التي اعجز الامويين حلها ، و كانت سببا في تعجيل سقوطهم لم يطرحها المؤرخون الا في المناطق الفارسية وفي " خراسان " (++) ،على وجه التحديد ، بدعوة ان سكان هذا الاقليم كانت فكرة الشعور القومي والاعتزاز بالكيان متفشية في اغلب عناصرهم ،لذلك كانوا يناصبون العداء والكره لسياسة الامويين العربية ،وانهم على اسقاطهم ،واقامة الخلافة العباسية اثر سلسلة من المعارك استمرت فيما بين عامي (129 ـ 132هـ / 746 ـ 749م)

(+) ـ الموالي ،حسب مايفهم من مصادر التاريخ الاسلامي هم المسلمون من غير الجنس العربي ،وبمقتضى الشريعة الاسلامية كان هؤلاء الموالي يقفون على قدم المساواة التامة مع اخوانهم العرب المسلمين ،والمؤكد ان اغلب الموالي قد نظموا حياتهم الاجتماعية بانظمامهم الى اقوى القبائل العربية للتأقلم مع عاداتهم واساليبهم في الحياة ،ولذلك كان نشاط هؤلاء الموالي اشد الارتباط بالقبائل العربية التي انظموا اليها . انظر ما سيأتي ،

(1) ـ اغلب مصادر التاريخ الاسلامي كانت قد كتبت من طرف مؤرخين عاشوا في فترات من تاريخ الخلافة العباسية ،وكان بعضهم موظفين في اداراتها انظر ، الفصل الاول ،نقد المصادر

(++) ـ خراسان ،يعطي الجغرافيون العرب القدماء حدودا واسعة جدا لمنطقة خراسان تكاد تشمل اغلب مناطق شرقي الخلافة العباسي فهي " ... اول حدودها مما يلي العراق ، ... وآخر حدودها مما يلي الهند " ،انظر الفصل الثاني ،ص

واظن ان هذه التفسيرات التي تبناها بعض المستشرقين ، وتبعهم في ذلك بعض المؤرخين العرب ، كانت وليدة نمو التيار القومي في اوروبا وتاثر هؤلاء بافكارهم . والملاحظ ان مثل هذه الافكار الجاهزة قد فشل توظيفها لتفسير التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى للاسباب التالية ،

اولا ، ان منطقة خراسان وغيرها من اقاليم الحدود الشرقية للخلافة الامية قد عرفت هجرات عديدة للعناصر العربية بهدف الاستقرار هناك منذ الفتح الاسلامي لها ، واستقطبت امتزاجا عربيا اعجميا بشكل ملحوظ ، يجعل من حفاظ السكان على نقاء انتمائهم العنصري والولاء له امرا صعب الحدوث (1) .

وان اغلب الانتفاضات التي كانت تقوم بين الحين والآخر ضد السياسة الاموية كانت تعبيرا عن استياء يشترك فيه العرب والعجم دفاعا عن مصالح مادية لا صلة لها بالجانب العنصري .

ثانيا ، ان اتهام المؤرخين للامويين بالوقوف امام التطور لحرمانهم العناصر غير العربية من الرقي وتحسين اوضاعهم الاجتماعية ، كان يعتمد على تصرفات شاذة لبعض الشخصيات الاموية املته ظروف معينة دون النظر الى القواعد الاساسية التي تتحكم في النظام الاموي ، واعطاء البعد الشامل لطبيعة الاحداث .

والواضح ان تلك التصرفات الشاذة كانت مرتبطة بخلفيات تاريخية وحضارية لا دخل لها بادارة الخلفاء الامويين واساليب نظامهم ، وتتجلى في محاولات

---

(1) ـ انظر ، شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الاول ، نشاتها ، مقوماتها ، تطورها اللغوي والادبي (دراسة جامعية) ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1398هـ/ 1978 م ، ص72 ـ 113 ، عبد اله مهدي الخطيب ، الحكم الاموي في خراسان (الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي 96 هـ ـ 127هـ) ، (رسالة جامعية) ، قدمت لجامعة الازهر ، مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل ، الفصل الاول خاصة ، سامية توفيق عبد الله ، الحياة السياسية في خراسان من بداية العصر العباسي حتى اواخر القرن الثالث الهجري ، (رسالة جامعية) ، القاهرة ، 1399هـ/1979 م ، الباب الاول ، ثريا حافظ عرفة ، الخرسانيون ودورهم في العصر العباسي الاول ، (رسالة جامعية) ، ط1 ، جدة ، 1402 هـ/ 1982 م ، ص19 ، صالح احمد العلي ، استيطان العرب في خراسان ، مجلة (كلية الآداب ـ بغداد) ، سنة 1959 ، عبد العزيز الدوري ، نظام الضرائب في خراسان ، مجلة (كلية الآداب ـ بغداد) ، سنة 1964م ص75 ـ 88 .

الامتزاج بين المفاهيم القبلية ومبادئ الاسلام في الدولة الاسلامية الحديثة وقد كانت العملية تتناسب طردا ، اذ كلما تغلغلت المبادئ الاسلامية وتمثلتها العناصر الاجتماعية في سلوكها واساليب حياتها كانت نزعة التاكيد على المساواة بين افراد المجتمع خير ضمان للفرد وللجماعة في الكيان الاجتماعي (1) .

واذا كان العنصر العربي قد اعتز بالفروسية والجهاد شعورا منه بحمل رسالة الى البشرية ، واحتقر الحرف وما يتصل بها ، التى كانت تمارس من طرف " الموالي " فان ذالك لم قاعدة عامة يحكم من خلالها على نظام دولة باكملها .

والمؤكد تاريخيا ان العناصر غير العربية في تاريخ الخلافة الاموية قد افسح لها المجال في المشاركة في اكثر المسائل الحيوية ذات الاتصال المباشر بامن الدولة ومستقبلها ، مما يدل على النظرة الموضوعية لطبيعة التطور الاجتماعي عند الامويين .

ثالثا ، ان شعارات الثورة العباسية التي كان من ضمنها الاصلاح الاجتماعي والمساواة بين الافراد لا يمكن ان تفسر بانها تعبير عن نزعات قومية ضد سيادة العنصر العربي كما اشاعها " المستشرقون " ومن تبعهم بقدر ما تعني من جهة تفهما اكثر من طرف العباسيين للمشاكل الاجتماعية المطروحة ، ومن جهة اخرى دليلا على وعيهم للعناصر التي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق النصر على خصومهم الامويين .

رابعا ، ان اثبات اصالة الثورة العباسية

---

(1) ـ انظر ، عبد العزيز الدوري ، مقدمة في صدر الاسلام ، ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1381 هـ / 1961 م ، ص 66 وما بعدها ، و ، نجده خماش ، الادارة في العصر الاموي ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1400 هـ / 1980 م ، ص 342 .

وعروبتهـــا (1) ،لا ينفي الدور المشترك الذي مثلته بقية العناصر غير العربية للوصول الى الامال المنشودة في المساواة واعادة الاعتبارات لكل فرد بغض النظر عن انتمائه العرقي .

خامسا ،اذا كانت المشكلة الاجتماعية في الخلافة الاموية قد نالت هذا الاهتمام في احداث سقوط الامويين ونجاح العباسيين ،فالى اي مدى كان تفهمها في المرحلة الاولى من تاريخ الخلافة العباسية ؟ هل كان العنصر العربي وغير العربي اللذان اشتركا في العداء ضد الامويين قد اتفقا في جوهر التطور واساليبه بعد القضاء على الخصم المشترك ؟ ام كان هدف وطموح كل طرف يتعارض مع الآخر؟ وهل كان العباسيون الذين ارتقوا الى سدة الخلافة على حساب الامويين اوفياء في تطبيق المبادىء التي نادوا بها ، ام كانت شعارات اقتضتها مصلحة العمل الثوري .

وسوف نسبق الاحداث عندما نقول ان العباسيين قد تداركوا المساوىء الجوهرية لكثير من القضايا الاجتماعية وباشروا الاصلاح ،لكن المسالة المطروحة ،هل استطاعوا ان يوفقوا في مزج العناصر البشرية في دولتهم ضمن منظور اجتماعي هادف حقق التطور الحضاري للمجتمع الاسلامي ام لا ؟ واذا كانوا قد وفقوا فما نسبة هذا التوفيق ؟ والى اي مدى وصل ذالك ؟ واخيرا هل سار هذا

---

(1) ـ انظر الدراسات الكثيرة التي قام بها الدكتور " فاروق عمر " من اجل اثبات عروبة الثورة العباسية في ، طبيعة الدعوة العباسية (98ـ132هـ) ، ط1 ،دار الارشاد ،بيروت، 1389 هـ/ 1970 م ص83 وما بعدها . نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة الدعوة العباسية ،مجلة (كلية الاداب ـ الرياض) سنة 1969 م ،تقديم جديد للثورة العباسية ،مجلة (جمعية التاريخ الاثرية) سنة 1969 م ،الثورة العباسية ثورة عربية ،مجلة الشرطة) ،عدد 19/20 ، سنة 1971، م و ،عبد العزيز الدوري ،مقدمة هناو هناك، و ، نبيه عاقل ،بعض احداث الدولة العباسية والدور العباسي الاول من خلال منظور عنصري واقتصادي واجتماعي ،مجلة (دراسات تاريخية) ،عدد ، 4 ،سنة 1401 هـ / 1981 م ،ص 63ـ 84 .

التطور بشكل طبيعي ومتواتر ام افرز اعراضا جديدة منتظرة اوغير منتظرة ، وما فعاليتها في التطور الاجتماعي والسياسي للدولة ؟ وكيف واجهه الخلفاء العباسيون ؟

ان الاجابة عن هذه الاشكاليات ليست سهلة في نظري الا بالاعتماد على تتبع الاحداث وفحص الروايات التاريخية فحصا دقيقا خلال الفترة الاولى - على الاقل - من حكم العباسيين .

ولتجنب طابع التعميم والابتعاد عن الحكم السريع على الاحداث، رايت ان اتتبع طبيعة التطور الحضاري للخلافة العباسية في مرحلتها الاولى ، باخذ نموذج من كيان العنصر غير العربي في المجتمع العباسي ظهر لي من خلال تطور اسرة " البرامكة " في العصر العباسي ، واخترتها موضوعا لرسالتي تحت عنوان "دور اسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية" .

ان الموضوع الذي اتناول البحث فيه لا يهدف فقط الى تتبع اخبار هذه الاسرة ذات النفوذ الواسع في عهد الخليفة "هرون الرشيد" (170 - 193 هـ/ 786 - 808م) وانما يمثل ايضا حلقة من حلقات التاريخ الاسلامي في المشرق التي برز فيها التفاعل الحضاري و الرقي الاجتماعي بشكل واضح .

ولموضوع الدراسة اتصال وثيق بهذه الحلقة ولعله النموذج الواضح الذي يمثل من جهة اوجه برامج الاصلاح في الخلافة العباسية الجديدة ومن جهة اخرى يوضّح فعالية العناصر غير العربية في مجتمع العباسيين وآثار ذلك في تاريخ الدولة الاسلامية .

ويرجع سبب اختياري "اسرة البرامكة" موضوعا لدراستي الى عدة اعتبارات يمكن ايجازها فيما يلي ،

اولا ، ان هذه الاسرة تمثل اهم مظاهر من مظاهر التطور السياسي والاجتماعي الذي دعا اليه الراي العام وقتذاك •
ثانيا ، انها تمثل بوضوح مبلغ ما وصلت اليه العناصر غير العربية في تطور الدولة الاسلاميه •
ثالثا ، ان البرامكة يعبرون بدقة عن مظاهر الافرازات الخطيرة على مستقبل السياسة العربية والاسلامية في تاريخ الخلافة العباسية التي انفتحت لكثير من العناصر البشرية المختلفة وابدت تسامحها وتعاونها معها في ظل الحرية والمساواة •

وتجب الاشارة الى ان دور افراد هذه الاسرة في الدولة لم يبرز بشكل فعال الا في احداث الثورة العباسية ضد الحكم الاموي في المشرق ، حين اندمجوا في تيارها ، ثم اخذوا في التكيف مع المعطيات الجديدة للمجتمع الاسلامي في ظل العباسيين حيث تدرج افرادها في الوظائف السامية للدولة حتى صاروا يمثلون " دولة داخل دولة " ثم اختفوا فجاة من مسرح الاحداث

ان هذا الاختفاء غير المتوقع لهذه الاسرة وما ترتب عنه من احداث لا يزال يطرح غموضه وتناقضه على المؤرخين بسبب تشتته بين تيارات متناقضة في رؤيتها لبرنامج الاصلاح الاجتماعي المتبع من قبل العباسيين خلال المرحلة الاولى من تاريخ حكمهم •

وللباحث في مواقف المؤرخين من اسرة " البرامكة " وانقسامهم ما بين مادح مستفيض في المدح وقادح مغرق في القدح ، خير دليل على عدم وحدة الموقف وتباين الآراء وفق الاهواء •

والمصالح التي كانت ممثلة من طرف العناصر البشرية، في المجتمع العباسي .

ويبدو ان محاولة الاعتماد على المصادر التاريخية التي اولت عنايتها بمسالة اسرة "البرامكة" ، لا يؤدي الا الى نتائج سطحية ومتضاربة ، ولذلك فانه من الضروري فحص الروايات التاريخية والادبية للعصر العباسي الاول ، وملء فراغها بالاستنتاجات المنطقية المجرّدة من النظرة العنصرية لحوادث التاريخ حتى نصل الى تفسيرات موضوعية لطبيعة احداث هذه المرحلة الهامة من تاريخ الدولة الاسلامية .

وقد كان هذا المنهج هو الذي حاولت القيام به اثناء تحضيري لهذه الرسالة ، فمهدت لها بمقدمة تناولت فيها اشكالية الاحتكاك الحضاري ومحاولات الامتزاج البشري بين عناصر المجتمع الاسلامي واثره في تاريخ الخلافة الاموية ، حتى اتمكن من متابعة اجراءات الخلفاء العباسيين في معالجة هذه الظاهرة وخصصت فصلين تمهيديين ، الاول ، لنقد المصادر والمراجع المعتمد عليها بينت فيه ابرز من ارخوا لهذه الفترة ، ونظمتهم لا على الترتيب الابجدي لاسماء المؤلفين ، وانما على حسب قربهم وبعدهم من تاريخ المرحلة التي ابحث فيها ، واعطيت فكرة عن كل مؤلف لبيان منهجه في كتابته للتاريخ واهمية المادة التاريخية التي اوردها .
والفصل الثاني ، خصصته لـ "اصل اسرة البرامكة وعلاقتها بالدولة الاسلامية" ، بحثت فيه الجذور التاريخية لهذه الاسرة ومجمل نشاطها قبل الاسلام ، وموقفها منه ، وعلاقتها بالخلفاء حكام الدولة الاسلامية ، والادوار التي لعبها افراد هذه الاسرة

سواء في عهد الخلفاء الراشدين او الامويين •

اما الفصل الثالث فقد عنونته ب "علاقة اسرة البرامكة بالخلافة العباسية" بينت فيه صلة هذه الاسرة بأحداث الثورة العباسية ، وكيف اوصلتهم الى خدمة الخلفاء العباسيين "ابي العباس والمنصور و المهدي و الهادي" حتى اتمكن من توضيح وفهم اسباب وصولهم الى قمة الوظائف السامية في الفترة الموالية التي خصصت لها الفصل الرابع تحت عنوان "دور اسرة البرامكة السياسي في عهد الرشيد" ، وهي فترة نفوذهم الواسع في ادارة الدولة التي مكنتهم من القيام بادوار هامة في مختلف المجالات ، لذا لك حاولت توضيح هذه الادوار في الفصلين الخامس والسادس ، ويحمل الفصل الخامس عنوان "دور اسرة البرامكة في الميدان الاقتصادي" ، بينت فيه تحكم البرامكة في بيت المال وتصرفهم في اموال الدولة واجراءاتهم في ميدان الضرائب والاصلاح الزراعي •

اما الفصل السادس فقد حاولت فيه توضيح "دور اسرة البرامكة في الميدانين الاجتماعي والثقافي" وذلك عن طريق تحديد مستواهم الاجتماعي وحياتهم اليومية موضحا طبيعة علاقتهم بالمجتمع والمهام التي كانوا يمارسونها تجاههم خاصة تجاه جمهور المثقفين والشعراء الذين نالوا حظا كبيرا من اهتمام البرامكة ، مما كان له الاثر الكبير في نمو الحركة الثقافية في عهدهم •

وحاولت توضيح الدور الذي مثله البرامكة على المستوى الحضاري للدولة الاسلامية في الفصل السابع الذي يحمل عنوان "البرامكة بين الشعوبية والزندقة" تناولت فيه سعي هذه الاسرة الى تقريب العناصر الفارسية واستلائهم على المناصب الحساسة في الدولة من اجل ازاحة

العناصر العربية وذلك ضمن مخطط خطير هدد كيان الدوله حين تطرف هؤلاء الفرس تطرفا كبيرا وذلك باحياء تراثهم القديم وبعث مذاهبهم المخالفه للعرف العربي والدين الاسلامي .

وخصصت الفصل الاخير وهو الثامن "نكبة البرامكة وآثارها تكلمت فيه عن الاجراءات والتجاوزات التي مارسها البرامكة ، وكانت سببا في اثارة الشكوك حولهم وادت في الاخير الى سقوطهم .

وانهيت رسالتي بخاتمة ، اوجزت فيها مجمل استنتاجاتي عن دور هذه الاسرة ، وعلاقة ذالك بطبيعة التطور لمجتمع الخلفاء العباسيين الاوائل .

وفي الاخير ، يجدر بي ان اتوجه بالشكر الجزيل الى المشرف الاستاذ الدكتور "موسى لقبال" الذي اخرج معي هذه الرسالة بهذا الشكل ، وقد بذل مجهودا كبيرا في تقويم اخطائي ، كما له الفضل في تركيز معلوماتي بتوجيهه لي الى القيام برحلات الى الخارج تمكنت خلالها من الاتصال بعدة مؤرخين متخصصين اذكرمنهم ، الدكتور "عبد المنعم ماجد " استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس بالقاهرة ، و الدكتور " محمود اسماعيل " ، استاذ التاريخ الوسيط والاسلامي بنفس الجامعة ايضا ، و الدكتور " محمد جمال الدين سرور" استاذ التاريخ بجامعة القاهرة ، و الدكتور "عصام الدين عبد الرؤف" استاذ التاريخ الاسلامي بنفس الجامعة ايضا .

وفي جامعة الازهر ، كلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة اتصلت بـ "الدكتور حسين محمد عبد الله المنيدي " استاذ التاريخ الاسلامي ، والدكتور " السيد محمّد الدقن " استاذ التاريخ العربي الحديث بنفس الجامعة ايضا

وخلال زيارتي للجمهورية العربية السورية للاستفادة بما في مكتبة "الظاهرية " ، و "المركز الثقافي الفرنسي " من مخطوطات ومصادر ، تمكنت من الاتصال بـ "الدكتور سهيل زكار "الذي وضع مكتبته الخاصة تحت تصرفي خلال اقامتي الطويلة بـ "دمشق " وفي قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة دمشق ، تقابلت مع الدكتورة "ليلى الصباغ"

والدكتور " محمد خير فارس" الاستاذ بنفس الجامعة ، الذي اتصلت عن طريقه بالدكتور "عبد العزيز الدوري " المختص في التاريخ العباسي والاستاذ بالجامعة الاردنية الآن .

وفي الاخير اشير الى ان زياراتي لم تقتصر على الاتصال بالاساتذة الاجلاء فحسب ، بل كانت بالنسبة لي فرصة للاطلاع على اغلب الرسائل الجامعية التي تدور مواضيعها حول التاريخ الاسلامي عامة والتاريخ العباسي خاصة ، ويرجع الفضل في ذلك الى الاستاذ المشرف الدكتور " موسى لقبال " الذي طلب مني استقراء كاملا وفحصا دقيقا لما كتب في تاريخ العباسيين في جامعات المشرق العربي ، وقد استفدت من ذلك كثيرا ، سواء من حيث المادة التاريخية او طرق البحث في التاريخ الاسلامي .

ومهما يكن فان فضل الزيارات العلمية لا يمكن انكاره فهو في تبادل الخبرات وتوضيح وجهات النظر في مختلف المعارف ، خصوصا عندما يتعلق الموضوع باعادة بناء التاريخ العربي الاسلامي وتفسيره تفسيرا جديدا .

ولذلك اتوجه بالشكر الجزيل الى كل الاساتذة الكرام واخص منهم الاستاذ المشرف الدكتور " موسى لقبال " الذي ساعدني كثيرا من اجل اخراج هذا العمل بهذه الصورة التي ارجوا ان تنال قبولا لدى الاساتذة الباحثين .

والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

نقد المصادر

لم يكن دور اسرة البرامكة في الخلافة العباسية قاصرا على فترة حكم "هرون الرشيد" كما هو الشائع • بل تجاوز ذلك الى حد مشاركتهم كثيرا من مراحل احداث الخلافة العباسية وعصرها الاول •

والمؤرخون المعاصرون قاموا بجهود معتبر في دراسة التاريخ الاسلامي ، وأولوا عناية خاصة بالخلافة العباسية بفضل ما توفر لديهم من مصادر تاريخية • والمؤكد ان هناك ثغرات عديدة في تاريخ العباسيين ، لا تزال غامضة تنتظر من يوضحها سواء باكتشاف مصادر جديدة او بتفسيرات موضوعية مقنعة •

ولذلك فان عملية تقييم دور البرامكة لا يقتصر على المؤلفات التى اعتنت باحداثها فحسب ،بل بالاعتماد على اهم مصادر التاريخ والأدب التي تهتم باخبار العصر العباسي الاول ومنهـا :-

1- (مؤلف مجهول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

"تاريخ الخلفاء" ، نسخة مصورة عن مخطوطة وحيدة بموسكو ،قام بالتعليق عنها ونشرها المستشرق الروسي كرايزنوفيج K KRAYZNOUVIKH في مجلد خاص في اطار سلسلة اثار الاداب الشرقية • والمخطوطة في عمومها تتكلم عن احداث الدعوة العباسية وادوارها ،ثم الثورة ضد بني امية ، ونشاط اول وزير في الخلافة العباسية " ابي سلمة خلال " ، وتشير الى سوء التفاهم والنزاع على السلطة التى واكبت بروز شخصيات متصارعة مع نجاح الثورة العباسية • وقد انفردت المخطوطة بذكر ما كان من عداوة بين " مسرور " خادم الخليفة الرشيد و " جعفر البرمكي " وزيره التي ادت الى نكبة البرامكة ، والملابسات الى راجت حول ذلك •

2- لمؤلف مجهول ، اخبار العباس وولده •

وهي مخطوطة كانت محفوظة في مكتبة الاوقاف ببغداد يعتقد الدكتور عبد العزيز الدوري انها لـ " محمد بن صالح النطاح " على اعتبار انه اول من كتب عن العباسيين ،والكتاب في جوهره تاريخي مرتب على نظام النسب ،اعتمد فيه المؤلف على رواة ثقاة ممن عاصروا الاحداث ،ويلاحظ انه موالي للعباسيين وان بعض المؤرخين اللاحقين اعتمدوا عليه دون الاشارة اليه ،وبالنسبة الى موضوعي استعنت به في تحديد نشاط " خالد البرمكي "

العسكري مع قادة الثورة العباسية في معاركهم ضد الجيش الاموي •

3– روزبـــــــة بن داذويـــه المعروف بـ" عبد الله بن المقفع" (106– 142هـ 724–759م) :

رسالة الصحابـــة ، وهي عبارة عن تقرير نقدي لرجال الادارة في عهد الخليفة العباسي الثاني " ابي جعفر المنصور" وضع لي هذا التقرير صورة اعوان الخليفة ومستشاريه ، وهـــي صورة تعكس المشكلات التي كانت تواجه الخلفاء الاوائل بخصوص امكانيات وخبرات المستخدمين الاداريين في الخلافة الجديدة كما ان مقر مقترحات كاتب هذه الرسالة تظهر بوضوح بذور الرقي الاجتماعي والتطور السياسي الآخذ في النمو في تاريخ الخلافة العباسسة •

4– ابن خياط (خليفة بن خياط الليثي) ، ت 240هـ / 855م ،

تاريخ خليفة بن خيــــاط :– وهو كتاب لم يكن معروفا الا ان نشره مؤرخان معاصران كل على حدى ، الدكتور سهيل زكار في سوريا ، والدكتور اكرم العمري في العراق ، وميزة المؤرخ ابن خياط لا تظهر في انتقائه للمواضيع فحسب ، بل في التركيز على الروايات المهمة ، فضلا عن انفراده بمعلومات لا نجدها عند غيره مثل الانظمة الادارية واسماء القائميـــن بها في الدواوين المركزية او الاقليمية وهي ظاهرة يصعب وجودها لدى غيره من مؤرخـــي ذلك العصر مما ساعدني على معرفة العديد من مظاهر واساليب الادارة العباسية اثنا تتبعي لنشـــاط البرامكة •

5– ابو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ت 182هـ / 731م ،

كتاب الخـــــراج ، وهو كتاب ذو اهمية بالغة لما لصاحبه من مكانة لدى الخليفة الرشيد ووزرائه البرامكة ، حيث ظل يشغل منصب القضاء لمدة طويلـــة فضـــلا عـــن

اشـــــــ رافه على تعليم أحد كبار أفراد البرامكة " جعفر البرمكي .
ويفهم من عنوان الكتاب أنّه خاص بالشؤون المالية للدّولة .
ولعلّه أوّل كتاب يتناول هذا الجانب بحيث يبين بوضوح مدى اهتمامات الخليفة هرون الرشيد من خلال الاستفسارات التى طرحها على القاضى أبى يوسف فى هذا الكتاب .
وقد استفدت من ذلك فى عدّة قضايا أهمها : .
أ ـ حالة الأنظمة الادارية المختصّة بالشؤون المالية وتصرفات القائمين عليها حتى عهد الخليفة الرشيد وذلك مكّنني من تقييم سياسة البرامكة فى المجال الاقتصادى على وجه الخصوص .
ب ـ اهتمام الخليفة هرون الرشيد بالشؤون الحيويّة فى دولته ، واجتهاده فى ايجاد حلول للمسائل المطروحة فى عهده ، وهو اهتمام يفنّد الادّعاءات الشائعة حول هذا الخليفة التى تدّعي تركه لمقاليد الحكم والتسيير بيد وزرائه البرامكة طيلة فترة خلافته .
7ـ ابن النديم أبو الفرج محمد) ،(ت 235هـ/ 2369هـ/ 849م او 850م) :
الفهرست ، من أهم المصادر العربية فى تاريخ العلوم العربيّة الاسلامية بحيث يمثل موسوعة ثقافية لكل العلوم المعروفة فى عصر المؤلف ، وهو عبارة عن سجل لمختلف المصادر التى وصلته أو سمع عنها ، اعتمد على خطة منظّمة فى التعريف بكلّ علم من العلوم ثمّ المؤلفين الذين صنّفوا كتبا فى ذلك العلم مع سرد عناوينها ، وأحيانا يعطي وصفا دقيقا لمحتويات الكتب التى يتحدّث عنها . وقد أفادني فى التعليق على أهميّة نشاط أفراد أسرة البرامكة فى الميدان الثقافى

ضلا عما أورده من أخبار حول رجال الفكر ومؤلفاتهم

ممن كانوا على اتصال بالبرامكة .

8- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، (150هـ - 255هـ/ 767م - 986م) :

البيان والتبيين . وصاحبه من أشهر الكتاب بالعربية وأغلب

مؤلفاته تتعلق بجوانب هامة في التاريخ الحضاري للدولة الاسلامية

لانجدها في كتب التاريخ . وقد أستغلت مؤلفاته في الدراسات الأدبية ،

ولم يستفد المؤرخون بمادته رغم أهميتها .

أمدني الجاحظ بالعديد من المعلومات حول موضوع الدور الثقافي للبرامكة

خاصة يحى البرمكي وابنه جعفر ، كما ضمن كتابه مجموعة من أقوالهما

البيانية مبينا في ذلك إعجابه بمستواهما الثقافي فضلا عن

وجود عدة ابيات شعرية منتقاة من أجود ماقيل فيهم .

9- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) ، (ت 276هـ/ 889م) :

امام اللغة العربية والأخبار التاريخية ، له تآليف عديدة استعنت

منها : عيون الأخبار : وهو كتاب في التاريخ الحضاري ونماذجه

في الحضارة العربية الاسلامية ، أفادني في محاولة تتبع التطور

الاجتماعي وأساليبه في ظل الخلفاء العباسيين الأوائل ووزرائهم

خاصة عصر نفوذ البرامكة ودورهم الثقافي الاجتماعي في الدولة

كتاب المعارف : وهو كتاب أشبه بدائرة المعارف فيما يخص

تاريخ الدولة الاسلامية حتى عصر المؤلف ، ميزته احتواؤه على

الكثير من الروايات الجديدة وانتقاؤه لها من رواة ثقاة فضلا

عن ابداء رأيه في بعض المسائل التي يتحدث عنها وهي ظاهرة نادرة

الموجود لدى مؤرخي ذلك العصر، الذين ظلوا على الحياد فيما يوردونه من روايات مما يلاحظ على بعضها من التناقض وصعوبة التصديق .

- كتاب الامامة والسياسة : - منسوب اليه ويعتبر من أقدم المصادر التي تناولت هذا الجانب ، ساعدنى فى تقييم الأنشطة الحضارية والادارية للفترة الأولى من تاريخ الخلافة العباسيّة خاصة عهد " هرون الرشيد " ، وقد خصص المؤلف فى كتابة هذا الصفحات لتفاصيل العلاقة بين " جعفر البرمكي " و" العباسة " أخت الرشيد ، واعتبر هذه العلاقة المشبوهة من أهم الأسباب التي أدّت الى قتله على يد الرشيد .

10 البلاذري أحمد بن يحي) ، (ت 279 هـ/ 892م :

مخطوطة أنساب الأشراف ، وهو كتاب عام للتاريخ الاسلامي ، سجل المؤلف أحداثه وفق نموذج جديد يجمع بين منهجيّة

كتب الطبقات والتراجم ، وكتب الأخبار والأنساب حدّد فيه البلاذري ، الأحداث التى وقعت لكل خليفة ، مع وجود عناوين فرعية للحوادث الهامة " أمركذا "، مع مراعاة التسلسل التاريخي للأحداث فى أغلب الأحيان ، ويستفاد من مادّة هذا المؤلف اهتمامه بالعنصر العربي والدور الذى كان يلعبه فى ادارة الخلافة العباسيّة مما يجعل فكرة سيطرة الفرس على الادارة منذ بداية تاريخ العباسيين محل شك ، وبخصوص دور البرامكة يلاحظ أن المؤلف قد ركز فى حديثه على الدور الذي كان يقوم به الخليفة الرشيد ليبين أنه كان على اطلاع بكل مايجرى فى دولته ، عكس ما تدّعيه بعض المصادر

الاخرى من ان هذا الخليفة قد ترك شؤون ادارته بيد وزرائه البرامكة .

ب ـ فتوح البلدان ، من اقدم المؤلفات العربية ، لا يقتصر فيه الكاتب على احداث الفتح الاسلامي للاقاليم كما يتبادر الى الذهن من خلال العنوان ، بل يسترسل في ذكر ما طرأ من تغيرات في هذه الاقاليم بعد الفتح ، تصل احيانا الى عصره ، وميزته في ذلك اعتماده على اكثر الروايات دقة .

11ـ ابن طيفور (ابو الفضل بن ابي طاهر) ، ت 280هـ / 893م ،

بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، يبدو فيه المؤرخ حسن الاطلاع وذلك بانفراده ببعض الروايات الهامة ، وميزة الكاتب ترجع الى انه من اوائل الكتاب الذين تحدثوا عن التاريخ المحلي ولذلك يعد كتابه أكثر دقة وتركيز من غيره خاصة الاحداث الجارية في عاصمة العباسيين بغداد .

12ـ الدينوري (ابو حنيفة احمد بن داود) ، ت 282هـ / 895 ،

الاخبار الطوال ، من اقدم كتب التاريخ واوثقها ، وهو تاريخ عام تنتهي الاحداث فيه عند سنة 227هـ / 842م . ميزة الكاتب انه من اقرب المؤرخين الى احداث الموضوع التي اتناولها بالبحث ، ورغم اهمال الكاتب لبعض الروايات الهامة والاسانيد الطويلة وميله للسرد الروائي فان مادته تبقى ضرورية خصوصا وانه اعتمد على مصادر تعتبر مفقودة لحد الآن مثل كتاب " الخلفاء الكبير " لـ " ابي بكر المعتصم " وكتاب " التاريخ على السنين " لـ " ابي عبد الرحمان " المتوفى عام 209هـ / 825م .

13_ اليعـــــقوبي (أحمد بن اسحاق) ، (ت 284هـ/ 897م) :
من أسرة كتاب دواوين الخلافة العباسيّة مما مكّنه الاطلاع علـــى
الأحـــداث من مصادرها الأساسيّة ، اعتمدت عـــلى كتابه
أ ـ البلدان، وهو في الجغرافيا التاريخيّة ، ومن أقدم المصادر التي
اعتمدت عليها حول هذا الموضوع ،
ب ـ التاريخ، وهو موجز تاريخي على نسق التاريخ العالمي ، حتى سنة
259هـ/ 872م ، اهتم فيه بالجوانب الحضارية قدر اهتمامه بغيرها
، أفادني بما كان يسجله في خاتمة عهد كل خليفة أسماء الشخصيات
البارزة التي لعبت الادوار الهامة في حكمه ، منتقيا في ذلك الرائج
من الروايات مع اهمال الاسناد لذكر مصادره في بداية كتابه
، وأهم ما تميّز به "اليعقوبي" ايراده لبعض الرسائل والخطب
التي تعتبر اليوم من أهم الوثائق في اعادة تفسير التاريخ الاسلامي
ورغم عروبة هذا المؤرخ وميوله الى "العلويين" الاّ أنه التزم
جانب الحياد في مناسبات، أثناء حديثه عن "البرامكة" عكس مانلاحظه
عند بعض المؤرخين الفرس،

14_ ابن المعتز (عبد اللّه بن محمد المعتز باللّه) ، (247هـ/296هـ/
ـ 861م ـ 909م) : طبقات الشعراء ، كتاب ضخم يبحث في
تراجم الشعراء ، ومن أهم المصادر العربيّة في الحياة الفكريّة
للعهد العباسي ، يتضمن العديد من الأفكار الجديدة حول
نشاط البرامكة في الميدان الثقافي ، وقد أمدّني بنماذج حيّة
عن المجالس الفكرية التي كانت تعقد باشراف أسرة البرامكة
، وركّز على الشعراء المنقطعين اليهم

وارد فـب ذلك بمجموعة من قصائدهم التى نظّموها في البرامكة ،

وميزة كتابه أن ما تخيّره المؤلف من شعر عن البرامكة كان من النماذج

النادرة التى لا يعرفها الاّ الخاصّة . وأهمل فى ذلك مجموعة القصائد

المتّداولة عن هذه الأسرة أسوة بمنهج تبنّاه حين عهد على نفسه

الأ يذكر الاّ النوادر من الأشعار التى قيلت عن الخلفاء العباسيين

أو وزرائهم .

15- الطبرى (أبو جعفر بن جرير) ، (224هـ - 310هـ/ 838م - 923م)

تاريخ الرسل والملوك . . . اهم مصدر جامع لتاريخ الخلافة العباسيّة

على الاطلاق ، اتّبع فيه صاحبه طريقة المحدثين بذكره لأغلب

الروايات عن الحادثة الواحدة وباسنادها ، الشيء الذى يسمح

للباحث بامكانية

المقارنة لاستخلاص الحقائق التاريخيّة .

وتعتبر مادّة هذا الكتاب ورواياته من أوثق المصادر وأكثرها

المامًا بالموضوع .

ولعلّ أهم ما يؤاخذ عليه هذا المؤرخ ضمور النّقد عنده ،

مما سمح للمؤرخ - ابن خلدون - في مقدمته الشهيرة

أن ينتقده انتقادًا لاذعًا فيما يخص رواياته عن نكبة البرامكة وقصة

العلاقة المزعومة بين العباسة وجعفر البرمكي .

16 ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) ، (246هـ - 328هـ م - 940م) :

العقد الفريد ، موسوعة أدبية وحضاريّة هامّة ،

خصّص للبرامكة وأخبارهم عناية كبيرة ، وانفرد ببعض الرّوايات خاصّة

فيما يتعلّق بموضوع الدّور الثقافى والاجتماعى لهذه الأسرة .

17 ـ الأزدى (أبو زكرياء يزيد) ، (ت 334هـ/ 945م) :

تاريخ الموصل ، قام بتحقيق ودراسة هذه المخطوطة الدكتور علي حبيبة ، ويظهر من العنوان أن الكتاب مختص بجوانب تاريخية لمنطقة الموصل الا أن المتتبع للحوادث المسجّلة فيه يجد المؤلف يسترسل في بيان ما يتعلّق بالموصل فيتكلم عن الادارة المركزية في بغداد وعلاقتها بالأقاليم ، وهي أحيانا معلومات لم يسبق لها أن ذكرت في المصادر المهتمّة بالتاريخ العام للخلافة العباسيّة ، وقد استفدت منه في بعض الروايات المتعلّقة بنشاط البرامكة السياسي وأثره .

18 ـ الصولي (محمد بن يحي) ، (ت 335هـ/ 946م) :

الأوراق في أخبار آل العباس ، صاحب هذا الكتاب من كبار علماء اللّغة والأدب العربي ، تميّز باحترامه للاسناد في أكثر الروايات الهامّة ، ويلاحظ من خلال كتاباته عن دور أسرة البرامكة انه متعاطف معها الى حد كبير بدليل أن أغلب كلامه عنها خصّصه للأعمال الايجابيّة التي مارسوها ، ونادرا ما يشير الى ما يمس بسمعتهم أو يشكك في تصرفاتهم .

19 ـ المسعودى (علي بن الحسين) ، (ت 345هـ/ 956م) :

أ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لايهتم المؤرخ في هذا الكتاب بالتسلسل التاريخي للأحداث قدر اهتمامه بالموضوعات والنماذج الحضاريّة التي لفتت انتباهه . وأهميّة كتابه تظهر اساسا في اعتماده على بعض المصادر النادرة التي تعتبر لحد الآن ،

مفقودة لكتاب "أخبار العباسيين" لأحمد بن يعقوب الرازي الذي توفي عام 300هـ/ 812م . وكتاب "التاريخ وأخبار الخلفاء من العباس . وقد أفادني بمادة جيدة حول أخبار البرامكة ، اذ يعتبر من أهم المؤرخين اللذين تحدثوا عن أصل البرامكة حين تكلم عن النوبهار "معبد البرامكة".

كما إنفرد بذكر معلومات تتعلق بعلاقة البرامكة بالدولة الاسلامية قبل الخلافة العباسية . وأما في العهد العباسي فقد خصص لهذه الأسرة عنوانا مستقلا سماه "جملا من أخبار البرامكة" تحدث فيه عن نشاطهم وأورد عدة قصائد قيلت في مدحهم ورثائهم . ويلاحظ أن المسعودي كان متعاطفا مع البرامكة ، ولا يخفي ميله اليهم بدليل انتقائه لجل الروايات التي تمجد هذه الأسرة ولم يبد اعتراضا على أي رواية رغم عدم مطابقتها الواقع أحيانا .

ب - التنبيه والاشراف : اتبع في هذا الكتاب طريقته الأول في نسق الموضوعات ، مع شيء من الايجاز ، ميزته هذا التركيز على الروايات المتعلقة بالخلفاء وطرقهم في معالجة المشاكل المطروحة في عهدهم . استفدت منه في تحليله لتاريخ الوزارة وتطورها في العهد العباسي ،كما يلاحظ أنه اتبع طريقة "اليعقوبي" في تذييل عهد كل خليفة بذكر أهم من اشتغلوا في ادارته .

20 الجهشياري (أبو عبد الله محمد) ،331هـ/ 943 :.

كتاب الوزراء والكتاب ،أقدم وأشهر مؤلف - لحد الآن - في تاريخ تطور النظم الادارية للدولة الاسلامية ومن أهم مصادر

المؤرخين الذين جاؤوا بعده .

استفدت منه في تتبع تطور ادارة الخلافة العباسية حيث أسهب الكاتب في ايراد مختلف الروايات المتعلقة بالكتاب والوزراء وغيرهم من المستخدمين الاداريين ، وقد نال البرامكة في كتاب الوزراء اهتماما خاصا ، لذلك يعد من المصادر المعول عليها في هذا الموضوع . وفضلا عن ذلك تميز الكاتب بالحياد في أكثر المسائل التي تحدث عنها .

21- الأصبهاني (علي بن الحسين) 284هـ - 356هـ/ 897م -967م :

أ- الأغاني وهو تاليف ضخم في 24 مجلدا ضمنه صاحبه تراجم لأغلب الشعراء والمغنين ، والمعروف عن هذا المصنف أنه يهتم بالأدب بدرجة أولى بينما هو في الواقع يعطي صورة واضحة يمكن اعتبارها وصفا للحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع العباسي خاصة ، ولا يكاد يخلو مجلد من ذكر حادثة أو رواية تتصل بأحد أفراد أسرة البرامكة خصوصا وأن علاقة هؤلاء بالشعراء والندماء كانت مضرب الأمثال .

ولئن كان الكاتب متهما بذكر غرائب الأخبار الا أن ذلك لا ينفي القيمة التاريخية لهذه الموسوعة الأدبية ، وقد استفدت منها في كثير من المسائل المتعلقة بدور البرامكة في الميدانين الاجتماعي والثقافي .

ب- مقاتل الطالبيين وهو مجلد ضخم - في حوالي 850 صفحة - يتحدث فيه باسهاب عن علاقة العباسيين بأبناء عمومتهم العلويين - الشيعة - ، ويعد هذا المصدر - لحد الآن - من أهم المصادر حول هذا الموضوع ، أفادني في تقييم الوضع الدخلي للخلافة العباسية في الفترة التي أدرسها كما استفدت به لتوضيح علاقة البرامكة بالعلويين . هذه العلاقة التي أشاع كثير من المؤرخين أنها كانت احدى أسباب

نكبتهم

22ـ الاصفهاني ،(ابوعبد الله حمزة) ، ت 360هـ/ 979م ،

تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، امتاز بالاختصار الشديد ،واستفدت منه فيما يتعلق بادارة " الفضل بن يحى " في " خراسان " ويبدو من الكتاب على صغر حجمه انه مؤرخ دقيق يظهر ذلك من خلال انتقائه لمصادر المعلومات التى اختارها .

23ـ الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد) ت 450هـ/ 1057م ،

أـ الاحكام السلطانية ، قدم الماوردي هذا الكتاب ،الشكل النظري لواقع النظام السياسي والاجتماعي للدولة الاسلامية فمكنني من اجراء المقارنة بين النظري وواقع تطور تطور الخلافة في عهد العباسيين الاوائل ومدى مطابقة اجراءاتهم للشريعة الاسلامية .

بـ قوانين الوزارة وسياسة الملك ، من أهم المصادر التى كتبت حول موضوع الوزارة ، استفدت منه المصطلحات النظرية التى تطلق على واقع تصرفات الوزراء ، خاصة فيما يخص نشاط البرامكة ، كـ" وزارة التنفيذ " و " وزارة التفويض " ، وشروط وحدود كل منهما ومدى علاقة ذلك بالخليفة

24ـ الحصري (ابو اسحق ابراهيم بن علي) ،ت 453هـ/ 1061م ،

زهر الاداب وثمر الالباب ، عبارة عن اشتات من متخير الشعر والنثر وبعض الروايات التاريخية خالية من ابداء الرأي والتعليق في اغلب الاحيان اخذت منه بعض ما يتعلق بموضوع نشاط البرامكة في الميدانين الاجتماعي والثقافي .

25ـ البيهقي (ابو الفضل) ،ت 470هـ/ 1077م ،

تاريخ البيهقي ، وهو مؤرخ فارسي الاصل لم يكن معروفا لدى قراء العربية الا بعد تعريبه من طرف احد المترجمين وهو" يحى الخشاب" (في النصف الثاني من القرن) ،والكتاب ضخم (800صفحة) ،ويعد من اهم المصادر الفارسية الموالية لاسرة البرامكة ،لاعتبارات عنصرية ،فهو يشيد باعمالهم ويعتبرها من اهم مقومات السياسة ،وقد اولى عناية خاصة بـ " جعفر البرمكي " حيث اظهره بمظهر

السياسي المحنك صاحب اليد البيضاء في بناء الادارة العباسية اذ بلغ به الجد والتفاني في حب العمل كما يوضح البيهقي الى حد التوقيع على ألف مظلمة في جلسة واحدة .

أما الفضل البرمكي - في نظره - فقد كان مواليا للحزب العلوي لدرجة أنه كان مستعدا الى التضحية بنفسه على أن يمس أحدا منهم بضرر - رغم توصية أبيه يحي " الذى نصحه بضرورة تصفيتهم .

ولا يشك في أن أغلب ما أورده هذا المؤرخ قد كان من متخير ما قيل في البرامكة من روايات لذلك فان قبولها دون نقد أو مقارنة بما ورد عند غيره لا يوصل الباحث الا الى نتائج متضاربة .

25 . المقدسي (أحمد بن سهل) ، ت 507هـ/ 1113م .

البدء والتاريخ ، تميز بالاختصار الشديد ، استفدت منه موضوع تطور الوزارة في العهد العباسي . أما حديثه عن البرامكة فلا جديد فيه عدا اهتمامه البالغ بقضية نكبتهم على يد الرشيد .

27 السمعاني (عبد الكريم بن محمد) ، 506هـ- 562هـ/ 1113م . 1167م :

الأنساب ، كتاب ضخم مطبوع طبعة حجرية ، يبحث في موضوع تتبع أنساب العائلات والقبائل ذات النفوذ السياسي والأدبي في الدولة الاسلامية .

استفدت به في الحديث عن آثار البرامكة في الفصل الأخير من رسالتي ...

28 عبد الملك بن عبد الله) ، ت 608هـ/ 1211م : ليس للكاتب شهرة في ميدان التأليف غير شرحه لقصيدة " ابن عبدون " واعادتها نشرا تحت عنوان كمامة الزهر وفريدة الدهر" والقصيدة في عمومها تتناول مواضيع تاريخية ، نالت أسرة البرامكة من اهتمامه بقدر ما نال الخلفاء العباسيون ، مما يظهر مكانة هذه أسرة لدى مورخي القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) ، وقد جاءت في هذه القصيدة عدة معلومات جديدة عن دور البرامكة لذلك كانت هذه القصيدة احدى أهم مصادر ابن خلكان " في كتابه " وفيات الأعيان واليافعي صاحب كتاب " مرآة الجنان " في حديثهما عن أسرة البرامكة وغيرهما .

29- ياقوت الحموي(574هـ - 626هـ/ 1075 م - 1144 م) :

معجم البلدان من أشهر المصادر التي كتبت في الجغرافية التاريخية، وهو عبارة عن معجم لأهم بلدان العالم الاسلامي المعروفة حتى عصره، مرتبة حسب الترتيب الأبجدي .

أمدني بمعلومات هامة عن مدينة بلخ - الموطن الأصلي الأسرة البرامكة - كما فصّل الحديث عن " النوبهار " المعبد الذى كان أجداد البرامكة سدنة له . هذا فضلا عن الاعتماد عليه في التعليق عن أسماء المدن والأماكن الواردة في الرسالة .

30- ابن الفقيه(عبد الواحد بن الحسن) ،(561هـ - 636هـ/ 1166 م - 1238م) ع

المهملك ، استعنت به في الحديث عن نشاط البرامكة قبل الخلافة العباسية ، وعن مكانتهم لدى سكان منطقة " بلخ " حين كانوا قائمين على خدمة معبد " النوبهار " هذا فضلا عن بعض الروايات القيمة عن نشاط " يحى البرمكى " ، لا يمكن الاستغناء عنها .

31 ابن الأثير(عز الدين أبى الحسن) ،(555هـ 630هـ/ 1160م - 1233 م) : الكامل في التاريخ ، تحدث باسهاب عن البرامكة ، وميزة منهجه في الكتابة أنه تصرف تصرفا حكيما في الروايات حيث انتقى منها أشهرها وأقربها الى الوثوق ، كما تجاوز في روايات عن ذكر سلسلة الاسناد . أهم ما يؤخذ عليه ابن الأثير في كتابه - الكامل - عدم ذكره للمصادر

التى اعتمد عليها فى سرد رواياته . والظاهر أن أغلبها منقولة عن المؤرخ الكبير" الطبرى" فى كتابه" تاريخ الرسل والملوك " الذى أشرت اليه سابقا .

32 ـ الفردوسى أبو القاسم الفردوسى) ،

الشاهنامه قصيدة نظمها الفردوسى حول تاريخ الفرس ويرجع الفضل فى ترجمتها للعربية واعادة صياغتها نشر الى " البندرانى الفتح بن على) 586هـ ـ 643هـ/ 1190م ـ 1245م . والكتاب فى عمومه للتاريخ الفارسي الساسانى حتى سقوط دولة الفرس على يد المسلمين ، وقد خصص صاحب الشاهنامة حديثا مفصلا عن معبد " النوبهار" ومكانته عند الفرس، كما استعنت به فى التعليق عن ايوان كسرى حيث يعتبر أهم من غيره فى مثل هذه المواضيع .

33 ـ ابن خلكان (شمس الدين أحمد) (608هـ ـ 681هـ / 1211م ـ 1282م)

وفيات الأعيان ، وهو عبارة عن تراجم لاهم كبار رجال الدولة و أعلام الفكر فى تاريخ الدولة الاسلامية حتى عصره . استعنت به فى الحديث عن بعض أفراد أسرة البرامكة وفى التعليق عن شخصيات أخرى تعاملت معهم . وميزة كتاب الوفيات" أسلوبه المبسط الذى اتبعه فى التراجم ، و أهم الأحداث البارزة التى ساهموا فيها خاصة فيما يتعلق بالبرامكة حيث يذكر ما وقف عليه من أحوالهم ، وبيان اشتهروا به ومتخير ما قيل فيهم من أشعار ،كما يلاحظ عليه أنه لا يخفى ميله اليهم . وقد كان كتاب ابن خلكان " مصدرا هاما لمن جاؤوا بعده من المؤرخين خاصة" مخطوطة ليليوى " أحسن المسالك لأخبار البرامك" التى سيأتى ذكرها .

ويعتقد أن "ابن خلكان" ينحدر من أسرة البرامكة لذلك كان لا يتورع في المبالغة عند ما يتحدث عنهم هذا فضلا عن اعتماده على مصادر ليست في المتناول اليوم مثل كتاب "تاريخ الوزراء" لـ "ابن القادسي" المفقود لحد الآن .

34- القزويني (زكريا بن محمد) ، (605هـ - 682هـ/ 1208م - 1283م) : كتاب آثار البلاد ، يتحدث فيه صاحبه عن أهم المدن في الدولة الاسلامية التي زارها أو وصلته عنها أخبارها . استعنت به في موضوع أهمية مدينة "بلخ" ، ومصير معبد "النوبهار" بعد الفتح الإسلامي للإقليم الشرقية .

35- ابن الطقطقي (محمد بن علي) ، (660هـ - 709هـ/ 1262م - 1309م) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تأليف متوسط الحجم يتحدث عن التاريخ الاسلامي ويركز على أخبار الخلفاء والوزراء . وعلى الرغم من إلتزامه ، كما صرح في مقدمة الكتاب ، بقول الحق الا أنه تمادى في التحامل على الخليفة هرون الرشيد وسياسته ، ولا يخفى أن ابن الطقطقي ميله الكبير للعلويين . أما حديثه عن البرامكة فألبسه مدح واعجاب بمواقفهم لدرجة أنه أورد لهم فصلا خاصة سماه "دولة البرامكة" ووصفها بـ "الدرة في جبين العصر" . وبخصوص نكبتهم يبدي الكاتب حيرته معتبرا أن ذلك كان خطأ مارسه الخليفة الرشيد ضدهم

36 - الأربلي (عبد الرحمن سنبط) ، (ت 718هـ/ 1318 م) :

خلاصة الذهب المسبوك . أشار الكاتب فيه الى وزارة خالد البرمكي " ودوره في المجتمع العباسي خلال عهد الخليفة أبي جعفر المنصور " ، وتحدث عن دور البرامكة في خلافة الرشيد موليا عناية كبيرة بموضوع نكبتهم ، وصرح أن أسباب ذلك كانت منها رجدل واختلاف حتى عهده . ويلاحظ أن " الأربلي " لم يصف شيئا للموضوع عند نقله لروايات سبق فيها الكثير من المؤرخين .

37 - الذهبي (محمد بن أحمد) ، (673هـ - 748هـ/ 1274م - 1348م) :

العبر في خبر من غبر ، وهو تاريخ مختصر نقل فيه أشهر الحوادث بايجاز بين دون سند للروايات أو توضيح للمصادر التي ينقل منها ، تكلم باختصار عن البرامكة و أغلب ماقاله مأخوذ من المصادر السابقة .

38 - اليافعي (عبدالله بن أسعد) ، (698هـ - 768هـ/ 1298م - 1367م) :

مرآة الجنان لاجديد في كتابه عن الموضوع سوى تنظيمه للروايات المتعلقة بالبرامكة دون الاشارة الى المصادر التي ينقل منها ، ويلاحظ عليه ضمور النقد عنده حتى في الروايات التي يظهر عليها بعدها عن الحقيقة وعن مطابقتها للواقع .

39 - ابن كثير (اسماعيل بن عمر) ، (701هـ - 774هـ/ 1302م - 1376م) :

البداية والنهاية . تأليف ضخم جامع لأهم الحوادث في التاريخ الاسلامي ، يتبع نفس منهجية " ابن الأثير " في كتابه " الكامل " وينقل عنه أحيانا دون الاشارة اليه .

استفـــدت به فيما يخص نشاط "خالد البرمكـــي" في جيـــش الثورة العباسيـــة واهـــم تحركات "ابي سلمـــة الخلال" اول وزيـــر للعباسييـــن .

39- ابن خلدون (عبد الرحمان) ت 732-809هـ/1332-1406م .

كتاب العبر وديـــوان المبتـــدأ والخبر فـــي ايام العرب والعجـــم والبربر ومـــن عاصرهم مـــن ذوي السلطان الاكبـــر، وفيه معلومات عـــن تاريـــخ الخلافة العباسيـــة اغلبها منقولـــة عن المصادر التي اشـــرت اليـــها، وهي فـــي عمـــومها قليلة الاهمية، بالقياس لما جاء في "المقدمـــة"، اذ يعتبـــر فيهـــا المـــؤرخ الوحيـــد من بين المؤرخيـــن القدماء - المعتمـــد عليهم - اذ ابـــدى ابن خلدون اعتراضا تجاه الروايات التاريخيـــة المتعلقـــة باخبار البرامكـــة خاصـــة حـــول فكرة -عـــلاقة جعفر البرمكي بالعباســـة اخـــت الرشيـــد .. حيث فنـــد القصـــة واظهـــر معالم ضعفـــــها كما انتقـــد المؤرخيـــن السابقيـــن عنه في قبولـــهم لمثل هـــذه الروايـــات، وفضلا عن ذلك استعنـــت به في حديثـــه عن طبيعة وضعيـــة "الموالي" ومكانتهـــم في الدولـــة الاسلاميـــة .

40- القلقشندي (شهاب الدين ابو العباس) ت 756-821هـ/ 1355هـ/1414م .

مجـــآثر الانافـــة في معالم الخلافة، تاليف ضخـــم في مجلدات اورد فيه صاحبـــه بعض ما يتعلـــق بقضايا الخلافة منـــذ نشأتها اتبـــع فيها اسلـــوب الاختصـــار والدقـــة، افادنـــي فـــي كلامـــه عـــن نشاط "خالد البرمكي" في عـــهد كل من الخليفتيـــن "ابي جعفر المنصور" و ابنه "المـــهدي" وميـــزة الكاتب اهتمامه بالجانب الاداري للخـــلافة العباسية، لا في بغـــداد والعـــراق فحسب، بل في مختلف اقاليم الخلافـــة، فمكنـــني من استضـــاح صـــوره ادارة الخـــلافة في عهـــد نفوذ البرامكـــة .

42ـ السيـــوطي (جلال الدين أبو الفضل) ، ت 849 هـ ـ 1445/911ـ 1505م)
تاريـــخ الخلفاء ، كتاب مختصر حول اخبار الخلفاء ، اغلب كتاباته عن البرامكة منقولة عن من سبقوه من المؤرخين خاصة المؤرخ المسعـــودي " ، الذي اشرت اليـــــه ويلاحظ ان السيوطي كان يميل الى الخليفة الرشيد حين يتكلم عن النشاط السياســـي في عهده ، وذلك بارجاع اغلب القرارات الصادرة وقتـــذاك الي الخليفـــــة وليس الـــى وزرائـــه كما تتدعـــي المصادر الاخـــرى التي تميــــل الى صـــف البرامكـــة .

43ـ ميرخـــاوند (محمد بن محمد خاوند شاه) ت 903هـ / 1498م ،
تاريـــخ روضـــة الصفـــا (بالفارسية) (1) ، طبعة حجرية قديمة ، افـــادني ببعض التفاصيل عن نشاط البرامكة ، بيد ان المـــلاحظ ان اغلبها منقولة عن المصادر المكتـــوبة بالعربيـــة كتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وكتاب " الكامل " لابن الاثيـــر ، وميزة الكاتـــب تظهـــر في تعاطفه مع البرامكـــة مما يعكـــس وجهـــة نظر المؤرخين الفرس تجاه هذه الاسرة الفارسيـــة ذات النفوذ الواسع .

44ـ خوان داميـــر (غياث الدين همام الدين) ، ت 941هـ / 1508م ،
دستور الوزراء ، (بالفارسيـــة) (2) يلاحـــظ ميله الشديد الى اســـرة البرامكة حيث لم يـــورد في كلامـــه عنهـــم غير الجوانب الايجابيـــة التي قاموا بها او كانوا سببا في حدوثها ، وهو مصدر آخر يعكـــس وجهة نظـــر المؤرخيـــن الفرس تجـــاه هـــذه الاسرة .

---

(1) ـ (2) ، ساعدني على ترجمـــة المصادر المكتوبة بالفارسية ، الاستاذ كاظـــم اصولي استاذ اللغة الفارسية بالحوزة العلميـــة بدمشـــق .

-عبد الحليل اليازدي (تبعد عام 926/ 1520م)،
تاريخ آل برمك، مخطوط كتب في حدود سنة 926هـ/ 1520م. نسخة منه محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 1342و 1351.

وهو عبارة عن سرد لمختلف الروايات عن اسرة البرامكة، التي اورد هلما مؤرخون سبقوه، صنفها اليازدي ورتبها ثم قسمها الى ستة فصول، خصص الفصل الاول لما قيل عن نشاط اجداد البرامكة في معبد "النوبهار" البوذي، ثم اتصال برمك بالخليفة الاموي "عبد الملك بن مروان"، والفصل الثاني وهو عبارة عن ثلاث روايات تحدث فيها عن نشاط "خالد البرمكي" لم يظف فيه شيئا جديدا، اما الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن يحى البرمكي وابنه الفضل، وخصص الفصل الخامس ل "جعفر" واطنب في ذكر علاقته بالعباسة اخت الرشيد كعادة الكثير من المؤرخين الفرس، وختم كتابه بالفصل السادس تحدث فيه عن نكبة البرامكة مبديا حصرته عليهم، وواضعا اللوم على الخليفة الرشيد الذي لم يفي لهم حقا ولم يرع لهم حرمة حسب رأيه وهو رأي يشترك معه فيه كثير من الرواة الشعوبيين.

ولا يشك في تعاطف هذا الكاتب مع البرامكة وميله الى تمجيدهم، بدليل لقتصاره على الروايات التي تطري ذكر البرامكة وتنسب اليهم جليل الاعمال وهذه الروايات كما سنلاحظ لم تكن سوى نتاج حركة شعوبية احست بخيبة املها امام السيادة العربية ونمو سلطانها.

ومهما يكن فان هذا المخطوط يبين بوضوح مكانة اسرة البرامكة في نفوس الرواة و المؤرخين الذين ظلوا معجبين باخبار هذه الاسرة حتى ولو كان بعضها غير مطابق وثبوت بطلانها عند اول محاولة لانتقادها اومقابلتها بالواقع وقتذاك.

46- الاتليـــدي (محمد ذياب) ت 1100هـ/ 1688م .

اعـــلام الناس بما وقع للبرامكـــة مع بني العبـــاس، وهو كتـــاب متوســـط الحجم لا ينطبق ما جـــاء فيه على عنوانـــه ، حيث يغطـــي فترة طويلة نسبيـــا من تاريخ الخلافة العباسية واهم ما جـــاء فيه تركيزه على عـــلاقة جعفر البرمكـي بالخليفـــة هرون الرشيد ومنادمته لـــه اما ما عدا ذلك فكلـــه حديث عـــن موضـــوع نكبة البرامكـــة ، حيث فصل في جوانبها المتشعبـــة ومزج فيها الواقـــع بالخيال ، ممـــا يعكس الصورة التي وصلت اليها قضية البرامكة في نفوس الرواة و المؤرخيـــن ، والاتليدي فيما يكتبه عن البرامكة لا يتحفظ في بيان اعجابـــه الشـــديد بهم ، حيث وضعهم احيانا في مرتبة اعلى من مرتبة الخلفاء العباسييـــن انفســـهم .

ويعـــد هذا المصدر احد المصادر الهـــامة التي اشاعت قصة البرامكـــة وروجتها في خيال الادباء والقصاصين في الفترة الحديثـــة اذ كان من اهم مصـــدر الاديـــب " جرجي زيدان " في القصـــة التي كتبها عن موضوع علاقة جعفر البرمكي بالعباســـة اخت الرشيد التي سيرد ذكـــرها .

47- ابن الوكيـــل (يوسف بن محمد) ت بعد 1114هـ/ بعد 1702م .

احســـن المسالـــك لاخبار البرامـــك ، مخطوط ، وصاحبـــه كاتـــب واديب ، صرح في بداية مخطوطه انـــه اول من افرد تاليفا خاصـــا للبرامكـــة (1) مـــع العلـــم انـــه - كما اشـــارهـــو بنفســـه - قد اعتمد على

---

(1) - جاء في مقدمة المخطوط ، " ... وكان ممن وصف بها في دولة الاسلام وتوليت ماثرهم فيها على السنة الايام اجناس الناس بني برمك وزراء بني العباس ، ومـــع ذلك لم يفردهم احد بالتأليف ، ولا عرفهم حق التعريف ، انما ذكر لهم المؤرخون اخبارا متبددة .. "

Manuscrit Arabe, N° 210 7 de la Bibliothèqàe Nationale (Folio 2 verso).

على مصادر معروفة ومتداولة (1) مثل كتاب " تاريخ الرسل والملوك " للطبري وكتاب "مروج الذهب" للمسعودي ، وكتاب " وفيات الاعيان " لابن خلكان ، ويتضمن المخطوط مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . تحدث في المقدمة بايجاز عن مصطلح الوزير وتطور مدلوله في نظام الدولة الاسلامية ، وخصص الفصل الاول لـ "خالد البرمكي " وابنه " يحيى " وتحدث في الفصل الثاني عن الفضل بن يحيى اما الفصل الثالث فخصصه لـ "جعفر البرمكي " وختم حديثه عن البرامكة بالكلام عن الظروف التي تمت فيها نكبتهم واورد ماقيل فيهم من شعر ، والملاحظ ان الكاتب قد قضى على وحدة الموضوع نتيجة محاولته احترام تقسيم الفصول التي التزم اتباعها . ورغم انه حاول سرد تاريخ كل فرد من افراد اسرة البرامكة الا انه لم يوفق بحكم ارتباط الاحداث ببعضها ، ولذلك فان اغلب ما جاء به كان عبارة عن سرد لمختلف الروايات التي سبق وان ذكرت عن البرامكة دون تمحيص او محاولة انتقاد رغم غرابة بعضها وبعدها عن المعقول ، ويلاحظ عن الكاتب ميله المبالغ فيه الى البرامكة وتاثره بالروايات التي تمجد دورهم في تاريخ الخلافة العباسية ، وهي صورة تعكس بوضوح مدى اعجاب الكثير من المؤرخين والادباء بهذه الاسرة على مر الاجيال حيث ان اغلب الروايات التي اعتمد عليها صاحب هذا المخطوط لا تزيد عن تعداد محاسن اسرة البرامكة وافضالهم كما انها توحي بانتقاد شديد لموقف الخليفة الرشيد من وغيره حيالهم عندما احسوا بتزايد خطرهم على الدولة .

والملاحظ ان هذه الافكار قد ظلت متداولة بين المؤرخين دون محاولة منهم لتمحيصها او الشك في صحتها ، وهي صورة ترفضها الموضوعية التاريخية ، ولا يقبلها النقد التاريخي الحديث .

---

(1) - راجع ما سبق .

والى جانب النصوص السابقة ، تناول موضوع أسرة البرامكة مؤرخون ودارسون محدثون منهم مستشرقون ومنهم عرب مسلمون . ويجب أن أشير في البداية الى أن بعض المستشرقين الأوائل من الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي والتاريخ العباسي خاصة قد كانوا متأثرين بقصص ألف ليلة وليلة . سيأتي ذكرها . ويعتبرونها تستند على وقائع تاريخية ، ولذلك فقد كانت كتاباتهم عن أسرة البرامكة تتميز غالبا بالمبالغة وبالبعد عن الواقع التاريخي أيضا . ولعل أول من حاول منهم كتابة تاريخ الأسرة البرامكة هو: لاهارب " LAHARPE " الذي ألف مسرحية عن البرامكة قدمت للمسرح الفرنسي عام 1778م . والتي طبعت فيما بعد لتكون مرجعا للأوروبيين عن تاريخ هذه الأسرة .[1] . ديك سميري DIXMERIE أولى عناية خاصة بقصة العباسة أخت الرشيد وعلاقتها بجعفر البرمكي حين تناول الحديث عن طبيعة الأحداث وتطورها في تاريخ الخلافة العباسية في عهد الخليفة هرون الرشيد[2]

---

(1) La Harpe, Le Barmacide, Tragédie, Paris, 1778.

(2) Dixmérie, Contes philosophiques et moraux, Londres, 1768, 2Tomes, T. 2.

ســاسي ســلفـــســـتر Sacy Silvester ويعتبر أول المستشرقين الـذين ساهموا في محاولة توضيح تاريخ هذه الأسرة ، وذلك عن طريق نشره لبعض صفحات من كتاب " الفخري في الآداب السلطانية (لابن الطقطقي ـ سبق الحديث عنه ـ كما نشر بعض الصفحات من مقدمة ابن خلدون التي تتعلق بموضوع نقد المؤرخين العرب بسبب تصديقهم للروايات الشعوبية التي وضعت بهدف المس بشرف العائلة العربية الهاشمية،(1)

ولاشك أن هذه النصوص وترجمتها الى الفرنسية قد ساعد بعض المستشرقين فيما بعد على وضوح الرؤية حول تاريخ هذه الأسرة التي كانت غامضة وتتخذ الك،

نرفال جرار Nerval Gerard تحدث عن استمرار اطلاق العامة اسم البرامكة على الذين اشتهروا بالمجنون واللهو كما هو الحال في مصر حالياً (2)

1°) - Sacy Silvestre, Chrestomathé Arabes, 2è)ed, Paris, 1826 . 3Tom ,T 1 . PP 1 - 41, T 2 PP.1 6 77, T3. PP. 370 - 411.

2°)- Nerval Gerard, Voyage en Orient , Paris, 1856, 2 Tom .T 1.

كاترمير . *Quatremere*

وصاحب هذه الدراسة مترجم ومحقق للعديد من المصادر العربية الاسلامية، ومن أهم الاعضاء النشطين في الدراسات الشرقية وأغلب مواضيعه منشورة في " المجلة الأسيوية (J.A). اعتمد في دراسته هذه على المؤرخ " المسعودي " صاحب كتاب " مروج الذهب " المعروف بميله الشديد الى البرامكة .

والدراسة في عمومها تكاد تقتصر على رد وانتقاد هذا المستشرق لآراء " ابن خلدون " الذي حاول فيها الرد عن ادعاءات المؤرخين الذين اعتبروا قصة علاقة جعفر البرمكي بالعباسة كانت سببا في نكبتهم (1) .

شيفير : Schefer قدم نقاطا مهمة في تاريخ أسرة البرامكة فضلا عن نشره مخطوطا لـ " عبد الجليل اليازدي : الذي أشرت اليه سابقا .

وقد استفاد منه كثير من المستشرقين في ابحاثهم ودراساتهم عن هذه الأسرة خاصة المؤرخ " بوفا وسومينيك " - اللذين سيأتي ذكرهما (2)

---

1) Quatremére, Notes sur les Bar macides, (Journal Asiatique), 5ê Srie, T.X.VII? 1861 PP. 106 - 119.

2) Schefer, (Cherstomathie Persone), " notes sur l'Histoire des Bar macides " , Paris, 1885 - 1886, T II.

(2) (2)
" La voix ، ولافوا " " Lammepoale (st). لا ن يـول

ويـرجع لهـما الفضـل فى الاشـارة المبـكـرّة الى المسـكـوكـات المضـروبـة
فى عـهد " هـرون الرشيـد " والتـى تحمـل اسـم " جعفـر البـرمكـي " ،
1 لشيـئ الـذي أمـدّني مادّة مـاديّـة أثبـت مـن خلالـها مـدى سيـطـرة
هـذه الأسـرة على أغـلب المـوءسـسـات الحيـويّـة فى الـدّولـة .
ـ لـويـس شـيـخـو " Louis Cheiko أوّل مـن اهـتم بمصـادر تاريـخ
أسـرة البرامكـة . ونظـرا لنـدرة مصـادر التـاريخ الاسـلامـي
وقـتـلأك وتـوزعـهـا بيـن المكـتبـات العـامّـة والخاصّـة
كمـخطـوطـات غيـر منشـورة وغيـر محـقّـقـة فـان دراسـة هذا الباحـث
بقـيت قـاصـرة عـن تـوضـيح اهتـما
المـوءرخـيـن القـدماء بالـدّور الـذى مثـلتـه هـذه الأسـرة
الفـارسيـة الأصـل فى تاريـخ الـدّولـة الاسـلاميـة . (3)

1°) Lamme - Poole , Catalogue of oriental coins in the British Museum, London, 1875 - 1890, 10 Tom, T 1.

- Lanne - poole, Catalogue of Arabic.Coins in the Kedival librairy, Caîro , London, 1897.

2°) La voix (H), Catalogue des monnais Musulmanes de la Bibliothèque national, Paris, 1897.

(3) ـ لويـس شيـخو، كتـب عـن البـرامـكة ، مجلة (المشرق) ، سنـة (1898) ، جـ1 ، ص478 .

ـ كيرن Kern كتب عن الديانة الهندية القديمة "البوذية"، وأشار اعتمادا على مصادر قديمة وهامة الى أن منطقة بلخ ـ مهد نشاط أجداد البرامكة الديني ـ قد كانت مركزا هاما للديانة البوذية، كما فصل في الحديث عن الدور "النوبهار" معبد البرامكة ـ في الحياة العقائدية لشعوب تلك المنطقة (1)

ـ أدوارد براون Edward (B)، يتبسط في الحديث عن الدور البرامكة في نشر الثقافة الفارسية، ويشيد بأعمالهم الأدبية التي أشاعوها في المجتمع العباسي خلال فترة نفوذ هم الطويلة بيد أن الطابع التعميم الذي تميز به كتاب "براون" وأخذه بظاهر الروايات أغلبها أدبية ... جعله يحكم حكما قاسيا ضد الخليفة الرشيد حين عمل هذا الأخير على التخلص منهم ويلاحظ أن هذه الفكرة قد كانت شائعة لدى معاصرية من المستشرقين، أمثال المستشرق نيكلسون Nickolson (3) وغير

1°) - Kern (H) Histoire du Boudhisme dans l(Inde, Trd Gedeon Heret, Paris, 1901 - 1903 - 2 Tom, T 2.

2°) - Edward (B), à litérary Histoiry of percia, London - Lepsic. 1909.

3°) - Nikolson, litérary héstory of the Arabe, Cambridge 1907.

ـ مـاركو فـيتش مـاريلي (M) Markovitch تـحدث عـن مـجالس الـغناء والـطرب ، وتـشجيـع الـبرامـكـة لـهذا اللـّون من الـفن مـن خـلال حـديثه عـن " دنـانـير الـبرمكيـة " الـتي كـان هـذ االمستشرق مـعجبا بـوافـائـها واخـلاصـها للبـرامـكـة حـتى بـعد نكـبتهم (1)

ـ لـوسـيان بـوفـا Bouvat .L والـكتاب لـه دور عـام فـي احـياء التراث الـعربـي الاسـلامـي كـمحـقق ومـترجـم وبـاحـث في الـعديد مـن الـمجلات الـتاريـخية والفـرنـسية الـمهتـّمة بـقضايا الـتاريـخ الاسـلامي ، استفدت مـن دراسـته عـن الـبرامـكـة وخـاصـّة اشـارتـه في الـمقـدمـة الـى الـمصادر الـتي تـناولـت الحـديث عـن هـذه الأسـرة عـند ماكـانت في بـدايـة جـمع المـادّة لـرسالـتـي (2) ، بـيـد أنّ عـدم اطـلاع هـذا الـمؤرخ الـمصادر الـهامـة الـتي كـانـت تـعد مـفـقودة فـي عـهده كـكـتاب " الـوزراء والـكـتاب " للـجـهشيا ري جـعـل دراسـته قـاصـرة عـن تـوضـيح الـدّور الـحـقـيـقـي لأسـرة الـبرامـكـة فـي الـخلافـة الـعباسـيّـة ،

1°)- Markovitch Marylie, Denanir la musicienne, Revut (Nouvelle Orientale), 8 (1910).

2°)- Bouvat, L, les Barmacides d'Aprés les Historiens Arabes et persons, Edition.Paris .1912.

- جبريــــــل اوديسو Gabrieli Audiso كتاب يؤرخ لسيرة الخليفة هرون الرشيد وعصره ، ويطنب المؤرخ في دور البرامكة ولا يخفي اعجابه الشديد بهم خاصة نشاطهم في الميدان الاجتماعي والثقافي حيث ينسب اليهم اغلب مظاهر اللهو والترف •
اما موضوع نكبتهم فيرجعها الى علاقة العباسة بجعفر البرمكي التي اسرف في تفصيل اخبارها ويلاحظ تأثر الكاتب الشديد بصاحب كتاب " الاغاني " وقصص الف ليلة وليلة " الخيالية لذلك فان كتابه بعيد ان يكون كتابا تاريخيا (1) •

أ- كرستنســـن Christensen ، استغل المصادر العربية استغلالا جيدا في الحديث عن ايران في العهد الفارسي وقد امدني بمعلومات عن ديانتهم القديمة ، والدور الذي مثله "معبد النوبهار" في الحياة العقائدية لسكان منطقة "بلخ" التي كانت تدين بالولاء لأجداد البرامكة (2) •

- جواتيان Goitien ، وهو مؤرخ انقليزي استعنت بتفسيراته القيمة في موضوعين اساسين اولهما ، نقطة الحول في تاريخ الدولة الاسلامية وثانيهما ، موضوع حول اصل الوزارة منشور في نفس المجلـــة (3) تتضمن عـــدة تفسيرات جادة استفدت منها في بعض المقارنات اثناء حديثي عن تطور الوزارة وظروفها في عهد نشاط البرامكــــــة

- دومينيــــك سورديل Dominique ، وتعتبر دراسته من اهم الدراسات في تاريخ الوزارة العباسية حيث قدمه صاحبه كرسالة جامعية لكلية الاداب لجامعة باريس ، وقد خصص للبرامكة عدة صفحات تميزت بتحليل جيد واستعمال محكم لاهم المصادر (4) •

- نيكيتا اليسيـــــف Nikitta تحدث عن تطور نظام الوزارة في العهد العباسي بصفة موجزة دون الاشارة الى مصادره وقد تميز كتابه بتحليل جيد للاحداث وخصــص للبرامكة بعض الصفحات قدم فيها نبذة عن اخبارهم (5) •

---

(1) Gabrieli, A., La vie de Haroun Al Rachid, 7 éd., Paris, 1929)
(2) Christensen, A., L'Iran sous les sassanides, Paris, 1936.
(3) Goitein, A Turning point in The history of the muslim state (Islamic culture), T. XXVIII, (1949), pp. 120-135, (1942), pp. 225-268.
(4) Dominique, S., Le visarat Abbasside 749 à936, Damas, 1958.
(5) Nikitta, E., L'Orfient Musulman au moyen age (622-1260), édition Armand Colin, Collection U, Paris, 1977.

اما الدارسون العرب فاهمهم (1) -

جميـــل نخلة المدور، حضارة الاسلام في دار الاسلام (2)

يعد الكاتب من رواد المورخين العرب في كتابة تاريخ الخلفاء العباسين ووزرائهم اتبع في كتابه اسلوبا غير معروفا في سرد الاحداث التاريخية وذالك عن طريق تسجيلها على شكل نصوص تاريخية وروايات على لسان احد الرحالين الفرس الذي عاش الفترة الهامة من تاريخ نشاط الاسرة البرمكية (56 هـ - 187هـ/772-802م)، ويلاحظ على المؤرخ تعاطفه الشديد مع البرامكة واعجابه المبالغ بسياستهم حيث ينسب اليهم كل الفضــائل في تاريخ الخلافة العباسية خاصة عهد الرشيد كما انه كان شديد النقمة على هذا الخليفة بعد تخلصه منهم حيث يعتبر ذالك نكرانا للجميل خاصة وان البرامكة لم يرتكبوا ذنبا يستحقون عليه هـــذا الجزاء.

-احمد امـــين، ا- ضحى الاســلام (3)، نموذجا من التاليف الموسوعي في التاريخ العربي الاسلامـي خاصة في ميدان الحياة الفكرية والاجتماعية، اعتمدت عليه في الحديث عن اهم رجال الفكر وتاثير افكارهم في المجتمع العباسي، وهذا ما ساعدني على تقييم الوضع الثقافي الذي كان مسرح نشاط البرامكة خلال فترة طويلة نسبيا واثر ذالك في ظـــاهرتـــي الزندقة والشـــعوبيـــة.

ب - هرون الـــرشيد، (4) ويتعلق موضوعه بسيرة الرشيد والظروف النفسية التى كانت تحيط به، وبمواقفه تجاه البرامكة، ويبدو الكاتب هنا متناقضا تناقض الروايات التى اعتمد عليها، واغلبها ماخوذة من كتابي "الاغاني" و"العقد الفريد"، ولذالك فان اهمية ما كتبه في هذا الموضوع قليلة من الناحية التاريـــخية.

-جرجي زيدان، تاريخ الـــتمدن الاســـلامي (5)، موسوعة في التاريخ الحضاري للدولة الاسلامية، ورغم ندرة الاشارة الى مصادره وتحامله على الخلفاء الا ان ذالك لا يقلل من قيمة كتابه لشمولية مادته وتنوعها، وقد استعنت به في التعليق على ميزانية الدولة فـــي عهد نفوذ البرامكة وفي تطور الموالي في العهد العباسي.

---

(1) ساقتصر في هذه القائمة على المراجع ذات الصلة الوثيقة بالموضوع اما بقية المراجع فسيرد ذكرها في هوامش الفصول وفي نهاية هذا البحث.

(2) - ط2، مصر، 1323هـ/1905م. (3) - ط2، القاهرة، 1392هـ/1972م.

(4) - ط1، القاهرة، 1370هـ/1952م. (5) - بدون تاريخ ولا تحديد لمكان الطبع.

— : حاسم آل كلكاوى ، البرامكة والعلويون ، (1)
بحث يتناول موضوع علاقة البرامكة بالعلويين المنافسين
التقليديين للخلفاء العباسيين .
يتميّز الكتاب بنقده للروايات التاريخيّة التى تزعم عطف البرامكة
على العلويين ويستخلص من كتابه أن البرامكة كانوا
يظهرون للعلويين عكس ما كانوا يبطنون : ولذلك فهو يعتبر
هم أخطر على العلويين من العباسيين .
: محمد أحمد برانق . البرامكة فى ظلال الخلفاء (2)
ميزة الكتاب جمعه لروايات والأشعار المتعلّقة بالبرامكة
رغم عدم الأشارة الى مصادره فى أكثر الأحيان .
وقد ركز خلال ذلك على دور البرامكة فى عهد الرشيد رغبة
منه فى إظهار خطر الصراع الحضارى بين العرب والفرس .
غير أن المؤلف لم يوفق فى توضيح ذلك لسببين
الاعتماد على الأسلوب الأدبى والخيال أحيانا فى كلامه
عن الأحداث التاريخيّة .
منهجيته فى كتابة التاريخ كانت غير سليمة ، من جهة
عدم تنوع مصادره وندرة الاشارة اليها . ومن
جهة أخرى ترتيبه للعنا وين الهامشيّة تقضى
على وحدة الموضوع وتسلسله التاريخى .

(1) . مطبعة أهل البيت ، كربلاء ، 1384هـ / 1965م .
(2) الطبعة الأولى ، دار المعارف مصر ، بدون تاريخ .

توفيق سلطان اليوزبكي (1)

الوزارة، نشأتها وتطورها في الدولة العباسية 132هـ/ 447هـ/

رسالة جامعية تقدمت لنيل شهادة الماجستير في كلية الآداب جامعة عين شمس بالقاهرة عام 1968م وهي في عمومها دراسة عامة لبعض الجوانب من تاريخ نمو مؤسسة الوزارة في العهد العباسي، وبعض أدوار كبار الوزراء في الفترة التي حددها وبين أحيانا موقف الخلفاء العباسيين من ذلك.

عبد الله فياض: 2)

تاريخ البرامكة، أول محاولة لكتابة تاريخ هذه الأسرة بالعربية تقدم بها صاحبها لمذكرة نهاية السنة الرابعة ليسانس بجامعة بغداد عام 1948م، والملاحظ أنه لم يستفد من المصادر الأساسية التي لم تكن متوفرة لديه وقت كتابته للموضوع وكان اتباعه لطريقة (العناوين الفرعية) في تحديد بعض الجوانب من نشاط البرامكة قد قضى على وحدة الموضوع ولذلك كانت مذكرته هذه قاصرة عن توضيح الأدوار التي قامت بها هذه الأسرة وأثرها في الدولة ومميزة الكتاب تكاد تقتصر على سرد الكثير من الروايات المنقولة دون اعطائها التحليل اللائق أو التفسير الموضوعي استفدت منه التفاته الى (المخطوطة) التي أشرت اليها والتي لم يكن بوسعه الاطلاع عليها، كما أفادني فياض، في الاشارة (3)

1) الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب، جامعة الموصل، العراق، 1396هـ/ 1976م.

2) الطبعة الأولى، مطبعة المرشيد، بغداد، 1367هـ/ 1948م

3) مخطوطة ابن الوكيل، احسن المسالك، التي اشرت اليها.

الى الفكرة العامّة التى أشاعها أحد المؤرخين الفرس المحدثين - ميرزا عبد العظيم خان كركاني ، فى كتابه (تاريخ برامكة) (بالفارسية) ، الذى لم أتمكن من الحصول عليه ، ويظهر حسب - فياض - أنه كان متحاملا ضدّ الخليفة هرون الرشيد وشديد الميل الى البرامكة ، وبذلك تعطينا هذه الفكرة صورة عن كتابات بعض المؤرخين الفرس المحدثين عن بعض جوانب التاريخ العباسي ، [illegible]

/ عبد الجبار الجومرد ، هرون الرشيد ، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية ، (1) ... دراسة قيمة لسيرة هرون الرشيد ، اراد الكاتب من خلالها الدّفاع عن شخصية هذا الخليفة التى شوهتها بعض الروايات المغرضة ، تميّز اتجاه الكاتب بشدّ النقمة على الحركة الشعوبية وآثارها فى تزييف الحقائق التاريخية وقد تناول موضوع نشاط البرامكة بشيء من العمق والنّظرة الموضوعية يبد أنه أسرف فى الدفاع عن الرشيد ، وبرأه من أغلب الأخطاء التى أرتكبت فى عهده ، - محمد بديع شريف :

/ الصراع بين الموالي والعرب ، رسالة جامعيّة (2) ، كتبت بالألمانية وترجمها صاحبها الى العربيّة ، ونشرت عام 1954م ، تميّز أسلوبه فيها بسيطرة الطابع الأدبي ، وضمور النّقد عنده كما تميّز بمجاراته للمستشرقين فى تفسير الأحداث التاريخية ،

1) الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتاب ، بيروت ، 1397هـ/ 1959م
2) الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، 1374هـ/ 1954

تفسيرا عنصريا ، رغم اعتماده على الكثير من المؤرخين المسلمين .

- شوقي ابو خليل ،

هارون الرشيد ، (1) دراسة لتقييم سيرة هذا الخليفة على اعتبار انه اهم علم في التاريخ الاسلامي خضعت سيرته للتزييف وحبك الاساطير حوله ، ويعتبر المؤلف ان موضوع نكبة البرامكة كانت احدى اهم الاسباب في تشويه سمعة هذا الخليفة ، وذلك بتبني كثير من المؤرخين والرواة الفرس لهذه الفكرة فراحوا يقدحون في شخصية الرشيد ، ويعتبر المؤلف ان ذلك لا يقتصر على هذا الخليفة فحسب ، بل يتعدى هذا القدح الى المساس بالشرف العربي والكيد للاسلام .

- بدوي (عبد الرحمن) ،

التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية (2) ، وهو عبارة عن ترجمة وتحقيق لدراسات الاسلامية (2)

استعنت بكتابة هذا في التعليق عن دور البرامكة الثقافي وقيمة التآليف التي ساهموا في تشجيع ترجمتها .

- محمد مصطفى هدارة ،

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، رسالة جامعية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتورا ه

---

(1) - الطبعة الثالثة ، مطبعة دار الفكر ، دمشق ، 1401هـ/ 1981م .

(2) - الطبعة الرابعة ، سلسلة دراسات اسلامية ، نشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، 1400هـ/1980م .

الادب العربـــــي (1) • استفدت منها في تحديد اغراض واتجاهات الشعـــــراء الذين التفوا حول اسرة البرامكة ،ودور هذه الاسرة في بلورت اتجاه المدح والاســـراف فيه ،وذلك من خلال سياسة العطاء والمنح التي كان البرامكة قد بالغوا فيـــــها

محمـــــد محمـــــدي ،

التر‌جمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى (2) ،دراســـــة ببليوغرافية جيدة عن التراث الفارسي المترجم الى العربية ،افادتني في تقييم دور البرامكة في بعث التراث الفارسي في الحياة الثقافية للمجتمع الاسلامي خلال فترة نفوذهم وآثـــار ذلـــــــــك •

محمد جمال الدين سرور ،

الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة (3)

دراسة سياسية هامة تميزت بالاتزان بالاستغلال الجيد للمصادر استفدت منها فـــــي تفسير بعض الاحداث المتعلقة بالعصر العباسي والظروف المتحكمـــة فيها •

---

(1) ــ الطبعـــة الثانية ،دار المعارف بمصر ،القاهـــرة ،1386هـ/1966م

(2) ــ منشورات قسم اللغـــة الفارسية وادابهـــا ،الجامعة اللبنانية ،بيــــروت، 1384هـ/1964م •

(3) ــ الطبعـــــة الرابعـــــة ، دار الفكـــــر العربـــــي ،القاهرة 1393هـ/ 1973م •

- محمد ضياء الدين الريس،

الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دراسة جادة
في النواحي الاقتصادية من وجهة نظر مؤرخ عربي مسلم
وهي من الدراسات التي ظلت حكرا على المستشرقين .
ولذلك فان هذا البحث ، يعد اول لبنة في التاريخ الاقتصادي
للدولة الاسلامية .
استعنت به في التعليق على مظاهر نشاط العهد الاول من حكم الخلفاء
العباسيين في الميدان الاقتصادي ، واهمية دور البرامكة في ذلك .
كما استفدت منه في تحديد بعض المصطلحات الاقتصادية التي كان للبرامكة
سببا في تطويرها .

- محمد أمين غالب الطويل ،

تاريخ العلويين (2) ، يتضمن الكتاب مجمل اخبار العلويين المنافسين
السياسيين للخلفاء العباسيين ، وموقف هؤلاء منهم .
اعانني هذا الكتاب على فهم دور الوساطة التي كان يلعبها بعض افراد
البرامكة بين العلويين والعباسيين ، كما اشار بالتفصيل الى علاقة الفضل
البرمكي ب " يحى العلوي " الثائر في اقليم " الديلم " في عهد
" الرشيد " ، ودور الفضل في ايقاف القتال بين المسلمين .

- طاهر مظفر العميد ،

بغداد مدينة المنصور المدورة (3) ، رسالة جامعية ، قدمها صاحبها الى جامعة بغداد
بغداد لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية .
تميزت بالتوثيق المحكم ، وبعض الرسومات التخطيطية للمدينة . استفدت منه
في مدى جدية الخليفة العباسي الثاني " ابي جعفر المنصور " في بناء عاصمة
جديدة للعباسيين ، باتخاذ العدة الكافية لاتمام هذا المشروع الهام . ،
مما ساعدني على تقييم الروايات التي تظهر فضل "خالد البرمكي " عند استشارة الخليفة له

---

(1) - الطبعة الرابعة ، دار الانصار ، القاهرة ، 1397هـ/ 1977م .
(2) - الطبعة الثالثة ، دار الاندلس ، بيروت ، 1399هـ/ 1979م .
(3) - الطبعة الاولى ، مطبعة النعمان ، النجف ، بغداد ، 1387هـ/ 1967م .

ومما يجدر بي ملاحظته هنا : أنني أثناء رحلتي العلمية الى القاهرة للاستقراء والاستقصاء ، استشرت فهارس البحوث وكنوز الرسائل الجامعية في موضوعات شتى من التاريخ الاسلامي ، والعباسي قدمت لجامعات مصر . وأعتبر أن أهمها :

- رسالة بعنوان :

تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،أفادتني في تقييم وتتبع دور العناصر الفارسية في الوزارة وتنظيمهم لهذه المؤسسة الهامة في تاريخ ادارة الدولة الاسلامية . وبخصوص" أسرة البرامكة " ركزت الباحثة على دور " يحى البرمكي " وسلطته الواسعة زمن الخليفة الرشيد ، التى أدت في نهاية الأمر الى نكبة الأسرة .(1)

- رسالة بعنوان :

تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي الى نهاية القرن الرابع الهجري ،(2) استعنت بها في ضبط أقسام بلاد العراق الادارية وكيفية تعيين

(1) هامية توفيق عبد الله ، قدمتها لكلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1391هـ/ 1971م .

(2) محمد توفيق خفاجي قدمها لكلية الآداب ، جامعة القاهرة عام 1386هـ/ 1966م .

الأمراء على مختلف الأقاليم ، كما أفادني الباحث في دور العديد من الاداريين البارزين ومنهم بعض أفراد البرامكة .

– رسالة بعنوان : الحركات المناهضة للخلافة العباسيّة في الشرق الاسلامي منذ قيامها حتى أوائل القرن الثالث الهجري (1)

بينت فيها الباحثه بخصوص البرامكة أنّهم كانوا يمثلون الحزب الفارسي وأنّهم قد عملوا على تطويره في الخلافة العباسيّة خاصة عهد الخليفة هرون الرشيد ، وأن نكبتهم كانت نتيجة للصراع القومي بين العناصر العربية الحاكمة والعناصر الفارسية الطموحة الى المناصب العليا للوصول الى الحكم .

وانتهت الباحثة الى القول بأن نكبة البرامكة لم تحد من النّزاع العربي الفارسي بل كانت عاملا أساسيا في تجدّده بطرق أخرى وبأساليب مختلفة .

– رسالة بعنوان : طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الأوّل ، خصص الباحث فيها فصلا للوزراء تحدّث فيه عنهم على اعتبار أنّهم كانوا يمثلون احدى الطبقات الهامة في المجتمع العباسي .

وأشار بصفة الى المكانة الاجتماعية التي وصلت اليها أسرة البرامكة ، والى حياة الترف والمجون التي كانت تعيشها هذه الأسرة . وتحدّث

(1) سامية محمود ابراهيم نصار ، قدّمتها لكليّة الاداب جامعة القاهرة ، عام 1403هـ/ 1983م .

(2) لمائق نجم مصلح ، قدّمها لكلية الاداب جامعة عين شمس القاهرة عام 1391هـ/ 1971م .

بايجاز عن الدّور الاجتماعي والثقافي الذي ساهم به البرامكة فى الخلافة العباسيّة عصر نفوذهم

رسالة بعنوان : نظم بلاط العباسيين، ورسومه فى بغداد 132هـ/ 656هـ/ (1) أستعرض فيها الباحث مجمل نظم الخلفاء العباسيين ودور الوزراء فى تنظيم قواعد الرسوم ، وأشار بايجاز الى دور أسرة البرامكة - جعفر البرمكي خاصّة - فى بناء القصور للترفيه والتنزه

رسالة بعنوان : الحياة السياسيّة فى خرسان من بداية العصر العباسي حتى آخر القرن الثالث الهجري (2)

ركزت الباحثة فى هذه الدراسة على دور الموالي الخراسانيين خاصّة فى الخلافة العباسيّة وبيّنت أن المنافسة بين الخرسانين الفرس والعناصر العربيّة قد تجلّت فى عهد الخليفة هرون الرشيد وقد كان للبرامكة دورهام فى تزكية وتنشيط ذلك ، ووضّحت الباحث أن هذا السياسة المتبعة من قبل البرامكة كانت عاملا أساسيا فى تعجيل سقوطهم على يد العناصر العربية التى تخوفت من ازدياد سلطانهم .

1) عمر محمد سعيد ، موعد ، قدّمها لكلية الاداب ، جامعة عين شمس القاهرة ، عام 1390هـ/ 1970م

2) سامية توفيق عبد اللّه قدّمتها لكية الآداب ، جامعة القاهرة عام 1399هـ / 1979م

- رسالة بعنوان «بناء بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور» (1)، يبين فيها الباحثة بالتفصيل مجهود الخليفة العباسي المنصور فى بناء المدينة ولم تتحدث عن مشاركة " خالد البرمكي " فى هذا المشروع ، باستثناء استشارة الخليفة له لمعرفة رأيه فى العملية ، على غرار مافعله الخليفة مع بقية أصحابه وأعوانه .

- رسالة بعنوان : هرون الرشيد وعصره بين حقائق التاريخ وشائعات المغرضين (2) حاول فيها الباحث الدفاع عن الخليفة " هرون الرشيد " من خلال نقده لكثير من الروايات المغرضة التي تصفه بحدة المزاج ، وتطعن فى تصرفاته وموقفه . وذلك عن طريق تتبع الباحث لنشأة هرون واهتمام والده المهدي باعداده الاعداد الجيد لتحمل مهام المستقبل كما فند الباحث الروايات التى ترجع أغلب الأعمال الحكيمة فى عهده الى أسرة البرامكة واعتبر موقف الخليفة منهم ومن العلويين موقفا صائبا فرضته مصلحة الخلافة ومقتضيات أمنها .

9 - رسالة بعنوان : أثر الفرس السياسي فى العصر العباسي الأول (3) تتبع الباحث فى رسالة علاقة الفرس بالدولة الاسلامية منذ نشأتها

---

(1) رمزية محمد الأطرقجي قدمتها الكلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، عام 1387هـ/ 1967م .

(2) أحمد ابراهيم حمور قدمها لكلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر، القاهرة عام 1389هـ/ 1969م .

(3) عبد الرحمن العمرى قدمها لنفس الجامعة أيضا، عام 1397هـ/ 1977م .

مبينا دورهم في تاريخها ، وطموحهم المتزايد في السعي الى المناصب العليا على امل الوصول الى الحكم واحداث الانقلاب الفارسي .

ويبدو ان الباحث قد بالغ كثيرا في اظهار خطـــر هذه العناصر على مستقبل الدولـــة حيث ينفي الدور الريادي الذي كانت العناصر العربية تقوم به مقابل ذالـــك .

وبخصوص اسرة البرامكة يعتبرهم الباحث - اهم من كانت تعلق عليهم الامال في احداث هذا الانقلاب الفارسي على الخلافة العربية الاسلامية .

- رسالـــة بعنوان ، الشعوبية واثرها في الشعر العربي (1) ،

استعرض فيها الباحث نشاة ظاهرة الشعوبية في المجتمع العباسي ، ولاحظ ان اسرة البرامكة قد عملت على تشجيع المد الشعوبي في تاريخ الخلافة العباسية بحكم مركزهم السياسي و مكانتهم الاجتماعية ، وبخصوص موقف الخليفة الرشيد منهم لاحـــظ الباحـــث كيـــف ان ذالك استغـــله الشعـــوبيـــون لافـــي الحجـــال الادبـــي فحسب ، بل تجاوز ذالك الى رد فـــعل سيـــاسي تمـــثل فـــي احـــداث الفتنة بـــين الاخـــوين " الاميـــن " و " المامـــون " ابنـــي الخلـــيفة هـــرون الرشـــيد ، وفي محـــاولة " الفضـــل بن ســـهل " صنـــيع البـــرامكة ووزيـــر " المامـــون " ، لتجديد المخطط الشعـــوبـــي .

---

(1) صـــالح محمود سليمان ، قدمها لكلية اللـــغة العـــربية ، جامـــعة الازهـــر قسم التاريـــخ والحضارة عام 1398هـ/1978م .

هذا كتاب تواريخ آل برمك • رحمهم الله تعالى وتبارك •
من مؤلفات عبد الجليل اليزدي افاض الله سجال مغفرته •
على تربته مقبرته • بدءت كتابته لسلطان الاقاليم •
السلطان سليم • نور الله مرقده • وفي عيش السعداء
الرغدة • وختمت لولده الخاقان • باسط الامن والامان •
وارث ملك سليمان السلطان سليمان • طول الله عمره •
ويسر امره • اللهم كما زينت صحايف العواطف بطغراء حمده الوارف •
احفظ ساحة سرادق جلاله من عروض الوقايع
ووقوع المخاوف • آمين بحرمة محمد الامين • عليه افضل الصلوات
وعلى آله اجمعين • الى ساعة قيام يوم الدين • م

اليازدي (عبد الجليل) : تاريخ آل برمك، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، رقم 1351 .

بار جاف الفضل بن الربيع بالبرامكة وانه يلي مكانهم فقال له أبلغ
من امرهم انه قد غاب عنه [illegible] ولا رغب [illegible] وبالتشبه ذلك
وعرف وجوه [illegible] ان اعلم بينها : ما سالني الا اخبر قبل ذلك فقلت
هذين البيتين في ذلك وجئتم بها اذا كان وقد قال نفر عندك
[illegible] اخبرنا بالبرامكة اذا لم يبق الحق نحمل وقال لي [illegible]
فعدوا بين الخيانة ثم ان جعفر بن يحيى جمع المنجمين وامروا له الطالع
[illegible] في [illegible] و[illegible] يوم السبت اتيانه والعشرين
من المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وكان نازلا في السبت [illegible]
عند الرشيد بالدير وكان ان ركب يركب معه من غلمانه اربعة الا
من عسكر الرشيد اكثرهم ومن عسكر [illegible] الذين كانوا متهمين بالحفظ
[illegible] فخرج من دار الرشيد عائدا الى داره وهم معه
[illegible] داره تفرقوا وجلس في داره مع غلمانه وجماعة [illegible]
كان بنادمهم في [illegible] وكان [illegible] وكان يوقفهم بما يعتمد
بعد خروجه في املاكه واسبابه والرشيد قد وكل به من يعلمه بخبره فاخبر
الرشيد انه قد بقي وحده وتفرق الجند عنه فامر الرشيد [illegible]
السياف [illegible] فيه بيده [illegible] الدار فقتل ثم امر [illegible]
اربعمائة غلام من [illegible] ما لبكه فاذن [illegible] ثم امرهم [illegible] التلاح

المقريزي (احمد بن علي) ، المقفى ، مخطوط ، نسخة مصورة عن المخطوط ، مكتبة د. سهيل زكار الخاصة .

واو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهاب الحليم التواب المنزه
عن الشبيه والنظير الغني في ملكه عن الظهير والوزير
والصلاة والسلام على اكرم مبعوث للامم واعظم
منعوت بمحاسن الاخلاق والشيم محمد النبي شرفت
به الوجود وفضلته على كل موجود وعلى اله رجال
الايام واصحابه ثمال الايتام وبعد فلما
كان الكرم احسن غريزة في الانسان وهو والحلم
فرسا رهان بهما تصاد المفاخر وتخلد على صفحات
الايام محاسن الماثر وتنشر المدائح وتستر
القبائح وكان ممن وصف بهما في دولة الاسلام
وثبت ماثرهم فيهما على السنة الايام واجمع
على اجتماعهما فيهم اجمع الناس بنو برمك
وزراء بني العباس ومع ذلك لم يفردهم احد
بالتاليف ولا عرفهم حق التعريف انما ذكرهم
المؤرخون لخبر امتد به واخبارا غير
منضبطة لا يظفر بها الا من تتبع كتب الاخبار
وطالع تواريخ الاعصار فخطر لي ان اجمع ما
تفرق من اخبارهم واحرر ما اخلقه الدهر

ابن الوكيل (يوسف بن محمد) ، احسن المسالك لاخبار البرامك ،
مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية ، باريس ، رقم 2107 .

الفصل الثاني

أصل أسرة البرامكة
وعلاقتها بالدولة الإسلامية

لايزال موضوع أصل أسرة البرامكة احدى النقاط الغامضة في تاريخها ، ورغم مجهودات المؤرخين القدماء والمحدثين في الكشف عن هذا الغموض ، فإن المعلومات عن هذه المسألة قليلة ومتناقضة أيضا وقد يكون للبرامكة نصيب في هذا الغموض حيث كانوا قادرين على تشجيع علماء الأنساب ورواة التاريخ في البحث والاستقراء عن أصلهم بحكم مركزهم الاجتماعي والأدوار التي مثلوها في الدولة الاسلامية

ولعل هذا السكوت المتعمد عن هذا الموضوع هو ما جعل أحد الكتاب يعتمد على نسب وعمين حين أراد التحدث عنهم (1) في حين اكتفي بعضهم بإرجاع أصلهم الى ملوك الفرس القدماء (2) ،

والتحقيق في مسألة أصل البرامكة أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤرخين المحدثين الا أنهم وصلوا الى نتائج يصعب تصديقها لتعارضها مع الواقع من جهة وافتقارها الى الروايات التي تسندها

---

(1) نسب البرامكة الى جدين وعمين ، دون تحديد أية معلومة عنهما أولهما كان اسمه " يشتاسب " وثانيهما اسمه " جماسب " أنظر ، زامباور (مستشرق) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه جماعة برئاسة زكي محمد حسن ، مطبعة جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، 1371هـ / 1951م ج1: ص13 ،

(2) خواند مير (غياث الدين همام) ، حبيب السير (بالفارسية) ، طبعة حجرية ، استنبول (تركيا) ، 1271هـ / 1954م ج1 ص805 ، ابن الوكيل (يوسف بن محمد الميلوي) أحسن المسالك لأخبار البرامكة مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس ، قسم المخطوطات العربية رقم 2107 ، ورقة 11 ب ،

من جهة أخرى و(1)

ذلك أن عملية البحث في أصول وأنساب العائلة لا يزال من

النقاط الصعبة التي تعترض الباحثين في تاريخ العصور القديمة

والوسطى ، لندرة الوثائق الأساسية الموثوق بصحتها ،

ومهما يكن فقد أشاع المؤرخون نسبة هذه الأسرة الى برمك واعتبوه

جدها الاول ومنه اشتق لها اسم البرامكة وهو الاسم الذي تعرف به هذه الاسرة في التاريخ (2)

والمتفق أن كلمة برمك البوذية وتعني ليست اسما بل لقبا يطلق على القائم بشؤون

المعابد في الديانة البوذية وتعنى بالعربية "المحص" أي مص السم بحيث

يزعم أن برمكا كان يلبس خاتما مسموما

(1)- CH.SCHEFFER,Notice sur histoire des barmacddes (Chrestomathie persane) , T2. (1885) ,PP. 5-18.
- NADVI ,S.S , THE ORIGIN of the Barmakids ,(Islamic cultur), VI (1932) ,PP. 19-28 .
- L. BOUVAT , les Barmacides d apres les historien Arabe et Persans , Paris ,1912. PP15 . 25-31 .
(2)- DOMINIQUE SOURDEL ,Le visarat Abbasside de 749à936? Istitut Français , Damas ,1959 ? TI.PP. 129-131 .

- عبد الله فياض ، تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد ،

بغداد ، ، 1367 هـ / 1948م ، ص 46 ،

حتى اذا تعرض لغزو او وقع في اسر اسرع الوصول بما في الخاتم من سم ليحفظ اسراره ويصون كرامته من الغزاة (1) •

وتاريخ البرامكة - اجداد الاسرة - قد ارتبط بنشاطهم الديني في مدينة " بلخ (+) التي كانت وقتذاك مدينة مقدسة تقصدها الشعوب المجاورة وتزورها سنويا للحج وتقديم القرابين (2)" • ساعدها في ذلك موقعها الاستراتيجي ، واشرافها على الممرات الرئيسية

---

(1) - ابن فقيه (ابو بكر احمد بن ابراهيم) ، مختصر كتاب البلدان ، تحقيق دي جويه مطبعة بريل ، ليدن ، 1302هـ/ 1885م ، ص223 •
محمد احمد برانق ، البرامكة في ظلال الخلفاء ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 11•
(+) - بلخ ، من اشهر مدن خراسان ، تقع الآن في جمهورية افغنستان كانت ضواحيها خصبة بسبب استفادتها من مياه نهر " جيحون " الشهير الذي كان يسمى وقتذاك " بنهر بلخ " ، وقد كانت غلاتها الكثيرة تحمل الى اغلب مدن خراسان ، كما كانت من الناحية السياسية مركزا لعائلات نبيلة مثلت ادوارا هامة في تاريخ الفرس القديم ، وقد دخلت المدينة و ضواحيها ضمن حدود الدولة الاسلامية في عهد الخليفة " عثمان بن عفان "
(2) انظر، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1399هـ/ 1979م ، ج 1 ، ص 479- 480 والحميري (شهاب الدين) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1395هـ/ 1975م ص 96 و البلاذري ، (ابو العباس احمد بن يحيى) فتوح البلدان ، تحقيق عبد انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين 1377هـ/ 1961م ص574 و الاصطخري (ابو اسحق ابراهيم الكرخي) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، دار القلم ، بيروت ، 1381هـ/ 1961م ، ص74•
(2)-ROBERT FOSSIER;LE Moyen Age(les mondes nouvaux350-950) Editeur ,Armand colin, Paris, T1. P.193 .
-BARTOLD,EIe, ART(AL BARAMIKA)T3. PP. 1064-1065.
FRYE ,R.N, ART(BALAKH), T1. PP. 1031-1032.

الرابطة بين الهند وايران (1)

ويبدو أن أجداد البرامكة كانوا كغيرهم من أشراف المدينة

قد فكروا في مشروع ديني جديد سيكون له الأثر

الكبير على احتلالهم المكانة الهامة بين سكان المنطقة.

ويعزى ذلك الى اعتمادهم على وصف الكتابة بـ(مكة)

أو غيرها في غنى القرشيين (2) حيث سعوا الى بناء

معبد يكون له من المكانة

---

(1) أنظر اليعقوبي (أحمد بن اسحق)، كتاب البلدان

مطبعة بريل، ليدن، 1306هـ/ 1891م، ص 237 ـ 238،

المقدسي (المعروف بالبشاري)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،

تحقيق دي جويه، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1324هـ/ 1906م،

ص322، وما بعدها، الاصطخري، المسالك، ص155 ـ 156، موريس

لومبارد، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/ 1979م،

Frye, Op., cit., T.1, p. 1032. ص156 ـ 157،

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 3).

Nadvi, Op., cit., p. 21.

Bartold-Sourdel, Op., cit., T.1, p. 426.

فـــــــي نفوس سكان المنطقة ما لمكانة الكعبـــــة لدى العرب (1) ، وحسب وصف المصادر التاريخية المبالغ فيه لهذا المعبد الذي اطلق عليه اسم " النوبهار " (*) يكون البرامكة الاوائل قد انفقوا عليه اموالا ضخمة . اذ يروى انهم اتخذوه مضاهاة لبيت الحرام بمكة ، وتفننوا في طريقة بنائه وذلك بوضعه على قاعدة مربعة يزيد ارتفاعهـــــا عن مئة ذراع وحفوا بها اروقة مستديرة ، ثم نصبوا حولها اصناما وتماثيل كثيرة وارفقوا بالمعبد ثلاثمئة وستين مقصورة ، اتخـــــــــــذت

(1) ــ كان العرب قبل الاسلام يعظمون الكعبة ويقدسونها ، حيث كانوا يزورونـــها سنويا للحج والعبادة ويقدمون لسدناتها القرابين والاموال الكثيرة ، فقد جنت قبائل قريش العربية من ذلك ارباحا طائلة بحكم اشرافها على الكعبة ، فضـــلا عما يرد اليها من مدخول وافر نتيجة وساطتهم التجارية بين القبائل العربيـــة من جهة وتجارات الشرق والغرب من جهة اخرى . انظـــــر ،
ياقوت الحموي ، معجـــــم البلدان ، ج 5 ، ص 181ــ188 . ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهـــــر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـــد ط 3 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1402هـ / 1982م ، ج 2 ، ص 46ــ 52 . ، الفردوســـــي ، (ابوالقاسم) الشاهنامه ، ترجمها واعادها نثرا الفتح بن علـــي البندراني ، تحقيق عبد الوهاب العزام ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1350هـ / 1932م ، ص 323
القزويني (زكريا بن محمـــد) ، كتاب آثار البلاد ، نشر غرديناند وستنفيلدن برســـــل ، 1368هـ 1948م ، ص 221

(*) ــ كلمة هندية الاصل مركبة من كلمة "نو" وتعني الجديد وكلمة بهار وتعنـــي نوعا من الريحان . وقد كان من عادة سكان المناطق الهندية تكليل بناتهـــم الجديدة بالزهور . وبخصوص هذا المعبد تقول الرواية انهم عقدوا علـــى تسميته باول نوع من الزهور ينبت في ذلك الفصل ، فكان " البهار " فسمـــي المعبد بذلك النوع .
قارن ، ابن الفقيه ، مختصــــــــــر ، ص 223 ، ب ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 207 ، و ، ب دائرة المعارف الاسلامية نقـــــلا عن ،
-S.T. GULIEN, Memoire sur les contrees occidentales T1' p30.
-BOUVAT, op;cit ,pp,28-30 .
-DOMINIQUE? op ,cit, T1. P129.

كمساكن لخدام المعبد والقائمين بشوءونه (1) •

وقد حرص البرامكة على أن يكون المعبد مشرفا على أغلب بنيان مدينة بلخ ، حتى يرى من بعيد ومن كل الجهات ولذلك نصبوا في أعلاه رماحا تحمل قطعا طويلة من قماش الحرير (2) •

وفى سبيل تدعيم هذا المعبد ماديا الحق به ماحوله من الأراضي والضياع الفسيحة (3) ، كما منح للبرامكة حرية التصرّف فى استخدام سكان تلك الضياع كعبيد فى خدمة هذه المؤسسة الدينيّة ، وتزعم بعض الروايات أن هوءلاء السكان كان يسعدهم جدّا أن يكونوا عبيدا لـ " برمك " ، ولذلك فقد كان الذين لم ينعموا بهذا الشرف من سكان ضواحي مدينة بلخ يحرصون على وقف ضياعهم عليه وحمل منتوجاتهم الى " برمك " التماسا لرضاه وعفوه • (4)

(1) تقول الرواية أنه خصص لكل خادم مقصورة ليوءدي خدمة للمعبد في يوم واحد فقط ولا يعود الى خدمته حولا كاملا ، مما يستنتج أن هوءلاء كانوا يحسبون السنة ثلاثمئة وستين يوما فقط •

أنظر التفاصيل عند ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 307 ، ص 223 ، ابن الفقية ، مختصر ،

(2) تقول الرواية أن القماش قد أخضر من اللون الأخضر ، وكانت تصل القطعة منه الى حوالى مئة ذراع • المسعودى مروج ، ج 2، ص 238 • 239 •

(3) بلغت مساحتها على مايروى حوالى سبع مئة وأربعين (740) ميلا مربّعا . Bartold, EI, Art (Al Baramika), T.1, pp.1065-1066

(4) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ج 5 ، ص 308 • و 27 ،

و ، محمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص 13 •

ال

ولعل هـــذه الثروة واليـــد العاملـــة الرخيصة التي وضعـــت تحت تصرف البرامكـــة كانت من اهم العوامـــل التي ساعدتهـــم على الانفـــاق بدون حســـاب على المؤسســـة الدينيـــة حيث تشير الروايات التاريخية ـ وظاهـــرة المبالغة فيهـــا واضحة ـ ان معبـــد " النوبهـــار" قد زين بالديباج والحـــرير ، وان اغلـــب جدرانه كانـــت قـــد رصعـــت بأجود واغلى الحجارة الكريمـــة (1) •

ويستنتـــج من وصف هؤلاء المؤرخيـــن ان البرامكـــة كانـــوا يشرفون على خدمـــة الديانة البوذية ولا عـــلاقة لهم بالديانـــة " المجوسية" (+)

---

(1) ـ انظر ، المسعـــودي ، مـــروج ، ج 2 ، ص 223 و ، القزوينـــي آثار ، ص 221 ، و ، ابن النديـــم ، الفهرست ، تحقيق رضا تجـــدد طهـــران ، 1391هـ/ 1971م ، ص 409 ـ 410 ، و ، احمد محمـــد برانـــق ، البرامكـــة ، ص 12 ـ 13 و ،
- BOUVAT ,OP.CIT. P.26 .

(+) المجوســـية ، ديانة الفرس القديمة ، يقدسون فيها النـــار ويعتـــبرونـــها مـــصدر الحياة ، وانها الواسطـــة بين الله وخلقـــه وبيوت النـــار عنـــدهـــم معظـــمة ومهابة يقدمون لهـــا القرابيـــن ويطوفون حولها عراة •
حول تفاصيل هذا الموضـــوع راجع ، المسعـــودي ، اخبار الزمان ، ط2 ، دار الاندلس بيروت ، 1386هـ/ 1966م ، ص 101 ـ 102 ، ولنفس الكاتب ، مروج ، ج 2 ، ص 238 ، الاصطخري ، المسالك ، ص 74 ، كريستانسن ، ايران في عـــهد الساسانيين ، ترجمة يحى الخشاب ، مطبعة لجنة التاليف ، القاهرة 1377هـ/ 1957م ، ص 19 ، 130 • احمـــد امين فجر الاسلام ، ط11 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهـــرة ، 1395هـ/ 1975م ، ص 90 •

ـ الفارسية ـ ، كما هو الشائع (1)

غير أن المؤرخ والرحالة المسعودي (2) " قد حاول أن يربط هذا المعبد بتاريخ ملوك الفرس ، حيث أشار الى أنهم كانوا يقصدون " البيت الحرام " من أرض الحرب قبل الاسلام " ويطوفون تعظيما له .) وأنهم كانوا يهدون سدنته الأموال الكثيرة والجواهر الثمينة) وأن آخر من حج من ملوكهم كان يدعى " ساسان " .*

(1) *Nikitta, E., L'Orient musulman au moyen age 622-1260, éd. A.Colin, Col. U, Paris, 1977, p. 128.*
Robert, Fossier, Op., cit., p.193.
Nadvi, Op., cit., pp. 26-28.

(2) المسعودي ، مروج ، ج 1 ، ص 242 .

*ساسان ، ؟ هو من عائلة نبيلة ، كان سادنا لبيت نار في اصطخر .) وكان قبل موته قد مكّن أبناءه ـ خاصّة أردشير ـ من الارتقاء الى مناصب هامّة في الدّولة ساعدتهم فيما بعد على الاستيلاء على الحكم ، وتكوين دولة ، توارثوا عرشها ، قرونا حتى سقطت على أيدي المسلمين الفاتحين .)
حول تفاصيل هذا الموضوع ، راجع ، كريستنسن ، ايران ، ص 74 وما بعدها .
و بخضر ، (دائرة المعارف الاسلاميّة) ، مادة . ساسان ، ساسانيّة ، ج 11 ، ص 57 ـ 55 .

مـــــــــؤسس الدولة الساسنيـــــة في ايـــــران (1) •

وليـــس لدي مايدعم هذه الرواية ويظهر انها منتحلة ، القصد منها بيان التسامح الديني لدى ملوك الفرس وعلاقتهم الطيبة بالعرب قبل الاسلام وهو ادعـــاء تكذبه الاحداث التاريخية (2) •

وفضلا عـــن ذلك فان " المسعودي " نفسه الذي افاض في البحث عـــن الاماكن المخصصة للعبادة قبل الاسلام يفرق في حديثه بين " النوبهار " وبيـــوت النار الفارسية (3) •

ومهما يكن من امر ذلك فان الرائج ان لقب " برمـــك " صار يطلق علـــى من يتم بشؤون معبد " النوبهار " الذي اصبح محجا للبوذيين ، يقصده ملوك الهند وملوك الصين وغيرهم من الملوك حيث يتقربون الى اكبر صنم هناك ، بالسجود امامه وبتقبيـــل يـــد برمك تكفيـــرا عن ذنوبهم والتماسا لرضا السادن وعفوه •

واستمرت شهرة " برمك " تزداد باستمرار ، ويبدو انها فاقت شهرة سادن الكعبة في بلاد العرب • حيث صارت له السلطة الزمنية الى جانب سلطته الروحيـــة على كثير من الشعوب البوذية • ، كما ان احكامه واوامره كانت تطبق بكل احترام من قبل

---

(1) ـ استدل المؤرخ المسعودي ، في هذا الموضوع بقول احد الشعراء ـ لم يذكـــر اسمه ـ (من بحر الوافر)

وما زِلْنا نحجُ البيتَ قِـــدمًا ونُلفَى بِالاباطح آمنينـــا
وسَاسَان بن بَابَك سَارَ حَـــتَّى أتَى البَيتَ العَتيقَ يطوفُ دِينَا
فَطافَ به وزمزَمَ عنـــدَ بئـــرٍ لاسْماعيلَ تُروِي الشَا رِبيـــنَا

المسعودي ، مـــروج ، جـ 1 ، ص242 •

(2) ـ انظر عبد الرحمن العمري ، اثر الفرس السياسي في العصر العباسي الاول ، رسالة جامعية ، تقدمها الباحث لنيل شهادة الدكتوراة ، في جامعة الازهـــر كلية الاداب ، قسم الدراسات العليا ، 1397هـ / 1977م ، مكتبة الجامعة ، ص 3 ، ومابعدها •

(3) ـ قارن المسعودي ، مروج ، جـ2 ، ص138 ، 252 ـ 258 ، ب ، الاصطخري ، (ابو اسحاق ابراهيم الكرخي) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحسيني ، دار القلم ، بيروت ، 1381هـ / 1961م ، ص 74 ، و ب ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 5 ، ص 307 ـ 308

ـــــــــن قبل حـــــــــكام وامرء الممالـــــــــك المجــــــاورة لمدينـــة "بلخ" (1) فقد كان هؤلاء الملوك لا يترددون في اعطـــــاء "برمـــك" اغلى الهدايا واثمنها (2)

والملاحظ ان معبد "النوبهار" قد حول الى بيت للعبادة النار على طريقة الديانة الفارسية القديمة ، بيد انه لا يعرف متى تم "ذلك (3) ، وقد حاول بعض المؤرخين ان يربطوا بين اسرة البرامكة وبين تاريخ الفرس فجعلوا "النوبهار" المعبد البوذي بيتا من بيوت النار ونسبوا بناءه الى احد الملوك الساسنيين (١٠٠ واشاروا الى ان اجداد البرامكة كانوا قد تولوا منصب الوزارة ، لملوك الدولة الساسانية (4) ثم زال عنهم ذلك بزوال الدولـــــــة • ، فعوضوا هذه السلطــــــــــة بسلطـــــــة

(1) ـ المسعودي ، مروج ، ج 2 ، ص238•

(2) ـ القزويني ، آثار ، ص 221 ، ابن الفقيه ، مختصر ، ص323 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص308 ، الفردوسي ، الشاهنامه ، ص323 • ، احمد مختار العبادي العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1392هـ / 1972م ، ص 52

(3) ـ انظر ، ابن بدرون ، (عبد الملك بن عبد الله) ، شرح قصيدة ابن عبدون ، تحقيق رينهارت دوزي ، مطبعة الاخويين لختمنس ، ليدن ، 1263هـ / 1846م ص 227 • وينقل عنه الاتليدي (محمد طياب) ، اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، القاهرة ، 1361هـ / 1942م ،

ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 11ب • ، ابن خلدون (عبد الرحمن) ، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، (ب ت) ص 136•

-SCHEFER, Christomathie persane, TI, PP71-72.

(4) -BRWONE, Aliterary history of persia, London-Lepsic, 1909 . P .257 .

-BARTOLD , EIe , ART(AL BARAMIKA) ,TI . PP.1065-1066.

(5) ـ الدولة الساسانية ـ امبراطورية الفرس القديمة ، يرجع تاسيسها الى "اردشير بن ساسان" احد كبار ملوك الفرس ، والى ابنه "ساسان" • ، وقد كانت تسيطر على اغلب ممالك الشرق (خراسان ، اصبهان ، فارس والاهواز ، والعراق حتى حدود بلاد الروم) ، وهي التي تعرضت لحركة الفتوحات السلامية منـــــــذ مراحلها الاولى • ، ويروى انها من اعظم الدول في تاريخ فارس ، واليها ينســـب بعض المؤرخين معظم الاعمال الادارية والاساليب السياسية المتبعة من قبل الخلفاء العباسيين ، انظر ، المسعودي ، التنبيه والاشراف ، طبعة جديـــــدة =

روحـــــية عن طـريق قيـــامهم بخدمـة " النـــوبـــهـــار (1)

واظـــن ان هـــذه الروايـــات التي تربـــط اســـرة البرامـــكة بتاريـــخ "فارس" مشـــكوك فيـــها ولا يمكـــن قبـــولها بسهولـــة لضعـــف حجتـــها فمـــصادر التاريخ الفارســـي القديـــمة لاتتحـــدث مطـــلقا عـــن نشـــاط اسـرة البرامـــكة خارج قـــوامتها لمـــعبد " النـــوبهـــار" ولـــعل مصـــدر هذه الروايـــات قد جـــاء مـــن صنع المؤرخـــين الذين كتبـــوا التاريـــخ بعد احداث تطور هذه الاســـرة فـــي تاريـــخ الخلافة العباسية فارادوا ربـــط ماضـــي هذه الاسرة بالتاريـــخ الفارســـي امعـــانـــا منـــهم فـــي اظهار فـــضل الفرس على الدولـــة الاســـلامية.

= منقحة باشـــراف لجنة تحقيـــق التراث، سلسلة (في سبيل موسوعة تاريخية)، رقـــم 1، منشورات، دار مكـــتبة الهلال، بيروت، 1401 هـ / 1981م، ص103 — 113 . و،

الثعالبي (ابو منصـــور عبد الله)، تاريـــخ غيـــر السيـــر (المعروف بـ، كتاب غـــرر ملوك الفـــرس وسيرهـــم، نشـــر وترجـــمة زوتـــورق، مكتـــبة الاســـدي، طهران، 1383هـ / 1963م، ص 47 وما بعدهـــا .

و، آرثـــر كرستنـــسن، ايـــران، ص72، بخـــنر، دائرة المـــعارف الاسلامية، مـــادة (ســـاســـان)، جـ1، ص47 — 55 .

(1) — انظـــر، عبد المنعـــم ماجد، العصر العباسي الاول او القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيـــين، ط2، مكتبة الانجلو المصريـــة، القاهرة، 1399هـ / 1979م، جـ1، ص190 .

ومهما يكن فان سلطة البرامكة الروحية قد تغيرت تغيرا كبيرا بعد ظهور الاسلام، وفتح القادة العرب المسلمين لمنطقة " بلخ " وما جاورها .

ويروى ان " برمكا " قد رغب في الاسلام فسارع وفد هام الى المدينة عاصمة الدولة الاسلامية وقتذاك، حيث تقابل هناك مع الخليفة " عثمان بن عفان " (23 - 35 هـ / 644 - 665 م) ، واسلم على يديه، وانه كان قد تسمى باسم "عبد الله " (1)

وليس من السهولة بمكان سكوت سكان وامراء المنطقة المجاورة لمنطقة بلخ عن موقف "برمك " من الاسلام وردته عن ديانتهم التي كانوا يضحون من اجلها الكثير ، ولذلك تشير الروايات انهم

---

(1) - تقول بعض الروايات ان " برمك " هذا هو آب "خالد البرمكي" المعروف في تاريخ الخلافة العباسية ، انظره ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، ص307 ، القزويني ، آثار ، ص 222 .

قـــد دخلـــوا مـــع برمك فـــي منازعـــات لارجـــاعه الى دينه الاول (1) ،
وقـــد كان لهذا الموقف اثر كبيـــر علـــى مصير العا ئـــلة البرمكيـــة.
حيث صفـــيت عـــن آخـــرها ،عدا طفـــل واحد منهـــم كانـــت
امـــه قد هربـــت به الى الهـــند ،حيث بقـــي هناك يتربـــى ويتعلّـم ،
الـــى ان استدعـــي بعد ذالـــك للاشـــراف على معبـــد "النوبهار"
بعـــد ان ارتـــد سكان المنطقة عـــن الاسلام (2).

وفـــي الحقيقة فانـــه مـــن الصعب تصديـــق الروايات التاريـــخية
حول موضـــوع اســـلام " برمـــك" ،لأن ذالـــك تكرر مـــع
اكثـــر مـــن شخـــص خلال فترة طويـــلة وفـــي ظروف مختـــلفـــة (3)
فضـــلا عـــن تردد المؤرخـــين

---

(1) ــ اجاب برمـــك احد الملوك البوذيـــين حيـــن طلب منه الرجـــوع الى دينـــه بلتـ بـــما يلي ، " ... اني انما دخلت فـــي هذا الدين اختيارا لـــه وعلما بفضلـــه ، من غير رهبـــة ، ولم اكـــن لارجـــع الـــى ديـــن بادي العـــوار مهتـــك الاســـتار ..." . انظـــر ، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،جـ5 ،ص308 ، وابـــن الفقـــيـــه ، مختـــصر ، ص 223 .

(2) ــ انظر ،ابن الفقيه ،مختصر ،ص223 ــ224 . و ،ياقوت الحموي معجم البلدان ، جـ 5 ،ص 308 ،وينقل عنـــه كـــل مـــن ، بـــرانق ،البرامكة ،ص 14 و ،
—BOUVAT ,OP.CIT. P.36.

(3) ــ احمد مختار العبادي ،في التاريخ ، ص82 و ،
— BOUVAT ,OP.CIT. P36.

عندما يتعرض ن الموضوع اسلام جد البرامكة (1) والرائج أن منطقة "بلخ" تعد احدى أهم المناطق التي ركز فيها المسلمون عمليات الفتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان بحكم موقعها الهام، وأنها قد فتحت صلحا بطلب من أعيان المدينة ولم يكن برمك من بينهم على مايفهم من الروايات (2) يبدو أن هناك ما يشير الى أن برامك نفسه هو الذي صالح الطليفة على مدينة بلخ ثم نكث المسلمون بعد ذلك الصلح حين قاموا بعمليات تخريبية في المدينة ومن غير المنطق أن نصدق قيام المسلمين بمثل هذه العمليات لان ذلك يتطلب جهدا ووقتا كما أن المسلمين لم يعتادوا تخريب المناطق التي كانوا يفتحونها ولعل القصد من ذلك قيامهم بتحطيمهم التماثيل ولا صنام التي كانت ـــــــــــــ

---

(1) ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 11ب عبد المنعم ماجد العصر العباسي ج 1 ص190 • جاسم آل كلكاوي البرامكة والعلويون، مطبعة أهل البيت كربلاء، 1384هـ / 1965م ص9 ـ 12

(1) الطبري ،(محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو لفضل ابراهيم ط4، 313ـ316 سلسلة ذخائر العرب رقم 30 دار المعارف بمصر القاهرة 1397هـ/ 1977م ج4 ص32 ، والبلاذري، فتوح ص574 • ابن الاثير (أبو الحسن علي) الكامل في التاريخ تحقيق نخبة من العماء ، ص23 دار الكتاب العربي بيرت 1403هـ/ 1983م ج3 ، ص63 ـ 64 •

(3) القزويني آثار ص 223 • البلاذري فتوح ، ص575 ومابعدها • و

Dominique, OP cit., T.1, p. 130.

واعتمادا على هذه الرواية ـ رواية البلاذري ـ يستنتج الاستاذ عبد المنعم ماجد أن البرامكة قد أسلموا بعد هذه الحادثة في عهد معاوية بن أبي سفيان انظر عبد المنعم ماجد، العصر العباسي ج 1 ، ص 190 ،

تحيط بالمعبد تشبهها بالكعبة في مكة قبل الاسلام كما اشرت سابقا وهناك من الشواهد ما يؤكد على أن معبد "النوبهار" قد بقي قائما بعد ذلك بكثير (1)، مما يبين ثبوت بقاء برمك على دينه الى ما بعد عام 90هـ/ 708م. كما سنرى

والمهم أنه ليس الذي رواية صريحة تبين بوضوح موقف أحد افراد البرامكة من الاسلام، وحسب نسق الاحداث التاريخية يلاحظ أنهم ظلوا على دينهم لفترة طويلة من العهد الاموي، كما أنه من الصعب بيان علاقتهم بالخلفاء الامويين لندرة الروايات التاريخية التي تهتم بهذا الموضوع وحسب ما تجمع الذي من الروايات يلاحظ أن "برامك" كان ممن حرضوا سكان بلخ على نقض صلحهم مع المسلمين والا لما كانت زوجته احدى أهم سبايا حملة القائد .

---

(1) الجهشياري (ابو عبد الله محمد)، كتاب الوزراء والكتاب تحقيق مصطفي السقا وآخرون، ط 1، القاهرة، 1357 هـ/ 1938م . ص 42، والاصطخري، المسالك، ص 155.

" قتيبة بن مسلم"* التأديبية التى شنّها ضدّ سكان مدينة بلخ وضواحيها سنة 85هـ/ 704م ،

وتطنب بعض المصادر التاريخية فى ذكر تفاصيل قصّة " زوجة برمك" التى صارت سبية عند " عبد الله بن مسلم" أخو" القائد " قتيبة" ، حيث كان قد تسراها فى نفس الليلة التى حملت اليه بعد تقسيم الغنائم بين المشاركين فى الحملة(1) ، وتزعم الروايات أن سكان منطقة بلخ قد أعادوا الصلح مع قائد الحملة" قتيبة" ، وأنهم كانوا قد استرجعوا أسلابهم من المسلمين بعد صباح الغد، وكانت من بينهم " زوجة برمك" التى أعيدت الى بيتها ، بعد

---

*قتيبة بن مسلم (أبوا حفص) ، (49 هـ - 96هـ/ 669م - 715م) ، أمير من أسرة عربية عريقة، ذات مكانه مرموقة فى الدّولة، نشأ فى ظل الخلافة الأمويّة، ولي منطقة الري فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، و اقليم خراسان فى خلافة ابنه الوليد ، كرّس قتيبة، معظم وقته فى فتح المناطق الشرقية للخلافة حتى دانت له أقاليم ماوراء النّهر حتى حدود الصين، وقد كان عظيم المكانة مرهوب الجانب من قبل سكان الشرق ، لذلك كان مقتلة عام 96هـ/ 715م خسارة كبيرة للعرب ، وحركة الفتح الاسلامي على السواء لما له من ذكاء حاد فى الحرب والسلم، وقد رثاه كثير من الشعراء وتذكر البلاذري ، فتوح ، 490 وما بعدها وحول تفاصيل أعماله انظر، الطبري، التاريخ ،جـ 6، 425 - 426، 428، 429 436 - 439 ، 447 وما بعدها حتى ص522، و، ابن الأثير، الكامل ،جـ4، ص105 - 107 ، 114 - 116 ، 135 - 138، و دائرة المعارف الإسلامية، مادة قتيبة بن مسلم، و ، المرزباني (أبوا عبد الله محمد) ، معجم الشعراء، تحقيق كرنكوا ، مكتبة القدسي ، القاهرة، 1354 هـ/ 1935م ص 331 ،

(1) الطبري، تاريخ ، جـ6 ، ص423 - 425 ،ابن الاثير، الكامل ،جـ4ص105 - 106.

ان اخبرت عبد الله بن مسلم بأنها حملت منه في نفس الليلة التي تسراها (1)

ويبدو أن تركيب هذه القصة غير صحيح ولا سبيل الى تصديقه فالملاحظ أن هذه الروايات نفسها تصرح في نفس الاحداث أن عبد الله بن مسلم كان مريضا ان يحتمل ان لا يكون قد شارك في هذه الحملة بالمرة وفضلا عن ذلك فان هذه الحادثة لا ترد جملة وتفصيلا في كتاب التاريخ المختصة بحركات الفتح في الدولة الاسلامية وأرجح ان تكون هذه الروايات قد تمت بايعاز من البرامكة انفسهم لتعزيز مكانتهم في الخلافة العباسية وذلك بربط انفسهم بالنسب العربي وهو رباط وهمي تكرر الكثير من مرة في التاريخ الدولة الاسلامية مع بعض الشخصيات غير العربية اولا للتقرب من البيوت العربية الحاكمة الاسباب مختلفة (3)

---

(1) تقول الروايتان ابناء عبد الله بن مسلم وفاء لوصية ابيهم حاولوا بعد ذلك الحاق خالد البرامكي بنسبهم الا انهم عدلوا عن ذلك الاسباب اجتماعية انظر الطبري، تاريخ ج 6 ص 425 • وابن الاثير الكامل، ج 4 ص 106 ونقل عنها Bovat, Op. cit. p35

(2) البلاذري، فتوح، ص 574•

و(3) الطبري تاريخ، ج 7 ص 491 •، ابن الاثير الكامل ج 4، ص 33، وعبد المنعم ماجد، العصر العباسي، ج 1، ص 191••

ويبالغ المؤرخ " بارتولد Bartold في الرواية رغم عدم ارتياحه لـه حين يزعم أن العملية لم يكن يقصد بها تشريف الدم الفارسي بالدم العربي وانما كان محاولة تقريب البيت العربي من البيت البرمكي أصحاب الحظوة الكبيرلدى الخلفاء العباسيين (1)

ولسوء الحظ فانه ليس لدي لحد الآن مايساعد على تمحيص مثل هذه الروايات التى تحاول تحديد علاقة أسرة البرامكة بالدولة الاسلامية ، فهي الى جانب قلتها تمر مرورا سطحيا على الموضوع دون اسناد أو توثيق وبالاستناد الى واقع الأحداث التاريخية يمكن القول أن البرامكة ظلوا على عدائهم الشديد للمسلمين ، وأنهم كانوا وراء كل انتفاضة فى منطقة بلخ ضد سلطة الخلافة الأموية رغم الصلح الذى كان بينهم وبين قادة الفتح (2)

ومن المرجح أن يكون " برمك " قد ساهم مساهمة فعالية فى تشكيل تحالف أمراء الممالك المحاذية لمنطقة بلخ على التمرد والعصيان ضد القائد

(1) Bartold, EIè, Art (Al Baramika), T.1, pp.1065-1067.

(2) يلاحظ المتتبع لأحداث السياسية فى العهد الأموي (41 - 132 / 661م - 749 م) كثرة الانتفاضات وحركات التمرد ضد السلطة الأمويين فى الشرق ، واتخاذها منطقة بلخ مركزا لانطلاقها ، والمعروف أن البرامكة كانوا يتمتعون بسلطة كبيرة على هذه المناطق كما أشرت سابقا ، ولذلك لا يستبعد أن يكون لهم الدور الاساسي فى اثارتها وتزكيتها ،

الأموي" قتيبة بن مسلم " عام 90هـ/705م . (1)

ولعل انهزام هذا الحلف غير المتوقع ، والذي باركه " معبد النوبهار " كان سببا في اقتناع " برمك " بعدم جدية معاداته سلطة الأمويين أو محاولة تقويضها في الشرق .

ولذلك توضح الروايات التاريخية أن " برمك " أصبح يتقرب من بعض الأمراء الأمويين بتقديمه الخدمات الطبية لهم ، وأنه قد ازداد اتصاله بهم حين تمكن من معالجة أحدهم من داء كاد يفتك به (2) ، وأظن أن معرفة " برمك " الواسعة وخبرته الكبيرة بشؤون الطب كان سببا في اطمئنان الخلفاء الأمويين وارتياحهم لخدماته ، وقد ورد اسمه ضمن أسماء خدام بلاط الخليفة الأموي " سليمان بن

---

(1) تزعم هذه الثورة أجل أمراء الشرق المحليين ، يدعى ب " نيزك " وكان حليفا ل " قتيبة " ، وصاحبه في بعض الحملات ، وقد أظهر ، نيزك رغبته في العودة الى بلده — طخرستان — فسمح له قتيبة بذلك وفي طريقه نزل ب " معبد النوبهار " للصلاة والتبرك ، وهناك كاتب ملوك وأمراء المنطقة ، ومن بينهم حاكم مدينة بلخ يحثهم على الثورة ضد المسلمين فأجابوه جميعا بذلك ، ودخلوا في معركة كبيرة ضدهم ، وكادت تكون لصالح المتمردين لولا دهاء القائد " قتيبة الذي عرف كيف يتخلص من هذا الحلف العسكري الكبير . أنظر التفاصيل ، عند الطبري ، تاريخ ، ج 6 ، ص 445 — 446 ، 454 — 461 . و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 114 ، 116 — 118 .

(2) تقول الرواية أن برمك تمكن من انقاذ حياة " مسلمة بن عبد الملك " أخو الخليفة سليمان بن عبد الملك ، و الطبري تاريخ ، ج 6 ، ص 426 ، و ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 106 .
. و محمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص 14 . و ، أحمد مختار العبادي ، في التاريخ ، ص 32 .

ابن عبد الملك (96هـ ــ 99هـ/715م ــ 717م) (1) ، وأنه قد غادر مقره ببلخ ليقيم في بلاد الشام بعد أن حوّل ممتلكاته الى بيت مال المسلمين (2) ، ولا شك أن برمك لم يقدم على مثل هذا العمل الا بعد دخوله في الاسلام ، ومع أن المؤرخين القدماء لا يصرّحون بذلك الا أنهم يؤكدون أن أبناءه كانوا يحملون أسماء عربية لها صلة بالاسلام (3) .
وليس لدي مايثبت أن " برمك " هذا قد حاول أن يبدل اسمه بعد اسلامه كما جرت العادة وقتذاك بل ظل يحمل اسمه حتى بعد توليته امارة مدينة بلخ (4) ، في عهد الخليفة الأموي

---

(1) سليمان بن عبد الملك يدرجه كثير من المؤرخين القدماء ، من ضمن خيار الخلفاء الأمويين ، لحسن سياسته وعدله طيلة فترة حكمه ، وقد وزر له ابن عمّه " عمر بن عبد العزيز " الذى اشتهر بالعدل والاخلاص للدولة الاسلاميّة قبل وبعد توليه الخلافة كما اعتمد " سليمان على أخيه " مسلمة في الاشراف على عمليات الفتح والغزو التي كثرت في عهده ، خاصة ضد الروم البيزنطيين على الحدود الشمالية للدولة الأمويّة . أنظر التفاصيل عند ، ابن الأثير الكامل ، ج 4 ، ص 79 ، 101 ، 115 وما بعدها . و ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 183 ــ 191 . و ، أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) ، المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ ، ج 1 ، ص 200 . و دائرة المعارف ، مادة سليمان بن عبد الملك .
(2) خواند امير (غياث الدين همام الدين) ، دستور الوزراء (بالفارسيّة) ، تصحيح وتقديم . حق . جاب محفوظ ، طهران ، طبعة حجريّة 1317هـ/1899م ، ص 35 .
(3) ابن الفقيه ، مختصر ، ص 224 ، ومن بينهم ، سليمان والحسن وخالد ، الذين سيكون لهم دور هام في تاريخ الخلافة العباسيّة ، أنظر الفصل الثالث في هذا البحث .

(4) *Quatrèmere, Op., cit., p.111.*

" هشام بن عبد الملك " (105هـ — 127هـ/724م — 743م) (1)

ويصعب تصديق ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن " برمك "، الى جانب اعادة بناء هذه المدينة عام 107هـ/726م، قد أقام مسجدا على أنقاض معبد " النوبهار " الذى كان يرعى شؤونه (2) الآن هؤلاء المؤرخين لم يضيفوا ماذا كانت المدينة قد تعرضت للخراب، كما أنه ليس من السهل تهديم معبد أحكم بنيانه لاقامة مسجد لان ذلك يتطلب تكاليفا باهضة، فضلا عن ذلك، فان هذه العملية نفسها قد نسبت الى شخصية أخرى من أسرة البرامكة بعد هذا التاريخ بزمن طويل (3)

---

(1) هشام بن عبد الملك، تولى عرش الخلافة الأموية بعد موت أخيه يزيد بن عبد الملك عام 105هـ/724م . و يوصف عادة بحسن السياسة و مباشرة الأعمال بنفسه، كما ينسب اليه خلال حكمه الطويل عدة اجراءات هامة فى تاريخ الخلافة الأموية . ، وللتفاصيل عن هذا الموضوع، راجع لابن الأثير الكامل، جـ 4، هنا وهناك . و، المسعودى، مروج، جـ 3، ص 216 — 223 . و خير الدين الزركلى، الأعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء . . . ، ط 5، دار العلم للملايين بيروت، 1400هـ/1980م، جـ 8، ص 86 . و . 130 / . 12 .

— محمد أسين غالب تاريخ العلويين، ط 3 دار الأندلس، بيروت 1399هـ/1979م، ص 221 . موريس، الاسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، ط 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 55 — 56

(3) أنظر نشاط الفضل البرمكي، فى الفصل الرابع .

ولعل القصد من ذلك أن برمك كان قد كلّف بترميم سور المدينة لفصل احدى ضواحيها بسبب اختيارها كموقع الاسكان بعض المسلمين المجاهدين لحماية سكان المنطقة من الغزوات الخارجيّة التي كانوا يتعرضون لها باستمرار (1) ومهما يكن من أمر ذلك فان الروايات التاريخيّة لا تشير الى أن " برمك" قد عاد الى الشام بعد انتهائه المهمّة التي كلّف بها في بلخ أم واصل نشاطه هناك كما أنها لا توضح متى وكيف صارت أسرته من موالي قبيلة " الأزد "* العربية . وأرجح أن يكون لهذه القبيلة العربية الفضل كبير في تقويم لسان هذه الأسرة " الأعجمي " وترويضها بليتها لاستيعاب المقوّمات الأساسيّة للحضارة العربية الاسلامية ، والتي كانت ولا شك أهم

---

(1) أنظر الطبري تاريخ ، جـ 7 ، ص 41 _ 42) و) الفردوسي الشاهنامة ، ص 327 ابن الأثير . الكامل ، جـ 4 ، ص 19 .

*الأزد : من أهم القبائل العربيّة التي هاجرت الى خراسان بعد الفتح الاسلامي لها ، حيث استقرّت بها وامتزجت بعض عناصرها بالسكان المحليين . ويرجع تنظيمها كقبيلة محاربة في حركة الفتح في العهد الأموي الى القائد . قتيبة بن مسلم الباهلي . وقد كان زعيمها "جديع بن علي الأزدي من أهم المنافسين لوالي الأمويين على خراسان _ نصر بن سيار وقتذاك ، حيث كان يطمح الى أخذ منصبه ، ولذلك " بذل " أبوا مسلم الخراساني " جهودا كبيرا في استمالته لصالح الثورة العباسية . ابن الأثير ، الكامل ، جـ 4 ، ص 226 _ 227 وما بعدها . فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسيّة ، 93 هـ _ 132 / 716 _ 749 ، ط 1 دار الارشاد ، بيروت ، 1399 هـ / 1970 م ، ص 56 ، 95 ، 275 . وسامية توفيق عبد الله الحياة السياسية في خراسان من بداية العصر العباسي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، رسالة جامعية قدمت . لجامعة القاهرة ، 1391 هـ / 1971 م ، ص 82 _ 115 . و ثريا حافظ عرفه ، الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ، ط 1 ، جدة ، 1402 هـ / 1982 م ، ص 26 _ 28 ، و 132 .

عون لـ خالد البرمكي * على المبادرة في القيام بالأدوار الهامة في تاريخ الخلافة العباسيّة .

والمعلومات عن حياة " خالد " وطفولته نادرة مما لا يسمح للباحث الخروج بصورة واضحة عن معالم شخصيته . (1)

وليس من السهل تحول فكرة نشأة هذا الرجل نشأة اسلامية لتضلعه في اللغة العربية وورود اسمه العربي في أغلب الروايات التاريخيّة كما هو الشائع (2) فهناك مايبين أنه نشأ على الديانة المجوسيّة وتشبّع بها ، وقد كان مشرفا على الشؤون الماليّة لمعبد النوبهار الذي أشرت اليه سابقا (3)

ومن الصعوبة بمكان معرفة نشاط " خالد البرمكي " خارج عضويته البارزة في سلسلة المعارك التي خاضها ضمن جيوش الثورة العباسيّة ضد

---

* خالد البرمكي ، أول برمكي تردد الروايات التاريخيّة أخباره بالتفصيل ، ولذلك يعد " خالد " المؤسس الحقيقي لمجد الأسرة البرمكيّة في تاريخ الخلافة العباسيّة كما سنرى .

(1) قارن ، ابن خياط (خليفة بن خياط الليثي) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، سهيل زكار ، ط 1 ، دمشق ، 1387هـ — 1388هـ/1967م — 1968م ، ج 2 ، ص 412 وما بعدها . ب ، ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن) التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر أفندي بدران ، مطبعة روضة الشام ، دمشق بدون تاريخ ج 5 ، ص 28 . ج ، ابن الوكيل ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، ورقة 10 ، ب .

(1) تحدد بعض الروايات سنة 90هـ/708م تاريخا الميلاده ، بيد أنها لاتتحدث عن المكان الذي ولد فيه ولا عن طفولته أين قضاها . انظر ابن عساكر ، تاريخه ، ج 5 ، ص 28 .

(2) أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص 82) و ، أمينه بيطار ، تاريخ العصر العباسي ، مطابع مؤسسة الوحدة ، دمشق ، 1400 — 1401هـ/1980 — 1981م ، ص 145 .

الجيش الأموي في منطقة خراسان* فيما بين عامي (129هـ ـ 132هـ/ 746م ـ 749م) .

ويلاحظ أن بعض المؤرخين القدماء كانوا يخصون دور " خالد البرمكي " ويطنبون في ذكر خدمته للعباسيين ، مسجلين له تاريخا مجيدا عبر روايات مختلفة ، ظاهرة التلفيق فيها واضحة . (1)

وذلك حين يرجعون نشاطه لصالح " الدعوة العباسية " ضد الأمويين ، منذ مراحلها الأولى ، ويؤكدون على أن " خالدا كان على اتصال

---

* خراسان .. من أهم الأقاليم الفارسية ، تمتد حدودها من بلاد العراق غربا حتى حدود بلاد الهند الشرقي ، وتشتمل على كثير المدن الهامة وتتذاك مثل ، نيسابور ومرو ، بلخ ، وغيرها .) فتحت للمسلمين ابتداء من سنة 18هـ / 639م . وأغلب المصادر التاريخية تؤكد أن الخرسانيين ـ الشيعة ـ كانوا أكثر الشعوب الاسلامية حقدا على الخلافة الأموية لذلك كانوا مصدر معارضة ، وثورة ضدهم . وقد فطن الدعاة العلويين ثم العباسيين الى هذا الحقد الكامن في نفوس الخرسانيين فعملوا على تزكيته بمختلف الوسائل وقد كان ذلك سرّ نجاحهم في القضاء على السلطة الأموية بالمشرق . ، أنظر ، مؤلف مجهول (من القرن الثالث هـ/ التاسع م) ، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده تحقيق عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1391هـ/ 1971م ، ص 165 وما بعدها . ، ابن قتيبة ، عيون ، ص 136 ـ 141 . وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 35 ـ 354 . ، التبريزي (محمد بن علي) ، المتقي ، مخطوط ، نسخة مصورة في مكتبة الأستاذ سهيل زكار الخاصة ، ج 2 ، ورقة 13 أ ـ 13 أ ، ، محمد توفيق خفاجة ، تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي الى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة جامعية تقدمت لجامعة القاهرة ، عام 1386هـ/ 1966م ، ص 42 ـ 65 ، عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم ، ص 3 1 188 و سامية توفيق ، الحياة ، ص 44 وما بعدها .

(1) أنظر ، مثلا ابن الوكيل ، مخطوط ، ورقة 10ب . و ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 35 ، و ، أ ميمنة بيمدار ، تاريخ العصر العباسي ، ص 145 .

دائب بامام الدعوة العباسية "محمد بن علي" (1) ثم بخليفته "ابراهيم بن محمد" لما وقد كان هذان الامامان من أهم أئمة الدعوة وأكثرهم نشاطا لصالح قضية العباسيين في تحضير الثورة ضد الأمويين ساعد تعم ذلك حسن توجيهه الدعاة وسرعة الاتصال

---

(1) محمد بن علي بن عبد الله العباس بن عبد المطلب (62هـ_125هـ / 681م ــ 743م) من رواد الدعوة العباسية في مرحلتها السرية ... ان الامام محمد كان قد ارجع زعامة الدعوة وأثبتها في البيت العباسي بدل البيت العلوي واليه ينتسب معظم الخلفاء العباسيين وقد كان الخليفة العباسي الاول والثاني ومن أبنائه أنظر الطبري جـ 7 ص / 109 ، 141: 142، 199، 200ابن الاثير ، جـ 2،ص 4 1، جـ 3 ؟ ص 0 1 3 ، جـ4 155 وما بعدها وابن العماد (ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي شذرات الذهب في أخبار من ذهب تحقيق لجنة التراث العربي في دار الافاق الجديد منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت بدون تاريخ جـ 1 ص 166 ، الزركلي الاعلام جـ6ص 71 2 ،

(2) ابرهيم بن محمد بن علي ،(82هـ ، 131هـ / 1=70م) تولى الامامة بعد أبيه محمد وتكاد تتفق المصادر التاريخية أنه كان من أنشط أئمة الدعوة العباسية وعلى يده انتقلت من مرحلتها السرية الى المرحلة العلنية ، حيث كان قد وجه "أبا مسلم الخوساني" واليا على الدعاة بخرسان وأمره بالاعلان لثورة ضد الامويين وقد قتل الامام ابرهيم بأمر من الخليفة "مروان بن محمد" اثر الخلفاء الامويين بالمشرق في الوقت الذى كانت فيه الثورة على وشك القضاء على النفوذ الاموي هناك ، أنظر الطبري، تاريخ جـ 7 ص 353ـ 363 ابن الاثير الكامل ، جـ 4 ص252 وبعدها ابن العماد ، شذرات جـ1 ،ص 179 ، الزركلي ، الاعلام ، جـ 1 ، ص 59 : :

وليس لدي ما يساعد على فهم أسباب عداء "خالد" البرمكي "المبكر للأمويين" رغم ما يلاحظ من حسن نيتهم تجاه أسرة البرامكة، حيث يشير بعض المؤرخين (1) الى أن "خالداً" كان من أنصار "الشيعة (2) المعارضين للسلطة الأموية" ومهما يكن من أمر ذلك فانه من الصعوبة بمكان الاطمئنان الى هذه الروايات التي تربط بداية نشاط خالد البرمكي بعدائه ضد الأمويين .

ولعل ذلك كان من صنع بعض الرواة كمحاولة منهم تفسير أسباب تطور أسرة البرامكة منذ نجاح الثورة العباسية .

---

(1) لمؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة بيروت، 1391هـ/ 1971م . ص240 . و ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1391هـ/ 1971م ج3، 223 ، و عبد الرحمن العمري، أثر الفرس، ص186 انقلا عن العمري مسالك الأبصار (مخطوط) ج2، ورقة 156 .

(2) الشيعة : من أهم الفرق المذهبية في تاريخ الاسلامي، اشتهرت بمناصرتها لفكرة أحقية أهل البيت في امامة المسلمين، وتتحمس في الدفاع عن ذلك، خاصة (علي بن علي طالب) في الخلافة وحق نسله من بعده، ويرى أن أفكار هذه الفرقة قد تركزت في البداية أمرها في مدينة الكوفة . ومنها انتشرت في كامل العراق وما يليه من الأقاليم الشرقية، خاصة منطقة خرسان . أنظر، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)، الملل والنحل، ط 2 و، يوليوس، فلهاوزن أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج الشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1398هـ/1978م، ص 112 — 183 ، ومحمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرن الأول والثاني بعد الهجرة، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م، ص 131 — 152 ، وحسن ابرهيم حسن، تاريخ الاسلام، ط7، مكتبة النهضة المصرية، 1384هـ/ 1964م، ج1، ص 394 — 409 ، و محمد عمارة الاسلام وفلسفة الحكم، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1399هـ/ ، ص 157 — 168 .

وحسب ما تجمع مع الـ من روايات تارخية عن أحداث الثورة،
يلاحظ أن العباسيين فى مواجهتهم للظروف الصعبة التى كانت تحيط بهم، قد
اتبعوا أسلوبا جديدا فى نشاطهم ضد الأموين، يعتمد على جهاز فى غاية
السرية، يحتل "الامام" فيه رأس الهرم، ويساعده مجموعة من الدعاة
لا يشك فى اخلاصهم له فضلا عن تمتعهم بقدرات فائقة فى السياسة
وحسن التدبير ميزتهم عن غيرهم وهم الوحيدون الذين كانوا يعرفون الامام
وقليلا ماكانوا يجتمعون به خفا حفاظا على سرية الدعوة (1)

والمصادر الأساسية المتعمد عليها تفتقر الى الروايات حول هذه الاعمال
السرية فى جهاز الدعوة ونادرا ماتشير اليها (2)

لذلك فأن حظ "خالد البرمكي" فى الاتصال ، بأئمة الدعوة قليل جدا وقد يكون
مرفوضا بالمرة (3)

---

(1) مؤلف مجهول، أخبار الدولة، ص 165 ـ 260 المقدسي، البلاذري ج6، ص59 ـ 61 ابن قتيبة العيون ص 136، الطبري تاريخ ج7، ص109، 141 ـ 142: 199، 200، و، ابن الأثير، نفس المصدر ج4 ص 235، 277، والمقريزي مخطوط ورقة 17أ ـ 10 ب محمود اسماعيل، الحركات السرية فى الاسلام (رؤية عصرية) دار القلم بيروت 1393هـ/1973م، ص 75، عمر فاروق، طبيعة، ص154:

(2) يشكو دارسو التاريخ الاسلامي الوسيط من قلة وثائق الدعوة العباسية فى مرحلتها التحضيرية أنظر جوانيان سوردي، دراسات فى التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ترجمة وتعليق عطيا القوصي ط1، الكويت، 1400هـ/1980م، ص64، محمود اسماعيل، الحركات ص74، عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية ط1 دار الارشاد بيروت 1389هـ 1970م ص042

(3) لا يشير المؤرخون القدماء المعتمد عليهم الى اتصال خالد البرمكي بأئمة الدعوة الا روايات المؤرخين التي اشرت اليها، وهي روايات ضعيفة بالقياس الى روايات مؤرخين غيرهم امثال "اليعقوبي" و"البلاذري" وغيرهم.

ولعل أهم عمل كلف به فى اطار تدعيم المعارضة ضد الامويين هو
شرافة على جمع التبرعات من أنصار الدعوة العباسية فى اقليم
"جرجان"* ، ابتداء من عام 129هـ/ 746 م ، الوقت الذي أشرفت عليه
الثورة ضد الامويين على وشك الاندلاع (1)

وعلى العكس من ذلك حين اعلان الثورة فى نفس السنة يلاحظ دور "خالد البرمكي"
كثير وضوحا مع شيء من المبالغة تجعل الباحث يشك فى صحة ذلك اذ لم يكن
للرجل خبرة أو قدمية فى فنون الحرب ومكايدها وحسب علمنا أنه لاول مرة يشترك
فى مثل هذه الاحداث والملاحظ أن "خالدا" قد كان لا يفارق الجيش العباسي

---

*جرجان من أهم الاقاليم ، يقع بين اقليمي طبرستان وخراسان ، يتميز بموقع هام
واغلب اراضيه خصبة انتاج زراعي ، وقد انضم الاقليم للدولة الاسلامية منذ حركة
الفتح الاولى فى بلاد فارس فى حدود عام 38هـ / 658 م وقد نال اهتمام الدولة
نظرا لحيوية هذا الاقليم خاصة من جانب الولاة الامويين ، ياقوت الحموي ، معجم
البلدان ، ج 2 ص 119 - 122 ، وابن الاثير نفس المصدر ، ج 1 ص 140 ، 323 ، ج 3 ص
10 وما بعد ، دائرة المعارف الاسلامية مادة "جرجان".
(1) حول أحداث الثورة أنظر ، الطبري تاريخ ج 7 هنا وهناك ، والمؤلف مجهول ،
أخبار الدولة ص 220 ، 237 ، ابن الاثير نفس المصدر ج 4 هنا وهناك ، وعبد الله
مهدي الخطيب الحكم الاموي فى خراسان (دراسة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي
رسالة جامعية قدمت لكلية الاداب جامعة عين شمس القاهرة عام 1391هـ/ 1971م
مكتبة الجامعة بقسم الرسائل ، ص 188 - 193 .

الذي كان تحت قيادة " قحطبة بن شبيب "* منذ تحركه في المشرق ضد فرق الجيش الأموي وقد كانت مهمة "خالد" فيه تجمع الى جانب نشاطه العسكري اشرافه على توزيع الغنائم بين الجند العباسي ورا• كل انتصار على نظيره الأموي (1) •

وبغض النظر عن مبالغة بعض الرواة حجم هذه الغنائم (2) فان المهمة كانت شاقة بالنسبة لـ " خالد " وقتذاك ، حيث لم يكن هناك دواوين يعتمد عليها في تنظيم عملية التوزيع ولا سجلات يرجع اليها عند الحاجة• ويظهر أن قحطبة " قد أدرك بثاقب نظره ما يمكن أن يصلح له هذا الرجل ذو الخبرة الواسعة في الشؤون المالية •

---

* قحطبة •• هو قحطبة بن شبيب الطائي ، من أشهر رجال الدعوة العباسية بدأ نشاطه فيها منذ عام 103هـ/721م ، اشتهر بسداد الرأي والقدرة الفائقة في الحرب ، حيث كان من أهم قادة الثورة ضد الأمويين منذ اندلاعها عام 129هـ/746م • وكان مظفرا في أغلب المعارك التي خاضها ويروى أنه مات غرقا بنهر الفرات أثناء قيادته للمعركة الفاصلة ضد الجيش الأموي عام 132هـ/749م • حول تفاصيل أخبار هذا القائد راجع ابن قتيبة الامامة ، جـ 1 ، ص 141 وما بعدها • ، ابن خياط تاريخه ، جـ 2 ، ص 409 — 423 المقدسي البدأ ، جـ 6 ، ص 64 — 68 •) الدينوري ، الأخبار ، ص 363 — 364 لمؤلف مجهول تاريخ ، ص 527 — 560 •) ابن الأثير الكامل ، جـ 4 ، 159 ، 252 ، 261 ، الزركلي الأعلام ، جـ 5 ، ص 191 •) و • عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأموى ، ص 194 — 196 •

(1) ابن خياط تاريخه ، جـ 2 ، ص 144 وما بعدها •) الطبري تاريخ ، جـ 7 ، ص 381 — 391 •) و ابن قتيبة ، الامامة (منسوب اليه) ، جـ 1 ، ص 117 و ابن الأثير الكامل ، جـ 4 ، ص 313 •) ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص 35 • و ، الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله) العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، سلسلة التراث العربي ، الكويت ، 1380هـ/1960م ، جـ 4 ، ص 246 •

(2) الطبري تاريخ ، جـ 7 ، 405 — 419 ، ابن الأثير الكامل ، جـ 4 ، ص 313

ولم تكن مهام خالد البرامكي تقتصر على الميدان العسكري فحسب بل كلف ايضا قبل قائده قحطبة بمحاولة التوسط لدى ولاة الامارات المجاورة لاقليم خرسان لاقناعهم بأهمية الثورة وضرورة موآزرتها (1)

ولا تفصح المصادر التاريخية عن سر تعيين خالد في مثل هذه المصادر الحساسة دون غيره وعن انشغاله بقضايا الجند التي كانت تزداد تعقيد يوما بعد يوم وعن دل ذلك على شيء فانما يدل على ان خالدا قد كان موضع ثقة كبيرة من جانب قادته من جهة ومن جهة الاخرى تعكس هذه الظاهرة بذور الاصلاح الاجتماعي والاخذ في التطور التدريجي منذ بدايات الاولى لحركة العباسيين ضد خصومهم الامويين (2) .

---

(1) مؤلف مجهول من القرن الخامس) . هـ /الحادى عشر م) "تاريخ الخلفاء" نشر وتقديم بطرس غريازنيويخ سلسلة آثار الاداب الشرقية دار لنشر بموسكو 1387هـ / 1967م ، ص553.

(2) من اهم الشعارات التى رفعها العباسيون اثناء ثورتها ضد الامويين شعار المساواة الاجتماعي بين الافراد وضرورة تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة . ويبدو وانهم كانوا حريصين على تطبيقات سواء كان ذلك اثناء الثورة او بعدها انظر الفصل الثالث من هذا البحث ...

ومهما يكن من أمر ذلك فان " خالدا البرمكي " قد صار يعتمد عليه فى أكثر المسائل ذات الأهمية الكبيرة، لما أظهره من قدرة على استيعاب الظروف التى كان يمر بها جيش الثورة العباسية (1) ففى الوقت الذى تمكن فيه الثائرون من تصفية نفوذ الادارة الأموية على بعض الأقاليم، ضمت مسؤولية الاشراف على ضرائب أراضيها الى " خالد البرمكي "، وذلك من أجل توحيد الاعتمادات المالية للثورة (2) ولعل هذا التخصص الذى مارسه " خالد " هو الذى دفع بأحد المؤرخين الى القول بأن " خالدا " واخوته قد ارتمول فى الثورة العباسية واضعين ثروتهم تحت تصرفها (3).

والظاهر أن هذه المهام ذات الصبغة المالية، قد أكسب الرجل خبرة هسلمة جلبت اليه الاحترام والشهرة

---

(1) قارن، الجهشياري، الوزراء، ص 88، ب) ابن خياط، تاريخه، ج 2، ص 414 وما بعدها،) و، ب، الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط 1، القاهرة، 1380هـ/ 1960: ص 363 - 364، ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد)، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402هـ/ 1982م، ج 4، ص 480، 482، و، اليافعي، مرآة، ج 1 / ص 425،) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 1، ص 117،

(2) الجهشياري، الوزراء، ص 87،) و، لمؤلف مجهول، تاريخ، ص 553،

(3) Bouvat, Op., cit., p. 37.

مع رفقائه من جنود الثورة فحسب بل من رجال الخلافة الناشئة أيضا .

وقبل أن يقضي الثائرون ضد السلطة الأموية على ترشيح أول خليفة عباسي ، كان "أبو سلمة الخلال (1) - وزير آل محمد - وغيره من قادة الثورة يشرفون على اقرار الوضع بالمنطقة ، لتهيئة الجو المناسب بعد موجة الاضطرابات التى أصابت السكان نتيجة الحرب المسعورة (2)

ويبدو وأن خالدا قد كان من أهم من يعتمد عليهم فى مثل هذه الظروف ، ولذلك فقد كلف من طرف الوزير " أبي سلمة بالاشراف على تسيير شؤون " دير قنى (3) مباشرة بعد الاطمئنان على التصفية

---

(1) أبو سلمة الخلال هو حفص بن سليمان الهمداني ، الرئيس التنفيذي للدعوة العباسية ، والمنشط الأساسي لجهاز الدعوة كان يقيم بالكوفة ، وفيها كان يتصل به الدعاة ويقدمون له تقاريرا عن الوضع فى خراسان وعن نشاطهم هناك ، وكان هو بدوره يقدم ذلك للأئمة المستترين بالحميمة ، وتشيد المصادر التاريخية بذكر أعمال " أبى سلمة " لصالح الدعوة " وتلقبه عادة بـ" وزير آل محمد " أنظر ، البلاذري (أحمد بن يحى بن جابر) ، أنساب الأشراف ، مخطوط ، نسخة مصورة فى مكتبة الأستاذ سهيل زكار الخاصة ، دمشق ، ورقة 300 أ .
المقدسي (المطهر بن طاهر) ، البدء والتاريخ ، ط2 ، مكتبة الأسدي ، طهران ، 1386هـ / 1966م ، ص 65 – 71) سامية توفيق عبد الله ، الحياة ، ص 79 – 83 . عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأموي ، ص 188 – 193 .
(2) هناك اشارة الى أن بعض المدن الاسلامية فى العراق كانت تعيش فى ظروف صعبة نتيجة انتشار الاوبئة الفتاكة الى جانب الأوضاع السياسية المتردية بسبب الثورة ضد الأمويين .) أنظر ، ابن خياط ، تاريخه ، ج 2 ، ص 421 .
(3) ويقال له دير الأسكون أيضا ، وكان أشبه بالحصن المنيع ، قريب من المنطقة التى بنيت فيها بغداد – عاصمة العباسيين – فيما بعد ، ويشرف هذا الدير على الكثير من الضياع والبساتين ، ذات الغلة الوافرة بسبب مرور احدى روافد نهر دجلة فى وسطها .
أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 419 .
و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 332 ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 523 .

شبه التامّة لسلطة الأمويين في العراق وما يليها من الحدود الشرقية . والمتتبع للأحداث السياسيّة وقتئذ قد يشك في تعيين خالد البرمكي " بعيدا عن الكوفة (1) مركز قيادة الثورة العباسيّة ، ويرجح أن يكون هذا التعيين مرتبطا بالترتيبات الأوّلية لمشروع خطير كان الوزير " أبو سلمة الخلال " ينوي القيام به (2)

وأظن أن ابعاد " أبو سلمة " خالدا البرمكي وغيره عن الصراع السياسي الخفي القائم بعد القضاء على الأمويين ، يخفي ولاء " خالد " للشيعة كما تزعم بعض الروايات .

---

(1) الكوفة .. من أوائل المدن التي بناها المسلمون ، واحدى أهم مدن العراق اشتهر سكانها بعدائهم الشديد للسلطة الأموية حيث كانت مركزا للشيعة ، أخطر فرقة اسلاميّة منافسة لحكم خلفاء بني أمية ، وذلك كان سكان هذه المدينة أهم عون للدعاة وأكثرهم تجاوبا مع مبادئ وشعارات الدّعوة .
أنظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 490 — 494 .) و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 1 ، ص 40 ، 536 ، 167 ، ج 2 ، ص 46 وما بعدها .
و ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادّة (كوفة) .

(2) تكاد تجمع المصادر التاريخيّة أن الوزير " أبي سلمة الخلال " قد قام بتعطيل عمليّة البيعة لـ أبي العباس " عند نجاح الثورة العباسية وانتقال الخلافة الى العباسيين ، ويروى أنّه راسل سرّا عدّة شخصيات علويّة وواعدهم بارجاع الامامة اليهم بدل العباسيين ، الاّ أنه لم ينجح في هذه المؤامرة بسبب فطنة بعض القادة من أنصار العباسيين ومساندتهم . أنظر ، أبوا حنيفة الدينوري ، الأخبار ص 370 — 372 ، الطبري ، تاريخ ، ج 7 ص 423 — 424 .
و ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 26 . ، ابن الأثير الكامل ، ج 4 ، 323 ،
و ، خيف الله بطانية ، العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول (رسالة جامعية) ، جامعة الأزهر ، 1393هـ/1973 ، مكتبة كلية اللغة العربية ، رقم 1175 ، ص 298 — 314 .)

لانه لو كان كذلك لكان أهم عون للوزير في تنفيذ خطته بحكم مكانة "خالد" بين جند الثورة العباسية التي أشرت اليها في السابق ولذلك فليس لدي ما يساعد على فهم أهداف "أبي سلمة" من تكليف "خالد" تسيير شؤون ديرقني البعيد عن الكوفة ، فربما حاول الوزير ضمان مورد غذائي للجند ، حيث كانت الأراضي الزراعية مهملة ، وكان الانتاج الزراعي منخفضا بحكم تطور أحداث الحرب وما صاحبها من فقدان للأمن واللاستقرار . ويبدو أن "خالد" قد عاد الى الكوفة بعد ذلك بقليل ، في الوقت الذي تمكن فيه بعض القادة المخلصين للبيت العباسي من اقناع الوزير "أبي سلمة" في محاولة (2) ، وفرض رأيهم

(1) أنظر ، ابن خياط ، تاريخه ، جـ 2 ، 424 .

(2) تقول الرواية أن أبا سلمة الخلال قد شعر بخروج الأمر من يده لذلك اعترف بالأمر الواقع ، وبادر بالاعتراف بالخليفة العباسي فاستفزه أحد موالي العباسيين بعبارات بالغة التجريح . أنظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 7 ، ص 424 .

علـيه في تنصـيب الخليفة العباسي الاول" أبوا العباس السفاح" (1) عام 132هـ/749م

والملاحظ ان هذه الحادثة قد طرحت قضية هامة جدا منذ بداية تاريخ الخلافة العباسيّة ، وأبرزت بوضوح مدى تطوّر علاقة الخلفاء العباسيين بوزرائهم وأعوانهم (2)

ولذلك كان الخلفاء العباسيون حريصين على اختيار هؤلاء الأعوان من مواليهم ، وحذرين من تطاور هذه العناصر في غير صالحهم كما سنرى

ولا أشك في أن " خالدا " لم يكن يجهل هذه الظروف التي كانت تمر بها الدّولة الاسلامية بحكم أقدميته في الاتصال بقادة الثورة وكبار رجالها ،

(1) أبوا العباس عبد اللّه بن محمد بن علي ، أوّل خليفة عباسي حكم من سنة 132هـ/ الى 136هـ/749م الى 753م ، كان قد انتقل الى الكوفة بعد مقتل أخيه " ابراهيم الامام " عام 132هـ/749م ، بعد أن أوصى له بالامامة. ولما تمت له البيعة القى خطبة انتقد فيها سياسة الأمويين ، وأشاد باخلاص ولاء أهل الكوفة وأهل خرسان ووعدهم بالأعطيات ، وبالالتزام بما قامت على أساسه الدّعوة العباسيّة ، حول تفاصيل الموضوع راجع . الطبرى ، تاريخ ، ج 7 ، ص 421 وما بعدها . و) المسعود مروج ، ج 3 ، ص 270 . السيوطى (جلال الدين) تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون اشارة لمكان الطبعة ولا تاريخها ، ص 256 ـ 259 . و ، ابن كثير (أبوا الفداء) البداية والنهاية ط 1 ، مكتبة المعارف بيروت ، مكتبة النصر الرياض ، 1386هـ/1966م ، ج 10 ، ص 40 ـ 41 . و ، حسن نفس المرجع ، ص 21 ـ 27 . وأحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية بيروت ، 1392هـ/1972م ، ص 41 ـ 45 .

(2) أنظر ، توفيق سلطان اليوزبكي الوزارة نشأتها وتطوّرها في الدّولة العباسيّة ، (132هـ/ ـ 447هـ) ط 2 ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر الموصل بغداد ، 1396هـ/1976م ، ص 75 وما بعدها وسأشير الى طبيعة هذه العلاقة والى الظروف التي تمت فيها خلال الفصول القادمة من هذا البحث .

لذلك تشير الروايات التاريخية "انه لم يتدخل فى شئ من أمور السياسة وشؤون التسيير الا بعد ان تتلقى الاوامر من الخليفة العباسي الجديد (1)

واظن ان هذا الحذر الذى كان يسلكه خالد البرمكي لم يكن من تبييل طباعة او بمحض الصدفة ،بل كان ناتجا عن وعي كبير وادراك عميق للظروف الانتقالية التي كانت تمر بها الخلافة العباسية ، ولعل ذلك كان سببا في فوزه بالمناصب السامية في الدولة ونجاحه فى تكوين مجد كبير الاسرة البرامكة خلال المرحلة التالية من تاريخ الخلافة العباسية ،

---

(1) الجهشياري ،الوزراء ،ص 89 ، المقدسي البدء ،ج 6 ،ص 77 ،و، ابن كثير البداية ،ج 10 ،ص 55، وتغرى بردى (جمال الدين ابى المحاسن) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة التاليف ،، بدون تاريخ ،ج 1، ص 323 .

(1) Bernard, Lewis, Les Arabes dans l'histoire , A La Baconière, Neuchatel Lbddees, 1958, pp.67

الفصل الثالث

دور أسرة البرامكة قبل خلافة هرون الرشيد

بعض الناظر عن مخلّفات الحرب المريرة (129هـ — 132هـ/ 747م — 749م) التي تركتها الثورة العباسيّة، فقد كان ينتظر من الخلفاء مهام جديدة لا تقل صعوبة عن مهام الحرب (1) .
ومما لا شك فيه أن أهم قضيّة تطرح في مثل هذه الظروف هي مشكلة الاطارات المسيّرة والمستخدمين الاداريين لارساء قواعد النظام الجديد (2)
ولم يجد الخليفة العباسي الأوّل — " أبو العباس السفاح (132هـ — 136هـ/ 749م — 753م) . بدأ من الاستعانة بالمخلصين للبيت العباسي من ذوي الخبرات في الشؤون الاداريّة المختلفة (3) .
وكان طبيعيا أن يحتل " خالد البرمكي " وقتئذ ملا مرتبة هامّة ضمن صفوف أعوان الخليفة الجديد .
الاّ أنّ ذلك لم يحصل لوجود شخصيات غيره كان لها الأثر

---

(1) *Lewis, B., EI è ,Art (Abbasside), T.1, p.18.*
(2) *Dozy, Essai sur l'histoire de l'Islamisme, trd, par Chauvin, Leyde-Paris, 1879, p.228.*

(3) أنظر، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله) ، المعارف تحقيق ثروة عكاشة ، ط 2 ، سلسلة ذخائر العرب رقم 44 ، دار المعارف بمصر . القاهرة ، 1389هـ/ 1969م ، 374 — 376 . و، سامية توفيق عبد الله ، تطوّر نظام الوزارة ، ص 10 — 17 .)
ولنفس الكاتبة . ، الحياة السياسيّة في خراسان في بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،
(رسالة جامعيّة) ، قدّمت لجامعة القاهرة ، 1399هـ/ 1979م ، مكتبة كلية الاداب ، ، رقم 2974 ، ص 148 .

البارز في سير الأحداث وتوجيهها .

فأبو" سلمة الخلال" الذى عدّ من أنشط رجال الدّعوة وأهم رؤسائها في الكوفة، قد خوّل له ذلك أن يصير أكبر شخصية سياسية وادارية بعد القضاء على الأمويين، حيث مثل أدوارا خطيرة في ظروف انتقال الخلافة الى العباسيين بحكم مركزه، قبل أن تحصل البيعة للخليفة العباسي الجديد كما أشرت سابقا وتنطبق نفس الوضعية على القائد الذائع الصيت" أبي مسلم الخرساني (1) الذى غدا مطلق التصرف في الأقاليم الشرقية من الخلافة اذا صار سيد منطقة" خراسان" (2) بدون منازع كما أصبحت هيبته من قبل سكانها.

---

(1) هو عبد الرحمن بن مسلم، من أهم قادة الثورة العباسية لقب بـ" أمير آل محمد" للدّور الذى قام به لصالح الدّعوة في خراسان، وتفجير الثورة بها ضدّ الأمويين، ويروى أن (أبا مسلم قد كان من كبار الدّعاة في السياسيّة والحرب، اذ تمكّن في مدّة وجيزة من ضرب كل تحالف حاول الأمراء الأمويون مواجهته به، وتؤكّد المصادر على أنّ هذا القائد المرهوب قد اغترّ بمكانته لدى الخرسانيين، واخذ في ممارسة عدّة أعمال تجاوزت صلاحياته، مما أقلق العباسيين وأثار الشك في نفوسهم أنظر، الطبري، تاريخ، جـ7، ص 469 و، المسعودي، مروج، جـ 3، ص 303، وابن الأثير، جـ 4، ص 350 - 352، و، المقريزي (أحمد بن علي، المقفى، مخطوط، نسخة مصوّرة منه في مكتبة الدكتور سهيل زكار الخاصّة دمشق، جـ2 ورقة 113 أ، ومابعدها، والدراسات حول أبي مسلم كثيرة ومتنوّعة أنظر،

(2) أنظر، الطبري، تاريخ، جـ8، ص 363، المسعودي، مروج، جـ 3، ص 254 وابن الأثير، الكامل، جـ 4، 304 Bartold, Ele, Art(Abou-muslem) T.1, p. 464.

وطاعتهم اياه لا يستشار فيها (1)

لهذا فقد طمع بقية الأمراء من العائلة العباسيّة أو غيرها الطامحين الى المناصب العليا التي حرموا منها خلال العهد الأموي، وقد بذلوا في سبيل ذلك الكثير ومع ذلك فان أحداً منهم لم يتقدّم للاشراف على الشؤون الماليّة للدّولة نظرا للأوضاع المتردية بعد موجة الاضطرابات الشديدة التي خلّفت وراءها العديد من المشاكل (2) لذا فانّ تنصيب (خالد البرمكي) في الادارة العباسيّة لم يكن مـــــــــــــل

---

(1) تناقلت الروايات التاريخيّة في الحديث عن السلطة "أبي مسلم" في أقاليم خراسان وعنه بأنه كان حاكما مطلقا لا يتلقى أوامر من الخليفة العباسي ولا من أي جهة أخرى. أنظر، الطبري تاريخ، ج7، ص 462، المسعودي، مروج، ج3، ص 242، ابن الأثير، الكامل، ج47، ص 345، 350 ـ 351. أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج1، ص 24. ابن كثير، البداية، ج10، 63 ـ 72. ثريا حافظ عرفه، الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، 1402هـ / 1982م، ص91 ـ 105. و،
Dozy, Op., cit., p.223

(2) كان الاقتصاد وقتذاك قائما على النّشاط الزراعي، وتبعا للأحداث السياسيّة المضطربة فقد أهملت الأرض واتلفت سجلات دواوينها مما صعب على الخليفة ضبط دخلها أو مراقبة جباتها. أنظر،
Charles Pellat, Ibn Al muquaffâ " Conséilleur du Calife" Maisonneuvre et L aroze , Paris, 1976, p.159.

جدال ، وقد أصابت الخلافة حين أقرته على ذلك (1)
ولا يمكن الموافقة على الرأي القائل بأن الخليفة "أبا العباس" قد ولاه لاعجابه بفصاحته وحسن بيانه العربيان (2)
؛ لأن لهذا الفن رجالا غيره وقتذاك .

وحالف الحظ " خالدا " بعد الاجراء التطهيري الذى اقتضته مصلحة الحكم الجديد ، حيث أزيح الوزير المفوض " أبوا سلمة الخلال " حين أخذ يتجاوز حدود مهامه (2) وتكاد تجمع المصادر — المعتمد عليها . أن " خالدا " صار يمثل الرجل الأول ضمن صفوف أعوان الخليفة أبي العباس " ومستشاريه الثقاة (3).

---

(1) أول وظيفة كلف بها " خالد البرمكي " فى عهد الخليفة " أبى العباس " — بعد أن أقره على ما كان عليه فى توزيع الغنائم وتركات الأمويين ، ... [illegible]

الجهشياري ، الوزراء ، ص39 . المقدسي (المطهر بن طاهر) ، البدأ والتاريخ ، ج6 ط2 مكتبة الأسدي طهران ، 1386 / 1966م ، ج6 ، ص77 ، و ابن كثير ، البداية ، ج10 ص 55 ، وتغري بردي ، النجوم ، ج1 ص329 ، و

Nikitta, E., Op., cit., p. 128.

(2) الجهشياري ، الوزراء ، ص 89 ، و محمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص14 ، الزركلي الاعلام ، ج2 ص295

(3) أغتيل " أبوا سلمة الخلال وزير آل محمد كما كان يعرف ، وهو فى عز نفوذ .) ولم يكن عمر الخلافة العباسية قد تجاوز سنة بعد .) وذلك لدوران الشك حول مواقفه تجاه البيت العباسي . وتصرفاته المبالغ فيها والتي كانت توحي الى تعارض بين مع سلطة الخليفة . انظر ، الدينوري ، (ابوحنيفة احمد بن داود) ، الاخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط 1 ، القاهرة ، 1386 هـ / 1966م ، ص 370 — 372 . ابن الاثير ، الكامل ، ج 4 ، ص336 ، 339 .

ومن خلال ذلك تمكن من أن يقوم بالدور الأساسي في الخلافة (1)

وقد يكون هذا الناصر أهم فترة من الوجهة الناصرية والعملية الاطلاق لقب " الوزير علي " خالد " ليستبدل ذلك كما هو الشائع (2)

ويدل على ذلك عدم اقتصار نشاطه على تسيير شؤون ضرائب الأراضي وتسجيل وارداتها في دفاتر خاصة فقط بل كان يشرف على ادارة الشؤون المالية للجيش العباسي الناشئ " (3)

وقد كان لهذا الاشراف على مثل هذه المناصب الحساسة في الادارة المركزية آثارا ملموسة على مستقبلها ، وذلك من خلال التنظيمات التي سنها هذا الرجل الطموح . ويعتبر التنظيم شبه الشامل لفنيات الادارة الذي احدثه

(1) أنظر ، السمعودي ، التنبيه والأشراف ، طبعة جديدة منقحة باشراف لجنة تحقيق التراث ، سلسلة في سبيل موسوعة تاريخية 11) دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1401هـ/1981م ، ص310 .
وابن الوكيل ، أحسن السالك (مخطوط) ورقة 10 أ .

(2) تذكر بعض الروايات أن " خالدا " قد تطير من هذا اللقب لما وقع لـ " أبي سلمة " ، وأنه فضل أن لا يدعى بهذا اللقب (أنظر) ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1345هـ/1927م ، ص . 113 ، 129 .) أحمد محمود حسنين ، رسالة في تاريخ هرون الرشيد ، دراسة قدمت لجامعة الازهر ، 1946هـ/ 1927م ، مكتبة كلية الآداب قسم الرسائل ، رقم 8099 ، ص42 .

(3) ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 11 أ .

خطيرة على مستقبل الخلافة العباسية (1)

ومن أعقد القضايا التي واجهتها الخلافة في بداية أمرها سلطة قادة جيش الثورة وعلى رأسهم "أبومسلم الخراساني" الذي صار القائد المطاع في كل أمر على مستوى شرق الخلافة الشيء الذي أثار حفيظة البيت العباسي فكان "لخالد البرمكي" الدور الهام في تبديد هذه المخاوف نتيجة المحاولات الناجحة في فصل العديد من الجند عن قائدهم أبي مسلم دون أن يشعره بذلك (3)

---

(1) أنظر الجشياري الوزراء ص99، و محمود توفيق خفاجي، تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي الى نهاية القرن الربع الهجري رسالة جامعية القاهرة قدمت الجامعية القاهرة 1386هـ/1966، مكتبة كلية الاداب بجامعة القاهرة قسم الرسائل رقم 539، ص114

(1) هناك تقرير سري قدمه المنصور العباسي الى أخيه الخليفة وضح لهفيه تزايد مكانة أبي مسلم الدى سكان خراسان وتجاوزاته في ممارسة الصلاحيات المعطاة له وبين خطر ذلك على مستقبل البيت العباسي ويروي أن المنصور لم يتردد في الاشارة الى ضرورة تصفيه للارتياح منه أنظر الطبري تاريخ جـ 7 ص468 ، ابن الاثير الكامل جـ 4 ص346 و، ابن كثير البداية جـ 10 ص58 ، وضيف الله بطاينة العلاقات ص 327 وما بعدها.

(3) الجهشياري الوزراء ، ص94.

وقد ساعد " خالدا " على النجاح في هذه المهمة معرفته الواسعة بظروف الجند نظرا لأشرافه على الديوان الخاص بهم (1)،

ويبدو أن هذا الأجراء الذي من طرف هذا البرمكي تجاه أهم رجل في الدولة قد شجعه على المضي في تنفيذ العديد من الأجراءات المتنوعة واحكام أمرها ، كما جلب له احترام الخليفة والجمهور معا ، ومن أهم العمليات التي نشطت على يد " خالد " سلسلة الأعانات التي قدمها للمعوزين وعائلاتهم (2) ،

وأغلب الظن أن جل هذه الأعطيات قد كانت مكافآت للذين ناصروا الثورة حيث كان العباسيون قد واعدوهم بها حالة القضاء على خصومهم الأمويين ، ولا يرجع ذلك الى كرم خالد البرمكي " وحسن

---

(1) لعل اقدام خالد البرمكي على مثل هذه الأعمال هي التي سمحت للمستشرق " نيكيتا " في القول بأن " خالدا قد صار مشرفا على جميع الدواوين وأنه يمثل سلطة رئيس الوزراء بالمفهوم المعاصر ،) أنظر : - Nikitta, Op., cit., p. 123.

(2) أنظر ، المسعودي ، مروج ، ج3، ص 377، و ، ابن عساكر ، التاريخ ، ج 5، ص 28 ،

سياسته كما تروّج ذلك بعض الروايات التاريخيّة. (1)

ومهما يكن فان " خالدا " كان رجل سياسة وقد استفاد مما جرى للوزير السابق " أبوا سلمة الخلال فأخلص للدّولة وتفانى فى خدمة خلفائها، فاستحق بذلك شرف الانتماء الى العائلة العباسيّة الهاشميّة حين أقدم الخليفة " أبوا العباس" على ابتداع أمر جديد لم يكن مألوفا لدى الأسرة العربية الحاكمة، حين عمل على ربط أسرته بمواليها - البرامكة - عن طريق رابطة الأخوّة من الرضاعة (2) ذلك أنّ خادمة القصر العباسي - وزوجة خالد البرمكي - قد شرّفت بارضاع الصبية " ريطة " بنت الخليفة، فى حين أرضعت زوجة هذا الأخير بنتا لـ" خالد البرمكي " (3)

(1) أنظر، ابن قتيبة، الامامة السياسة (منسوب اليه)، ط 3، مطبعة مصطفى البابي لحلبي) القاهرة، 1382هـ / 1963م، جـ 1، ص 117، 339.) و، ابن الفقيه (الهمذاني)، بغداد مدينة السلام، تحقيق أحمد صالح العلي، سلسلة التراث (61) ط 1، دار الطليعة، باريس، 1397/1977م، والمسعودى، مروج، جـ 3، ص 377.)
وابن عساكر، التاريخ، جـ 5، ص28.

(2) من المؤكد أنّ هذه الرتبطة لها من الأهمية والقوّة مالرابطة الدّم فى العراق العربي والتشريع الاسلامى.

(2) ريطة تزوجت فيما بعد ابن عمها، المهدي الخليفة العباسي الثالث.) أنظر، الفصل السابع من هذا البحث.

(3) تقول الرواية أنّ الخليفة أبى العباس " قد خاطب "خالد البرمكى" مداعبا بالقول التالي: " لم ترض يا ابن برمك حتى استعبدتني.. فوجم من ذلك وقال.. أنا عبد أمير مؤمنين، فقال.. كانت ريطة وأم يحيي - يقصد زوجة خالد - فى فراش واحد فكشفت فردت عليهما اللّحاف فقبل يده وشكره." أنظر، الجهشيارى الوزراء، ص 69.

ومن الواضح لدي الآن أنّ هذه الرابطة غير المتوقعة بين العائلتين هي التي ميزت علاقة البرامكة بالخلافة العباسيّة، وصبغتها بمميّزاتها الخاصة التي يندر وجود مثلها في تاريخ الدّولة الاسلامية، وسواء أكان الخليفة العباسي على صواب أم لا، فان مايهم أنّ هذا الشرف الذى تمتّع به أبو" البرامكة"، خالد، هو أهم ميزة خصّت هذه الأسرة وقد استغلت أحسن استغلال، لا لصالحهم فحسب بل في تطوير نظام الوزارة أيضا(1)

ومهما يكن من أمر ذلك فان "خالدا" ظل يمارس مهامه لفترة قصيرة لا تتجاوز سنة وبضعة شهور(2) من حكم الخليفة العباسي

---

(1) رغم مايلاحظ عن ممارسة وظيفة" الوزير في تاريخ العرب القديم وصدر الاسلام، الا ّأن أحدا منهم لم يحمل هذا اللّقب، قبل عهد الخلافة العباسيّة، وتشير الروايات أنّ الخلفاء لأمويين أنكروا أن يخاطبوا بالوزارة بدعوى أنهم أجل من أن يحتاجوا الى موءزارة، وأن العباسيين سمحوا بذلك لكبار رجال ادارتهم، امتثالا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة أنظر، المسعودى، التنبيه، ص 310، و، ابن الوكيل، أحسن المسالك(مخطوط)، ورقة 7 ب- 8 أ،

(2) ابن الوكيل - أحسن المسالك(مخطوط)، ورقة 11 أ،)
أحمد محمود حسنين، رسالة، ص 42،

الثاني : أبي جعفر المنصور (136هـ ـ 158هـ / 753م ـ 775م) (1)

ولو أن مجال نشاطه أخذ يميل الى عدم الاستقرار والثبوت بشكل يكاد يكون بيناً ذلك أن هذا الخليفة كان يحمل الكثير من برامج الاصلاح وتنتظره العديد من العمليات لتقويم سلطته واحكام سيطرته على المملكة التي مازالت لم تستقر أوضاعها بعد (2)

وللتغلب على ذلك سمح للعديد من العناصر بالعمل في دواوين الخلافة دون مراقبة كفاءاتهم نتيجة استفحال الأوضاع المتردية الى خلفتها

(1) تعتبره أغلب المصادر التاريخية أنه هو المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية . وتنسب اليه الكثير من المشاريع الهامة التي كان لها الدور الكبير في تشكيل طبيعة تطور الخلافة العباسية ، وفي ارساء قواعد نظمها . أنظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 7 ، ص 471 .) المسعودي ، مروج جـ 3 ، ص 294 .) ابن الأثير ، الكامل جـ 4 ، ص 347 .) ابن الطقطقي ، الفخري ص 141 ـ 142 .) ابن كثير ، البداية جـ 10 ، ص 61 ، 121 . و ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ 1 ، ص 205 .) السيوطي ، تاريخ ، ص 259 .) و حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، جـ 2 ، ص 27 ـ 40 .

(2) 228 . 229 .

الحرب ،وقد كان لهذه المبادرة الأثر الكبير في اتاحة فرص العمل الكثير من العناصر الداموحة في ظل الخلافة الجديدة (1)

وعلى الرغم من احساس الخليفة بالفراغ الاداري وقلّة تجربة مساعديه • (2)

الاّأن حزمه وعدم الثقة في مستشاريه اللّذين صاحباه طيلة حكمه (3) ، صعّبت علي استخلاص الدّور الذى يكون قد مثله "خالد" في هذه الفترة التأسيسيّة للخلافة العباسيّة • ،ذلك أنّه في غياب القواعد النظارية للمستخدمين الاداريين لا يسهل تحديد مهامهم العملية التي يمارسون في تسيير شؤون الخلافة • ولعلّ ذلك مايوحي بالبدايات الأولى لنظام الوزارة في الخلافة

---

(1) تشير أغلب المصادر التاريخيّة الى ظاهرة تطوّر استعمال الموالي في أغلب المؤسّسات الاداريّة في عهد" أبي جعفر المنصور • أنظر ،ابن خياط ،تاريخه ،ج 2 ص 466_ 467 •)
التنوخي (أبوا علي المحسن) نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة ،تحقيق عبد الشالجي ،1391هـ/1971م • و ،الطبرى ،تاريخ ،ج7 ص505 •) السيوطي ،تاريخ ، ص 269_ 270 • ابن كثير • البداية ،ج 10 ،ص76_ 77 • ،
الخضرى (محمد بك) ،محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية_ الدّولة العباسية ، ط10 ،مطبعة الاستقامة ،القاهرة ،بدون تاريخ ، ص 82 •) جميل نخلة المدوّر ، حضارة ،ص59_ 63 و ،سامية توفيق عبد الله تطوّر ،ص38_43 •) و229 ،228_229 •

Dozy, Op., cit., pp.228-229.
Amar Dhina, Grands tournants de l'histoire de l'Islam..., 2éd.SNED, Alger,1982,p.62

(2) أنظر ،البلاذرى ،أنساب (مخطوط) ،ورقة 312

(3) الجهشياري ،الوزراء ، ص 136 ، و ، حسن البراهيم حسن ،التاريخ ، ص31_ 35 و ،عبد اللطيف الطيباوى ،محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ، دار الأندلس ،بيروت ،1382هـ/1963م ، ص158 •

العباسية الآخذ في التطوّر التدريجي (1)

ويجب أن لا اطمئناننا الى ماورد عرضنا عن الذكر لقب الوزير في هذه الفترة المبكرة ، ذلك أن اغلب الروايات التاريخية التي وردت عن الوزارة جاءت من مصادر كانت قد صنفت في وقت كان قد استقر فيه هذا النظام .

وللمخرج بفكرة عن مكرة عن الادارة الخليفة المنصور وتحديد مهام "البرامكة فيها يتطلب منى الاشارة الى الذين تطلق عليهم بعض المصادر لقب الوزير ، ومنهم (يعقوب بن داود (2) الذي يحمل حسب الروايات الجيدة لقب "كاتب" وليس "وزير" . اذ من خلال بعض اشارات المؤرخين

(1) ورد عن هذا الموضوع تقرير نقدي من طرف " ابن المقفع أحد أعلام الفكر والأدب المعاصرين لتلك الأحداث (106هـ - 242هـ/ 724م - 759م) سماه " رسالة الصحابة ، ويقصد بالصحابة حاشية الخليفة وأعوانه ، حيث قال عنهم . " أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول . مارأيا أعجوبة من هذه الصحابة ممن لا ينتهي الى أدب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط في الرأي مشهور بالفجور في أهل مصره ... فصار يؤذن له الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ... وبيوتات العرب .)) أنظر ،

Charles Pellat, OP., cit., p.53.

(2) من موالى بني سليم عمل في دارة الأمويين اكتسب خلالها خبرة هامة ، وكانت علاقة حسنة بـ" المنصور " لذلك فقد قربه اليه عند ماتولى عرش الخلافة . ويعد " يعقوب من كبار الكتاب في تاريخ الخلافة العباسية ، وقد كانت له أدوار مة في ادارتها . أنظر ، ابن الأثير الكامل . جـ 5، ص66 . ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد) العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1402هـ/1982م . جـ 5، ص115 . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص136 .) ابن كثير البداية جـ 10 ، ص182 .) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ 2 ، ص37 - 38 .) ابن خلدون ، العبر ، جـ 3 ، ص144 . الزركلي ، الاعلام ، جـ 8 ، ص197 .) محمد توفيق خفاجة ، تطور ، ص114 . و ، أ مينة بيطار ، تاريخ ، ص142 - 143 .

العابرة عن وظيفة هذا الرجل يلاحظ أنّه لم يعمل فى المؤسّسات التى يمكن اعتبارها وظيفة " وزير " حيث لا يعد وكونه مساعدا اداريا من غير أن يتمتّع بأية صلاحيات تنفيذية • (1)

والشخص الثاني الذى تذكره المصادر على أنّه من وزراء الخليفة " المنصور هو " الربيع بن يونس " (2) الذى لا تتجاوز مهامه الاشراف على مطالب الخليفة الشخصيّة أو الوقوف على بابه " حاجبا " ويبدوا أن " خالدا البرمكي كان أهم رجل فى ادارة هذا الخليفة حيث أشرف على الشؤون المالية الدّولة فضلا عن استشارته فى أكثر المسائل

---

(1) قارن المصادر السابقة عن " يعقوب " ب) محمد عبد الحي شعبان الدّولة العباسيّة الفاطميون ، الأهلية ، بيروت ، 1401هـ/1981م ، ص24 •)
و ب ، جواتيمان ، دراسات فى التاريخ الاسلامى والنظام الاسلامية ، ترجمة وتحقيق ، عطية القوصي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1400هـ/1980م ، ص• 88 •

(2) الربيع ، من الموالي •) رقاه الخليفة المنصور الى مرتبه " حاجب " وقد اشتهر فى كتب التاريخ باسم ((الربيع الحاجب)) ، ويروى أنّه كان من أهم الموالين للخلافة العباسيّة ومن كبار المخلصين لها • أنظر ، المسعودى ، مروج ، جـ3 ، ص313 • ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ 4 ، ص366 •)
ابن خلدون ، العبر ، جـ 3 ، ص209 ، وجميل نحلة المدوّر ، حضارة ، ص42 •)
و ، أمينة بيطار ، تاريخ ، ص143 • و ،

Dominique, S., EIè Art (El Kabil), T.3, p.1065.
Rentz, G., et Mandaville, J., EIè Art (Hadjèb), T.2, p.47.
Moscati, Le Califat d'Alhadi, revue (Studia orientalia), N° 16, T.4 (1946) pp.17-18.

حيويّة ، وبهذا يمكن الاطمئنان على الحاق اسمه بلقب " الوزير " ، غير أنّه لم يستقر في وظيفته لاسباب يصعب تفسيرها فيها ولو استبعدت فكرة حذر الخلفاء من تطوّر وزرائهم واحكام قبضتهم على المؤسّسات الحيويّة . ولعلّ هذا الحذر هو أهم مايساعد على فهم الاجراء الجديد الذى أقامه هذا الخليفة لصالح العباسيين ، وذلك حين أقدم على توليته " خالد البرمكي " مشرفا على تربية ابنه المهدي (1) ورغم بساطة هذه الوظيفة من الوجهة النظريّة الا أن أبعادها كانت من العمق مما مكّنها من أن تطبع تاريخ الخلافة العباسيّة بطابع مميز ،

---

(1) الجهشياري ، الوزراء ، ص 90 ، والمهدي هو الابن الاكبر للخليفة المنصور ، وقد اجتهد في اعداده اعدادا جيدا لتحمل مهام الدولة بعده ، وقد تطوّرت علاقته بأسرة البرامكة تطورا ملحوظا ، تترتبت عنها نتائج هامة جدا ، ساهمت مساهمة كبيرة في تطوّر هذه الأسرة وعلاقتها بالبيت العباسي ، أنظر ، ما سيأتي .)

ذلك أن فكرة تعيين كاتب ذا خبرة بشؤون الادارة وغيرها مربياً " ولي العهد)) التي ابتدعها المنصور " سيكون له أثر كبير في تطور نظام الخلافة والوزارة في الفترة التي أدرسها على الأقل . (1)

وليس من المنطق أن ينكر ما لهذه العملية من أثر في تدريب " ولي العهد " على الأساليب الادارية ومستلزمات الحكم . الا أن الملفت للانتباه أنها حددت فيما بعد مصير الخلافة والخلفاء بيد هؤلاء المربين على اعتبار أنهم كانوا أكثر الناس اتصالا بالخليفة الجديد وأشدهم تأثيرا على قراراته . ولا يستبعد مساهمة البرامكة وعلى رأسهم " خالد البرمكي " في وضع هذا القرار حيث كان أقدر من غيره على فهم أهميته . (2)

لذلك يلاحظ سعي البرامكة الى هذه المرتبة بطريقة أو بأخرى ، وقد كان ذلك سر نجاحهم كما سيأتي .

---

(1) يتضح ذلك جليا في عهد الخليفة " هرون الرشيد " كما سيلاحظ في الفصل التالي .

(2) من الصعب معرفة الأسباب التي دعت الخليفة " أبا جعفر المنصور " الى تولية " أبي عبيد الله " مربيا لابنه " المهدي بدل " خالد ، على أن الواضح أن خالدا قال لـ " عبيد الله عندما أبدى قلقا تجاه أحد المشاكل ... " أنت ترشح نفسك لتدبير الخلافة وقد حيرك هذا الأمر الصغير)) . الجهشياري ، الوزراء ، ص 127 .

ومع ذلك فان " خالدا البرمكي " لم يسلم من العزل والتعرض لتغيير وظائفه، الأسباب أمنيّة على ما يظهر.

عمد الرشيد إلى أن عينه الخليفة المنصور على اقليم " فارس"* احدى أهم الامارات المعقدة المشاكل، حيث مكث فيها مدّة طويلة تجاوزت سبع سنوات حمل خلالها لقب " أمير". (1)

ولم يكن مشرفا على شؤون الاقليم السياسيّة فحسب بل كلّف كذلك بتسويّة مشاكله الاقتصادية فيما يخص قضايا الضرائب وشؤون الأراضي الزراعيّة (2) وهي ظاهرة نادرة الحدوث في عهد هذا الخليفة العباسي.

• هذه المدّة التي بقي فيها خالد البرمكي " بعيدا عن المراقبة مكنته من أن يلعب دورا هامّا، ويحقق مجدا كبيرا لعائلته، ذلك أن بعده في منطقة فارس خوّل له أن يتصرّف بحرّية في شؤون ادارتها وقد اكتسب شعبية معتبرة (3) فضلا عن تعليم ابنه " يحي" فنون الادارة

Dominique, Op. cit, p.132
Nikitta, Op., cit., p.172

(1) الجهشياري، الوزراء، ص 99، ص 136. ونقل

(2) القلقشندي (أحمد بن علي)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط 2، عالم الكتب، بيروت، 1980 م، ج 3، ص 347.
ابن الطقطقي، الفخري، ص 129. محمد عبد الحي، الدولة العباسية، ص 24.

* اقليم واسع وحيوي، جنوب شرقي العراق، ذا موقع استراتيجي هام، وبه مدن مشهورة كشيراز وأردشير، وأصطخر، ويتزل بشمالها قبائل من الأكراد لاستغلال مراعيها الخصبة. أنظر، الجهشياري، نفس المصدر، ص 136 و ياقوت الحموي، معجم، ج 4، ص 226 ـ 228.

(3) جميل نخلة المدور، حضارة الاسلام في دار الاسلام، ط 2، مطبعة المؤيد، مصر، 1323 هـ / 1905 م، ص 616. وعبد الله فياض، تاريخ البرامكة، مطبعة الرشيد، بغداد، 1367 هـ / 1948 م، ص 60 ـ 62.
الخضري، تاريخ، ص 111، و 128.

Nikitta, Op., cit., pp.128-129

وأساليب الحكم حتى صار ساعده الأيمن مع مرور الزمن (1) .

والظاهر أن هذا المجد النامي لهذه العائلة هو الذي أثار حسد بعض رجال الخليفة، وتخوفهم من عواقبة على مصالحهم .

فأخذوا في تزوير الأخبار الواردة باستمرار الى الخليفة حتى استدعاه للمحاسبة(2) ويبدو أن للكاتب " يعقوب بن داود" الدور الاساسي في هذه الوشاية (3) ذلك أن الغرامة المالية التي ألزم " خالد" بدفعها بدعوى اختلاسها من أموال الدولة كانت مفتعلة من قبل هذا الكاتب (4) ، والا كيف يفهم تعيينه مباشرة بعد هذه الحادثة على اقليم آخر أكثر أهمية من سابقة، حين وكل اليه مهمة الاشراف على تنظيم شؤون منطقة " طبرستان " المضطربة .

(1) الجهشياري، الوزراء، ص136 ، و 133 . Dominique, Op.cit?T1,p.133

(2) الطبري، تاريخ، جـ 7، ص54) و ، ابن الوكيل، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 13أ .

(3) تشير بعض الروايات أنه كان سببا في تعيينه على منطقة فارس" لابعاده عن الادارة المركزية حتى يخلو له مجال السيطرة والنفوذ على الخلافة، أنظر، الجهشياري، الوزراء، ص99 — 100) اليافعي، مرآة، جـ 1، ص407 .) وابن الوكيل، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 41 أ-ب، يقول بسوفا، ص 41 .. أنه بعد نجاحه في هذه ... المهمة كان أعوانه، ينحتون صورته . وصورة آلات الحرب المستعملة على دروعهم، بيد أنني لم أجد لهذه الفكرة ذكرا حتى في المصادر التي أشار اليها هذا المؤرخ . وهي ظاهرة غريبة في تاريخ جند الدولة الاسلامية، اذ لم يرد لها ذكر في أي من المصادر المعتمد عليها . وأغلب الظن أن هذا المؤرخ كان متأثرا بمالدى الجيوش الأوربية فظن أن ذلك معمول به أيضا لدى المسلمين .

(4) أنظر، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي .) بدون اشارة المكان الطبع، ولا تاريخه، جـ 4، ص 166 .

لم يستغل "خالد البرمكي" هذا التعيين الاستثنائي في الضغط على الادارة المركزية في الاعتراف به كأمير على المنطقة فحسب بل افتك منها حق تنصيب ابنه "يحي" مساعدا له على احدى الامارات وقبل ان يسافر "خالد" ليتولى مهامه الجديد كان ممن استشارهم الخليفة في التحديد لمشروع بناء بغداد * .

ومن غير المنطق أن يعتبر هذا الاجراء من تصور رأي "خالد البرمكي" كما تدعي بعض الروايات (1) ذلك أن الاحداث المستجدة ومقتضيات تطور الخلافة قد فرضت مثل هذا المشروع وقد بذل الخليفة المنصور في ذلك مجهودا كبيرا سواء من حيث اختيار المواقع ودراسة . أو تحضير مواد البناء والمهندسين وغير ذلك مما يدخل في المتطلبات هذا الانجاز الضخم

---

(1) بدأ المنصور عملية بناء المدينة عام 146هـ/763م . ويعد بناءها من أهم المشاريع العمرانية في التاريخ الخلافة العباسية . وقد ظلت بغداد عاصمة للعباسيين حتى سقوطهم عام 665هـ/ 1258 نتيجة اجتياح الغزو المغولي أضماطق الشرق الاسلامي أنظر الطبري ج 7 ص614_622 ابن الاثير الكامل ج 5 ، 14، 20، وياقوت الحموي معجم البلدان ج 1 ، ص 456 ،.
Hikitta, Op., cit. p128.

(2) الطبري تاريخ ، ج 7 ، 614 ، وابن الفقيه البلدان ص 30، 31 . ، الخطيب بغداد ج 1 ص66 _ 67 .

(3) الطبري نفس المصادر ج 7 ص650 . و . تغري بردي النجوم ج 2 ، ص 5 . و أحمد مختار العبادي في التاريخ ص82 وأبو الغداء المختصر ج 1 ص193 بن خلدون كتاب العبر ج 3 ، ص196 ، و الخطيب بغداد ، ج 1 ، ص 66 _ 69 ، .
Duni, A., EIè Art (Baghdad), T.1, pp. 921-936.
René Grousset, Hes civilisations de l(Orient, Paris, T.1, p. 169.

وتكاد تقتصر استشارة الخليفة لـ "خالد البرمكي" على قضية واحدة تمثلت في طلب رأيه حول امكانية استغلال حجارة "ايوان كسرى" (+) لبناء بعض جدران المدينة الجديدة وقد اشار "خالد" بحسن تركها كأثر من آثار الامم القديمة (1)، وهذا الرأي الوحيد الذي ادلى به خالد بسؤال من المنصور وجدت فيه الروايات المغرضة سبيلا لتمجيد آراء هذا البرمكي وبيان فضله في بناء بغداد، زاعمين ان الخليفة فسر ذالك بميل مستشاره الى اجداده الفرس ومحاولته الابقاء على آثارهم، وان الخليفة امر بهدم "الايوان" الا انه اتضح له فيما بعد صعوبة العملية وغلاء تكاليفها فعدل عن مواصلة الهدم، لكن "خالدا" نصحه بالاستمرار في العمل حفاظا على سمعته وعدم اظهار عجزه في هدم ما بناه غيره (2).

ومن الواضح ان الرواية ظاهرة التلفيق فيها واضحة (3)، اذ لدي من الشواهد ما يبين ان الخليفة "المنصور" كان لا يقدم على عمل مالم يدرسه من جميع وجهه، وقد عمل كل الاحتياطات الممكنة في سبيل نجاح هذا المشروع الحيوي، فضلا عن ادراكه لمعنى ابعاد المحافظة على الآثار (4).

ويبدو ان مثل هذه الروايات المغرضة كانت سندا لبعض المستشرقين في تدعيم تحيزهم ضد العرب كمحاولة لانكار فضلهم في عمارة وتخطيط مدنهم (5)، وقد يحتمل ان لا يكون خالد البرمكي قد ساهم بالمرة في هذا المشروع بدليل ان اهم واقدم المصادر لدي عن مدينة بغداد وكيفية بنائها لا تشير مطلقا الى دور هذا البرمكي (6) زيادة على ذالك انه في الوقت

(+) — بناء ضخم واثر هام من آثار ملوك الفرس قريب من موقع بغداد، حول تفاصيل وهندسة بنائه، انظر، المسعودي، مروج، ياقوت الحموي، معجم، جـ1، ص294.

(1) — ابن الفقيه، البلدان، ص36، ابن الاثير، الكامل، جـ5، ص20 + 21، ابن الوكيل، احسن المسالك (مخطوط)، ورقة 12ب، ابن الطقطقي، الفخري، ص114، وابو الفداء (عماد الدين اسماعيل)، المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ب، ت، مج 2، ص4، وجاسم آل كلكاوي، البرامكة، ص15.

(2) — ابن الوكيل، احسن المسالك، ورقة 13أ، ابن خلدون، العبر، جـ3، ص197.

(3) — انظر، المسعودي، مروج، جـ1، ص252، ابن خلدون، المقدمة، جـ1، ص229،

(4) — الطبري، تاريخ، جـ8، ص75، ابن خلدون، العبر، جـ3، ص196.

(5) — طاهر مظفر العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، ص24—27، و

(6) — اليعقوبي، البلدان، ص234، و

A. DURI, EI2, ART (BAGHDAD), TI. PP. 921-936.

كان فيه "المنصور" يخطط للمدينة كان "خالد البرمكي" بعيدا عن الادارة المركزية منشغلا بتهدئة أوضح المناطق التى كلف بها. ومهما يكن فان ذلك لا يسقط من قيمة هذا الرجل وليس بمقدار الخلافة الاستغناء عن خدماته وتذلك خصوصا وان ابنه "يحي" صار اداريا ناجحا وقد اثبت مقدرته في ذلك بدليل إعجاب الخليفة "المنصور" به حين أرسل ابنه المهدى* الى عمر اقامته ليأخذ منه بعض التوجيهات في أساليب الادارة وفنون الحكم (1)

وقد ابتسم الحظ لهذا البرمكي الجديد عام 148هـ/ 765م حين ربطت عائلته الصغيرة بعائلة المهدى عن طريق رابطة أخوة الرضاعة مرة ثانية وذلك حين اقدمت زوجة يحي على أرضاع ابن المهدى المسمى "هرون" مع ابنها الفضل (2) كما ارضع هذا الاخير من السيدة الخيزران زوجة "المهدي" التى أخذت مع مرور الزمن ترتبط الخدمات هذه العائلة المميزة المتفانية في خدمتها (3)

---

* المهدى بن المنصور ولد في الحمية عام 126هـ/ 743م وقد نشأ في الكوفة ثم في بغداد وبذل أبوه مجهودا كبيرا في التربية وارجع ولاية العهد له وكان للبرامكة دورا مطولا في ذلك مما سيترتب عنه اعراض هامة في تاريخ خلافة المهدى أنظر ابن الطقطقي، الفخري، ص 61 حسن ابراهيم حسن، التاريخ ج 2 ص 40 تقول الرواية أن المنصور كثيرا ما كان يردد القول التالي والد الناس ابنا ورائد يحي ابا. أنظر ابن الوكيل، احسن المسالك (مخطوط) ورقة 115

(2) ابن الاثير، الكامل ج 5 ص 41-42 ابن الوكيل أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 120 وحاول المؤرخ براق نفي هذه الروايات ولكنه وصل في الاخير الى التأكيد على صلة هرون بأسرة البرامكة وترتيبه بين أحضانها انظر محمد أحمد براق، البرامكة ص 67- 68 وسمية توفيق عبد الله، تطور، ص 50 51 قامت بادوار هامة الى جانب البرامكة في الخلافة زوجتها وابنيها الهادي وهرون انظر الصفحات التالية من هذا الفصل.

(3) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت بيروت 1379هـ / 1960م ج 2 ص 406 الطبرى، تاريخ ج 8 ص 23 • أبو الفداء المختصر ج 2 ص 5 •••

ويبدو أن هذه العلاقة الجديدة قد زادت من اطمئنان الخليفة المنصور تجاه البرامكة، اذ طالبه أن عيّن "يحي" على اقليم أذربيجان (1) أحد الثغور الشرقية الهامّة في الدّولة وأمر أن يصحبه موكب ملكي بهيج تشريفاً له. (3)

وفضلا عن هذا فقد رقي "خالد البرمكي" الى ادارة اقليم "الموصل" ليحل المشاكل المستعصية هناك. (4) بمساعدة أخويه (الحسن وسليمان) أبناء..

---

(1) أذربيجان: تقع الى الشمال الغربي من فارس، متاخمة لحدود بلاد الترك، وهي منطقة جبلية، لم تكن ذات أهمّية كبيرة من ناحية الاقتصاديّة وقتئذ. أما من ناحية السياسية فقد كانت مركزا لحركات التمرّد ضدّ السّلطة العباسين وقد صعب عليهم اخمادها لاعتصام المتمردين بجبالها الوعرة.

أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص128- 129. محمد التوفيق خفاجة، تطور النظام، ص42- 45. وستريك دار المعارف الاسلامية مادة، أذربيجان، ج1، 562- 565،

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص56- 57.

ابن الأثير، الكامل ج5 ص42. ابن الركيل، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 15 أ. عبد الله فياض، البرامكة، ص60- 62.

(3) الموصل: أحد أهم ولايات الخلافة العباسيّة. ومن أشهر مدنها، كان لها أهمّية كبيرة في تاريخ الدولة بسبب موقعها الممتاز، أنظر،

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص223- 225. وللمزيد عن هذا الاقليم تاريخيا، راجع،

الأزدي، تاريخ الموصل، هنا وهناك.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص45- 56.

ابن الأثير، الكامل، ج5 ص25- 26، 39. أحمد محمود حسين، رسالة، ص42.

Honigmane, E., Elè art (Al Maousil), T.3 , pp. 650-652.

برمك . قبل أن يستد عليها الخليفة "المنصور" لمصاحبة ابنه وولي عهده "المهدي" (1)

هذه الوظائف التي تدرج فيها "خالد البرمكي" من تبعه من بقية أفراد الأسرة البرمكية فضلا عن علاقتهم الأخوية بالبيت العباسي قد مكنت "خالدا" من القيام بأدوار تجاوزت صلاحيته كمولى مهمته السهر على خدمة سيده . ذلك حين أدرك هذا البرمكي باللشعر والشعراء من دور في التأثير على الرأي العام (2) والذا ر أن "خالدا" قد كان أول الوزراء العباسيين الذين نالو شرف مدح الشعراء لهم في حضرة الخليفة وأعيان الدولة . (3)

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، 26، 39 . Bovat, Op., cit., p. 41.

(2) كان الشعر وقتئذ يمثل دور الصحافة والاعلام في الدعاية في عصرنا .

(3) يدل على ذلك القصائد التي جاء فيها اسمه مقرونا بالفضيلة الكرم ، كما هو الحال في قصيدة الشاعر — يزيد بن خالد الكوفي من بحر الطويل :

حَذَا خَالِد فِي جُودِه حَذْوَ بَرْمَكٍ فَمَجْدٌ لَهُ مُسْتَطْرَفٌ وَأَثِيلُ .

ابن الركيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 11أ . ، ووردت القصيدة دون تحديد اسم قائلها عند الأربلي (عبد اللطيف من سنبط) ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، تصحيح مكي السيد جاسم . مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص88 . وفي قصيدة أخرى يعلق أحد الشعراء غير المعروفين . فيها: آماله وطمعه على الهدايا التي قد يحصل عليها فمناسبة عيد الفرس السنوي بقوله ، في قصيدة من بحر الطويل :

لَيْتَ شِعْرِي آمَالَنَا مِنْكَ حَظُّ . يَا هَدَايَا الوَزِيرِ فِي النَّيْرُوزِ .

ابن الطقطقي ، الفخري ، ص144 .

وجرت العادة فى المجتمع العباسى على زيارة السكان من أهل المدن والقوى بيوت العائلات الحاكمة والتردد عليهم تقربا أو قصد قضاء بعض الحاجات ، ويعرف هؤلاء عادة باسم " السؤال "، بغض النظر عن انتماءتهم الاجتماعية وعن لفائدة رأى فيها خالد "البرمكى" حرجا لهؤلاء الوافدين على بيته ، وفيهم من فيهم من الاشراف ورجال القوم ، فتقرب اليهم بتغيير اسمهم السؤ" "الزوار" فى مناسبة خاصة جمعته ببعضهم ، موضحا أن ذلك أليق بشأنهم ويبدو أن هؤلاء الزوار قد استحسنوا موقف "خالد البرمكى" منهم وشكروا تعاطفه معهم لذلك كانوا لا يبخلون فى مدحه كلما كانت الفرصة لذلك (2)

هذه المكانة الإجتماعية التى ميزت البرامكة عن غيرهم من رجال ادارة العباسين وفى عهد خليفة اشتهرة بالحزم ومحاسبة أعوانه فى كل شىء ،،

للسؤال ، مفردها ، سائل ،

(1) عبرعن ذلك الشاعر يزيد بن خالد الكوفى بقوله : (بحر الطويل)

يُسَمّونَ بِالسُّؤالِ فِى كُلِّ مَوطِنٍ :: وإِنْ كانَ فِيهِم نابِهٌ وجَليلُ

فَسَمّاهُمُ الزُّوارَ سِترًا عَلَيهِمُ :: وَذلِكَ مِن فِعلِ الكِرامِ نَبيلُ

انظر، ابن الوكيل ، حسن المسالك (مخطوط) ورقة 11ب، الاربلي خلاصة ص 83، البغدادى تاريخ ج 12ص 336،

(2) قال أحد هم بهذه المناسبة مخاطب خالد البرمكى "والله لا أدرى أبن أياديك عندنا أجل أم التئام تسميتنا " ابن الوكيل ، حسن المسالك (مخطوط) ورقة 10ب ، وابن الطقطقى ، الفخرى ، ص 10 ،،

تبعث على الاستفسار حول مصدر هذه الثقة التي نالتها هذه الأسرة ، ويغلب الظن أن مرد ذلك راجع أساسا الى الدور الذي مثله "خالد البرمكي" في مشكلة "ولاية العهد" اذ لا يستبعد أن يكون قد عمل على اغراء الخرسانيين في التقرب الى الخليفة المنصور عن طريق اظهار رغبتهم في اعطاء ولاية العهد لابنه "المهدي" بدل "عيسى بن موسى" ابن أخ الخليفة وولي

وتشير الروايات أن الخليفة المنصور كان يرغب في ذلك وقد أعيته الحيلة في اقناع (عيسى) بالتنازل لصالح ابنه فاستعان بخالد الذي جمع وفدا من أنصار رغبة المنصور وقصد بهم قصر "عيسى" كمحاولة أخيرة لاقناعه بالتنازل وحين رفض هذا الأخير رغم العروض المغرية أجبره "خالد البرمكي"

---

(1) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله (102هـ/ 167هـ/ 721م ـ 733م) ، ولد ونشأ في الحميمة ، وشارك في أحداث الثورة العباسية منذ بداية مراحلها ، ولي ولاه عمه "أبو العباس" الكوفة عام 132هـ/749م وجعله ولي عهده (المنصور) ويروى أن عيسى قد كان من كبار أمراء البيت العباسي وذا شخصية معتبرة ، ولذلك كان يدعى بـ"شيخ الدولة" بيد أن الخليفة المنصور أراد ابقاء العرش في أبنائه فحزنه عن ولاية العهد وجعلها لابنه "المهدي" بعد محاولات عديدة رضي فيها عيسى بالتنازل مكرها .

انظر الطبري تاريخ جـ8 ص9ـ25 ، ابن القططقي ، الفخري ، 155 - 156 ابن الاثير الكامل جـ 5 ص 22 ، المرزباني معجم 258 ، ابن خلدون العبر جـ3 ص197 ، والزركلي الأعلام جـ 5ص109 ، 110 وحسن ابراهيم حسن تاريخ ، جـ 2 ص 29 ـ 30 .

على الامتثال عن طريق الشهادة عن قبوله بذلك زوراً بعد أن تمكن من اقناع الوفد المصاحب بطرق ملتوية (1)

ورغم ذلك فانّ البرامكة لم يحتلوا مكانة هامّة في وزارة الخليفة الجديد المهدي (158هـ ـ 169هـ/774م ـ 784م)، (2) المدين لهم باعتلائه العرش وذلك لاسباب اقتضتها الظروف التاريخيّة. ففي الوقت الذي كان فيه البرامكة منشغلين بتسيير الأقاليم الواقعة تحت ادارتهم بتكليف من الخليفة المنصور، تمكن كاتب المهدي " أبو عبيد الله " من احتلال المرتبة الأولى ضمن صفوف أعوانه ومستشاريه. (3)

---

(1) راجع تفاصيل ذلك عند، الطبرى، تاريخ، ج 8. ص 9ـ 19ـ 20.)
و، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 25، وابن الطقطقي، الفخري، ص 155، 156
وينقل عنه حسن ابراهيم حسن، تاريخ، ج2. ص 29ـ30.) سامية توفيق عبد الله، تطوّر، ص 40ـ 50.) و، ابن خياط، تاريخه، ج2 ص 471.473

(2) عن تفاصيل سياسة هذا الخليفة راجع، الطبرى، تاريخ، ج 8، ص 110.
والمسعودي، مروج، ج3، ص 319.) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 50،
وابن كثير، البداية، ج10، ص 12962.) السيوطي، تاريخ، ص 271. وعبد الله فياض، البرامكة، ص 62ـ64.

(3) أبو عبيد الله هو معاوية بن يسار. (101هـ ـ 170هـ/718م، 786م)
تمرّس في أساليب الادارة في أواخر العهد الأموي) وفي خلافة المنصور عيّن كاتبا للمهدي وحين ترقى هذا الأخير لمنصب الخلافة كان من الطبيعي أن يحتل كاتبه هذا أرقى الوظائف.) الا أنه لوحظ بعد ذلك تخلي الخليفة عن خدماته نتيجة الوشايات اللتى روجت ضده، وقد يكون للبرامكة نصيب في ذلك.
أنظر، ابن الطقطقي، الفخري، ص 134.) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص 116.)
و، ابن خلدون، العبر، ج3، 209.، أمينه بيطار، تاريخ، ص 143. و،

Dominique, Op., cit., T? 1, pp. 94-103
Moscati, Elè, Art, (Abou Oubaid Ellah), T.1, p.162.

ويبدو أن البرامكة قد فطنوا لذلك فأخذوا الى السعي لتدارك مافاتهم ولما كان " أبو عبيد الله" هو أهم رجل يمكن أن يحتاط منه على مستقبل العائلة البرمكيّة، عملوا على تصفية الحساب معه بمختلف الوسائل (1) ولتحضير الظروف المناسبة لأخذ " البرامكة " مكانتهم في الوزارة لم يتجرأ "خالد" على الاقتراب من الإدارة المركزيّة لوجود " أبي عبيد الله " ، بل ركّز اهتمامه على ربط عائلته بالبيت العباسي عن طريق اشراف زوجته وأبنائه على شؤون " هرون ابن المهدي" ورعاية مطالبه (2)

ولعلّ هذا المجهود المخصص لـ" هرون" من قبل أسرة البرامكة هو الذى يفسّر به ضياع فرصة المساهمة في وزارة الخليفة المهدي وتركها

---

(1) من ضمن ما استعمله البرامكة من أجل هذا الغرض، اظهارهم العداوة المكشوفة لهذا الكاتب، رغم الصداقة التي كانت تربطه بهم، حتى اذا سوّلت له نفسه في يوم ما محاولة الدس عليهم، كانت هذه العداوة المفتعلة مؤشراً كافيا لاستعماله من أجل تبرير ساحة البرامكة.
أنظر، الجهشياري، الوزراء، ص 143.

(2) تشير الروايات التاريخيّة أن البرامكة قد اكتسبوا ثقة سيدة القصر الخيزران، من خلال اخلاصهم لها ولابنها هرون، لدرجة أنّها كانت مستعدّت للمساعدهم وحمايتهم من أي مكروه يمكن أن يلحق بهم من أية جهة كانت. ، أنظر، الجهشياري، الوزراء، ص 151، 197، ابن الوكيل، احسن المسالك (مخطوط)، ورقة 55 ب.
و، تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 2، ص 45.

للكاتب " ابي يعقوب بن داود " بعد ان اعفي عنه من السجن عام 161هـ/ 777م ، حيث تتحدث المصادر التاريخية انه صار يمثل الرجل الاول بعد الخليفة المهدي ، بل هناك من الروايات من تذهب الى ابعد من ذلك حين تشير الى ان يعقوب بن داود الكاتب قد احتجز الامور كلها حتى على الخليفة نفسه (1) .

والظاهر ان احتكار " يعقوب بن داود " ، الوزارة لم يرضي البرامكة ، ولذلك لم يقفوا موقف المتفرج . واول تحرك اتخذوه كان عام 161هـ/ 777م ، عندما كلف " يحى البرمكي " بالاشراف على شؤون " هرون الرشيد " ابن الخليفة المهدي (2)

---

(1) – بغض النظر عن مبالغة الروايات في ذكر سيطرة يعقوب بن داود على الوزارة فان المرجح ان يكون سبب تفويضه من قبل الخليفة المهدي كان نتيجة خبرته الواسعة في شؤون العراق ، بيد ان الخليفة المهدي سرعان ما ازاحه عن منصبه بسبب اتهامه بالميل الى العلويين اعداء العباسيين ، انظر ،
اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ، ص 400 – 401 ، و ، الطبري ، تاريخ ج 8 ، ص 161 ، و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 67 – 68 ، و ، ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص 136 – 137 ، و ، المقريزي ، المقفى (مخطوط) ، ج 2 ، ورقة ، 115 و ، الذهبي العبر ، ج 1 ، ص 86 ، و ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 3 ، ص 211 و ضيف الله بطانية ، الملاقات ، ص 316 – 326 .

(2) – تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 45 ، و ، ابو الفدا ، المختصر ج 2 ، ص 8 و ، ، خاوند مير ، دستور (بالفارسية) ، ص 37 و عبد الله فياض ، البرامكة ، ص 63 ، و ، - NIKITTA, OP. CIT. P. 128.

• ومن عجيب السياسة أن يتحول " البرامكة " دفعة واحدة ، من اداريين مدنيين الى رجال سيف وذلك باشرافهم على رزنامة سنوية لحركة الجهاد في الثغور الشمالية على حدود بلاد الروم (1) •

ويلاحظ أن فكرة الجهاد ضد الروم صارت من أهم القضايا ذات الخطورة الكبيرة في سياسة البرامكة (2) لذا يلاحظ مشاركهم جميعا في غزوة عام 163هـ/780م ، على غير عادتهم (3) •)

رغم أن سن " خالد البرمكي " وقتذاك كانت لا تسمح له بالقيام بمثل هذه الأعمال • ولم تكن هذه الصائفة غزوة عادية بالقياس لضخامة العدة العسكرية المخصصة لها ، ومشاركة كبار قادة الدولة فيها ، حتى أن الخليفة المهدي نفسه ، ساهم فيها مساهمة رمزية بخروجه من العاصمة لتشييع هذا الجيش (4)

---

(1) 1) *Francesco Gabrieli , les arabes, buchat-chatel, paris, r ! 1963, p 119.*

(2) بفضل دعاية البرامكة عمل الخليفة " المهدي " على تجهيز أكبر حملة في عهده ، عام 163هـ/780م ، حيث فرض على أغلب المسلمين في حدود خلافته المشاركة فيها • أنظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص92 •

(3) ساهم في هذه الغزوة أغلب كبار رجال العائلة البرمكية (خالد واخوته الحسن وسليمان ، وابنه يحي) • قارن ، الطبري ، تاريخ ر... ج 8 ، ص146 ، ابن الأثير ، الكامل ، ج6 ، ص63 •

(4) اليعقوبي ، البلدان ، ف396 ••) وابن خلدون ، العبر ، ج3 ، ص210 — 211 •

• ومن المنتظر أن يكون قائد هذه النزوة الكبيرة أحد كبار الشخصيات الهاشمية العباسية كعادتهم ، الا أن ذلك لم يحصل هذه المرة اذا وقع الاختيار على "هرون" الفتى ، أميرا شرقيا لهذا الجيش، ولا يستبعد أن يكون للبرامكة يد في هذا الاختيار. (1)

وقد نال " يحى البرمكى " رسميا من طرف الخليفة " المهدى " بالاشراف على ادارة شؤون هذا الجيش الكبير (2)

والغريب أن هذا الحشد الهائل من الجند، وما رافقه من دعاية فى أوساط سكان العاصمة بغداد • وغيرها ، لم تتجاوز مهمته فتح احدى الحصون الشمالية المتاخمة لحدود الخلافة من أرض الروم (3)

كان " خالد البرمكى " قد دفع حياته تحت أسواره نتيجة الارهاق أثناء الحصار مع تقدم سنه (4)

---

(1) أنظر ، الطبرى ، تاريخ ، أ ، ج 8 ، ص 146 •

(2) قارن الطبرى ، تاريخ ، ج 8 ، ص 146 ب الجهشيارى ، الوزراء ، ص 150 •

(3) يدعى هذا الحسن باسم " حصن سمالو " ، حول تفاصيل ذلك ، راجع ، الطبرى ، تاريخ ،) ، ج 8 • ص 145 – 147 •

(4) كان " خالد البرمكى " فى هذه الأحداث قد تجاوز السبعين من عمر • أنظر • الجهشيارى ، الوزراء ، ص 151 •

• ولم يكن فقدان العائلة البرمكية " خالد " عقلها ومدبر أمرها ، مفاجأة أحدثت فراغا من شأنه أن يؤثر على معنوياتها ، وطموحها بل كان الأمر مهيئا له ومدبرا • ، فالفترة الطويلة التي قضاها " خالد البرمكي " في خدمة الخلفاء العباسيين كانت مواكبة لتطور هذه الأسرة (1) • ولم ينتقل منها الا وقد نالت حظورة كبيرة من الجاه والمكانة في نظر الخاصة والعامة • وبذلك ترك لها ارثا هاما ساعدها فيما بعد على مواصلة بلوغ ذروة المجد في ظل خلافة فتحت ذراعيها لكل متعاون طموح • والمؤكد أن أغلب ثمار مجهودات " خالد البرمكي • " قد آلت الى ابنه " يحي " ، وليس لدي ما يفسر نشاط " خالد " العسكري في أواخر أيامه عباسم " هرون " غير محاولاته الأخيرة للترفع من قيمة الأسرة التي تكفلت برعايته • ذلك أن نتائج بشرى انتصار الجيش الاسلامي في الشمال سنة 165هـ/781م (2) التي حملها " سليمان البرمكي " للخليفة " المهدي "

---

(1) قاربت خدمة خالد البرمكي " للخلافة العباسية • أربعين سنة ، أي منذ قبيل عام 124هـ/ حتى عام 165هـ/781م • وهي سنة وفاته .

(2) توغل جيش " هرون " البالغ حوالي 10آلاف جندي عدا المتطوعين • في بلاد الروم حتى بلغ خليج القسطنطينية ، وفرض شروطه على ملكة الروم (ايران Irène) باطلاق أسرى المسلمين ، وتعيين أدلاء لتسهيل مهمة انسحاب الجيش الاسلامي فضلا عن دفع جزية سنوية قدرها 70 الف دينار ، وقد دام هذا الصلح حتى انتقضه الروم عام 168هـ/784م • أنظر التفاصيل ، الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص152 • ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص65 ، ابن كثير ، البداية ، ج10 ، ص146 • أبو الفداء ، المختصر ، ج2 ، ص9 • و 119

اغتيال أمه (الخيزران) للتخلص منها كما هو الشائع (1)

والظاهر أن الأخوين أبناء المهدي " الهادي وهرون ، لا يحملان الكراهية لبعضهما (2) ، فيما لو استبعدت الصراعات الحزبية للبلاط العباسي وقتذاك ، فالمستفاد من التقارير التي كانت تصل الى الخليفة "الهادي " عن مواقف "هرون " منه كانت سليمة ، وأن الذين يدفعونه لمعاداته هم البرامكة وعلى رأسهم "يحيى " وكان الذين يحملون هذه التقارير هم أعوان الخليفة "الهادي " ، المتخوفون من نفوذ البرامكة وسطوتهم على "هرون " (3)

وفي سبيل ابعادهم عن اخيه لم يجد الخليفة "الهادي " حلاً غير الدخول مع البرامكة في مناقشة قضية ولاية العهد هذه (4) لاستدراج "يحيى البرمكي " الى القبول بنزع ولاية (هرون)

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص208 ، المسعودي ، مروج ، ج3 ، 337 ، وابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص79 ، وابن تغري بردي ، النجوم ، ج1 ، ص64 ، ومحمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص32 — 33 .

(2) المسعودي ، مروج ، ج3 ، ص344 .

(3) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، 405 — 406 ، و الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص208 الذي أورد عن الحادثة النص التالي بالنص موجه للخليفة الهادي ".. ليس عليك من أخيك خلاف انما يفسده يحيى بن خالد ، فابعث الى يحيى وتهدده بالقتل وارمه بالكفر" وورد النص مع شيء من الاختلاف عند ابن الأثير ، نفس مصدر ، ج5 ، ص77 ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 20أ

(4) قارن الوكيل أحسن المسالك (مخطوط) ، ص20أ — 20ب ، ابن كثير ، البداية ، ج10 ، ص158 ، السيد أحمد ابراهيم حمور ، هرون ، ص 17 ، و

والتظاهر باعطاء ولاية العهد لابنه الصبي "جعفر" بن الهادي (1) ومن ثم يسهل عليه التخلص منهم كشمن لخياتهم .

وبغض النظر عن موقف "يحي البرمكي" المطلب لمحا لح هرون فان المشكلة لا تحتمل في نظري أكثر من هذا التفسير ، فيما لو لم نعتبر بعض الروايات المبالغ فيها عن دور البرامكة واعلاء شأن "هرون" كتبرير لنفوذهم عليه فيما بعد .
اذ من غير المنطق أن يظن الخليفة "الهادي" جاهلا مكانة أخيه "هرون" في نظر الخاصّة والعامّة .. فضلا عن صعوبة اقناعه الرأي العام في اعطاء البيعة بولاية العهد لصبي لم يبلغ سن الرشد . والشواهد تشير الى أنّ هذا الرأي كان مرفوضا بالمرّة (2) فضلا عن حسن نية الخليفة تجاه البرامكة الذين كانوا يرون أعمال أخيه "هرون" بناء على أمره . (4)

---

(1) الأزدي تاريخ الموصل ، ص 262 .
(2) تشير بعض الروايات أن يحي البرمكي قد تمكن من اقناع الخليفة الهادي بقوله . اني أخشى أن تهون الايمان على الناس ولكن المصلحة أن تجعل جعفرا — ابنك — ولي العهد بعد هرون ..) ورد النص في كثير من مصادر التاريخ الاسلامي مع بعض الاختلافات البسيطة .. أنظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 343 . ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 180 ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 21 أ . و ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 . ، ص 158 ، اليزدي ، تاريخ ، (مخطوط) ، ورقة 15 ب .
(3) اليعقوبي ، البلدان ص 406 ، و ، خاون مير ، دستور (بالفارسية) ، ص 37 . ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 77 — 79 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 147 .
(4) أنظر ، الطبري ، تاريخ ج ج 8 ، ص 188 . ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 20 ب و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 74 .

حتى أنّه حين غضب على "يحي" البرمكي لعدم استجابته ، ومبالغته الشديدة في التقرب من هرون قرّر سجنه (1) . وكان بوسعه أن يتخلص منه بقتله تحت ستار طائلة من أسباب الملفقة . ومن الصعب ايجاد تفسير لتحامل بعض المؤرخين على الخليفة "الهادي" رغم أن مدّة خلافته لا تزيد عن سنة واحدة ، اذ ما لبث أن توفي في ظروف تبدو غامضة (2)

ومن الوجهة القاصرية لم يكن "الهادي" أقل شأناً ممن سبقه من الخلفاء خصوصا وأنّ الفترة التي حكم فيها كان شابا لم يتمرس بعد في أساليب الإدارة ومقتضيات السياسة . (3) زيادة على افتقاره .

---

(1) أنظر الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص207 وما بعدها . ،
ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص77 — 78 ، وابن خلدون ، العبر ، ج3 ، ص216 . وعبد اللّه فياض ، البرامكة ، ص 67 — 68 dominique; op; cit, t1, p134.

(2) هناك بعض الروايات تتهم أمه — الخيزران — بمساعدة البرامكة . ، في قتل هذا الخليفة . ، أنظر ، المقريزي ، المقفى (مخطوط) ، ج2 ، ورقة 21 ، و القلقشندي (أحمد بن علي) ، مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق أحمد فراج ، ط2 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1400هـ/ 1980م ، ج1 ، ص190 . ، تغري بردي ، النجوم ، الجـ 2 ، ص64 .

(4) من المؤكد أنّ الخليفة الهادي لم يكن قد بلغ حتى سن الثلاثين من عمر وقتئذ ، بل انّه بالمقابلة مع أغلب الروايات التاريخيّة حول هذا الموضوع يرجّح أن يكون الهادي قد تجاوز الخمس والعشرين سنة من عمره وقت تسلّمه منصب الخلافة .

الى اداريين محنّكين من أمثال "يحي البرمكي (1)

ومن الوجهة العملية لا أرى الخليفة "الهادي" قد ارتكب أخطاء يمكن أيعاب عليها عدا موقفه المعادي لتيار الشيعة العلويين (2)

والذي قلت حدّته بالقياس الى عهد أبيه "المهدي" وجدّه "أبي جعفر المنصور (3)

ولهذا فانّ التحامل المبالغ فيه ضدّ هذا الخليفة الشاب لا يتعدى أن يكون سببه من جهة ثمار مجهودات البرامكة .

---

(1) ظهر في خلافة الهادي قلّة من ذوي الخبرات الادارية ، ولعلّ أشهرهم الفضل بن الربيع – سيأتي ذكره – ، وعيسى بن علي بن ماهان . سيأتي ذكره أيضا وابراهيم بن كوان الحراني ، ولسوء الحظ فانّ هؤلاء لم تعط لهم الفرصة توظيف خبراتهم الاداريين بسبب موت الخليفة المفاجيء . ولعلّ هذا هو السبب عدم تسميتهم بالوزراء من أكثر مصادر التاريخ الاسلامي . أنظر ابن خياط ، تاريخه ، ج2 ، ص480 ، وابن كثير . البداية ، ج10 ، ص 151 ، و ،

- Douminique , op. cit , t1, p 119, Moskati, op. cit ,p20

(2) انتهز العلويون الظروف الصعبة التى كانت تواجه الخليفه الهادي الشاب ، فعقدوا العزم علي الثورة ضدّ سلطته ، والمنادات بارجاع الامامة الى نسل العلويين ، وكان ذلك ابتداء من موسم الحج ، لسنة 169هـ / 735م ، الآ أن الخليفة قد وجه اليهم جيشا كبيرا ، تمكن من القضاء علي حركتهم في مهدها . بعد موقعة شهيرة ، تعرف في التاريخ الاسلامي ، بمعركة (فخ) . ، قتل فيها العديد من كبار الشيعة وشتت من نجى منهم ، من القتيل أو الأسر ، حول تفاصيل هذا الموضوع راجع ، الاصبهاني في (أبو الفرج علي) ، مقاتل الاطالبيين ، تحقيق السيد أحمد سقر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1368هـ / 1949م / ، ص463 . و الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص 192 – 103 . ، اليعقوبي البلدان ، 404 – 405 .

ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص75 – 76 .

(3) أنظر ، الاصبهاني ، مقاتل ، ص98 وما بعدها .

وضيف اللّه ، بطاينة ، العلاقات ، ص141 . 227 .

الفصل الرابع

الدور السياسى لأسرة البرامكة
في
عهد الرَشيد

ــــن الخطأ ان يعتبر "هرون الرشيد" كان قادرا على تسييـــر شؤون الحـــكم قياسا للشهـــرة التي نالها في الحروب الثغريـــة ضد الروم البيزنطيين .. ذلك انـــه لم يكن له منها سوى الاســـم الشرفي على عادة مصاحبة الملوك وكبار الامـــراء لجيوشـــهم ، وقد اشرت ان هدف هذه الحـــرب لا يتعدى كونـــه حركة دعائية قام بـــها البرامكة من اجل كـــسب تاييد الرأي العام لصالح " هـــرون الرشيـــد " (1) .

وبغض النظر عن رغبـــة هذا الاخير في الجهاد فيما بعد فان الوضع ا انه عجـــز كلية عندمـــا جابهته اول مشكلة تطلبت منـــه اتخـــاذ القرار فيهـــا بنفســـه (2) .

ولعل هذا الشاب لم يالف بعـــد مرارة الدسائس والمناورات السياسية التي اخذ اخـــوه " الهادي " في مواجـــهتة بها ، وذلك حين اعلن لمربيـــه "يحـــى البرمكي " انه مستعد للتنازل عن ولاية العهد فيما لـــو تركـــه اخـــوه " الهادي " يعيش فـــي امـــان وحـــرية (3) .

---

(1) انظـــر ما سبـــق

(2) — ترجع اعراض ذلك الى سنة 169 هـ/785م ، عند موت الخليفة الهادي بعيدا عـــن العاصمـــة ، اذ اعترضت الرشيد مشكلة تسريح الجيش الذي كان بصحبتـــه تجنبا لتمرده حـــين يسمع خبـــر وفاة الخليفة فلم يزد الرشيد عـــن قولـــه ، (... ادعـــوالي ابي — يقصد بـ ذلك يحى البرمكي — فاقدم على حـــل ذلك حيث اعطى للجند رواتبهـــم وامرهم بالانصراف الى اهلهم وذويهـــم ....) ، انظـــر ،
البلاذري ، انساب الاشراف (مخطوط) ، ورقة 1335 ..
الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص187 و ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص74
ابـــن خلـــدون ، العـــبر ، ج 3 ، ص214

(3) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 208 ، احمد ابراهيم حمرر ، هرون ، ص18 واحمد محمد برانق ، البرمكـــة ، ص29—33 .
وتبالغ بعض الروايات في الدور الذي مثله يحى البرمكي في هذا الموضوع حين تشير الى ان الخيزران — ام الرشيد — كانت تتوسل الى هذا البرمكي بان يقف عـــن تدعيمـــه لابنها خوفا على مصيره ولذلك طمأنها ونصح الرشيد بالخروج الى الصيد تظاهرا والبقاء هناك بعيدا عن العاصمة حتى يسوي هو المشكلة مع الخليفـــة انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 121

خصوصـــا وانه كان وقتـــذلك ينتظر مولوده الاول مـــن زوجته الصفيـــة زبيـــدة (1) .

ولم يكـــن بوســـع " يحى البرمكـــي " ان يسكـــت عن هذا التنازل وهو الذي كـــرس جـــل وقته ليـــرى ابنـــه الرشيد يحتلي عرش الخلافة (2) ولذلـــك فقد غضب " يحى " منه بعد ان وضح لـــه مخاطـــر هذه الفكـــرة وآثارها على مستقبلـــه (3) .

والواقع ان الرشيد كان مدينا للبرامكة فـــي تولية عـــرش الخـــلافة بل كان مدينا لـــهم بحياتـــه ايضا (4) . ولذلك كان احساسهـــم منذ بداية حكمـــه

---

(1) – زبيدة – عربية هاشمية ، بنت عم الرشيد تزوجـــها عام 165هـ/ 781م وانجبت له ابناء منهم الامين – الخليفة – . وهي من فضليات النساء وشهيراتهن في التاريخ العباسي ، ينسب اليها عدة اعمال خيرية ذات المصلحـــة العامة . انظر ،
البغدادي ، تاريخ ، جـ 14 ، ص 433 ، الاربلي خلاصة ، ص 107
ابن خلكان وفيات ، جـ 1 ، ص 189 ، تغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ، ص 213 .
عمر رضا كحالة ، اعلام ، جـ 2 ، ص 17 – 29 ، الزركلي ، الاعلام ، جـ 3 ، ص 42 .

(2) – انظر ، الازدي ، تاريخ ، ص 261 ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 82 .
- *Douminique , op . cit , T 1 , P 134.*

(3) – تقول الرواية ان يحى البرمكي قد تجاوز حدود اللياقة الادبية تجاه " ولي العهد " حين رفض منه مناقشة هذه القضايا بالطرق الاستسلاميـــة .
انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 208 ،
احمد ابراهيـــم حمور ، هـــرون ، ص 20 .

(4) – الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 230 ، الصولـــي ، (ابو بكر محمد بن يحى) ، الاوراق ، ط 1 ، مطبعة الصاوي ، مصر ، 1353هـ / 1934م ، ص 154 .
الازدي ، تاريخ ، ص 261 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 144 ،
البغدادي ، تاريخ ، جـ 14 ، ص 128 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقـــة 21 ب .

انهم كانوا اجـــــدر الناس بتحمل مسؤوليات هذا الفتى الذي ربوه خلال عشريـــن سنـــة ، وعلى ذلك يكونون قد دخلوا السياسة وكلهـــم ثقة واعتزازا بانفسهم (1) .

وطبقا لهذا المنظور اخـــذ البرامكة في ممارسة نشاطهم في ادارة الحكم قبل الاعـــلان عن خلافة الرشيد واعطاء البيعـــة لـــه من قبل جمهور المسلمين كما جرت العادة ، حيث يذكـــر المؤرخون القدماء ، " البرامكة " قد استدعوا كتابا الـــى منزل احدهم بعيدا عـــن الادارة الحكومية وقاعات دار الخلافـــة ليطلـــوا عليهم صيغة البيان الاعـــلامي لمختلف ولايات الدولة ، يخبروهم فيـــه تولي الرشيد العرش وتوصياته الاولية التي ينبغي مراعاتها (2)

بيد ان الملفت للانتباه ليست بلاغـــة الكتاب وصيغته البيانية بالقيـــاس الـــى محتواه غير المألوف لدى الخلفاء العباسيين الذين سبقوا " الرشيد " ، حيـــث ركـــز البيان على قضيتين اساسيتين اولاهما التبشير بالاعطيات ووعود تعميم الخيـــرات على الرعية ، وثانيهما التشديد على ضرورة جمـــع الاموال وجباية الضرائب مـــن كـــل

---

(1) ـ ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص 186 ، البغدادي ، تاريخ ، جـ 14 ، ص 129 ـ وسامية توفيق عبد الله ، تطور ، ص 51 ـ 55 ، عبد الرحمن المصري ، اثر الفرس السياسي في العصر العباسي الاول ، (رسالة جامعية) ، قدمت لجامعة الازهر سنة 1397 هـ / 1977 م ، مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل رقم 1349/1247 ص 194 .

Gabrieli , op . cit , pp . 58 - 59 .

Dominique , op . cit , T1 , pp 134 - 135.

(2) ـ انظر الطبـــري تاريخ ، جـ 8 ، ص 212 ، 230 ـ 231 . و الصولي ، الاوراق ، ص 154 ـ 155 .

الاقاليـــــم والنواحي لملء خزينة بيت المال (1) .

ويظهـــــران هناك تناقضا بين البندين لا يوجـــــد له تفسير موضوعـــــي الا من خلال تتبع مجريات الاحداث ، حيث انه يعبر بصدق عـــن سياسة البرامكة طيلة فترة نفوذهـــم (2) .

ومـــــن الواضـــح ان نسخ البيانات قد ارسلـــت على عجل فـــي مطلع اليوم التالي في الوقت الذي بدأ " يحى البرمكي " يعد للترتيبات الاوليـــة فـــي دار الخلافة لتحضير موعـــد استقبال الخليفة الجديد الوفود المبايعـــة والمهنئـــــــــة .

وكانت العادة ان يقف الخليفة المنتخب خطيبا ، ثـــم يتلقى البيعة مـــــن المسلمين عن طريق المصافحـــة ، الا ان هذه المرة لم يحصل شيء مـــــن هذا التقليد المعـــــروف (3) .

وهذه هـــــي المرة الثانية التي يلاحظ فيها " الرشيد " عاجزا عـــــن اداء مهامه ، التي لا تستوجب بالمنظـــــور السياســـــي توكيلهـــا لغيره .

---

(1) ــ انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص 154 ــ 155 ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 230 ، ابن الاثير ، الكامـــــل ، جـ 5 ، ص 82 .

(2) ــ انظر ، ما سياتـــــــي ،

(3) ــ انظـــر ، الصولي ، الاوراق ، ص 155 ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 250 ، ابن الاثيـــــر ، الكامـــل ، جـ 5 ، ص 82 .

واقتضت سياسة " يحى البرمكي " الا يواجه الوفود بدل سيده حفاظا على شعور الزوار وفيهم من فيهم من نبهاء القوم وسادة العرب من الهاشميين وغيرهم . فقدّم " يحى " رجلا ذا مكانة مرموقة في البلاط العباسي لموالاته لأهل البيت واخلاصه الشديد لهم ، فضلا عن علاقته الطيبة باسرة البرامكة (1) ليقف خطيبا في مواجهة الجمهور بدل الخليفة " هرون الرشيد (2) .

وبهذه الطريقة جنب " يحى البرمكي " الخليفة الجديد امتحان القدرة على مواجهة القضايا بنفسه كما اعفاه من مخاطر قد تربكه امام فطاحل اللغة العربية وبيانها . وهو أمرا لا اجد له تفسيرا غير محاولة التشكيك في اشراف البرامكة على تعليم " هرون " حيث لم يكن سوى تغطية سياسة المتطلعة لطموحاتهم غير المحدودة نحو المناصب الادارية السامية .

ومهما يكن من امر ذلك فالشائع انه بعد هذه الحادثة اجتمع الخليفة ب " يحى البرمكي " واعلن له صراحة تفويضه الكامل على شؤون ادارة

---

(1) — هو يوسف بن القاسم بن صبيح ، من الموال تميز بالخبرة الواسعة في ميدان الكتابة والادب اذ كان من كبار كتاب دواوين الخليفة المنصور . وكان من المقربين اليه لما لاحظ عليه من اخلاص للبيت العباسي . اما في عهد نفوذ البرامكة فقد قام بادوار هامة في الادارة المركزية خلال العشر سنوات الاولى من خلافة الرشيد (توفي عام 180هـ / 796م) . وقد قام ابناؤه من بعده باعمال ادارية هامة في الخلافة العباسية خاصة ابنه " احمد " الذي صار وزيرا للخليفة المأمون . انظر ،

الصولي ، الاوراق ، ص 156 — 158 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 131 ، 175 ، ابن خياط ، تاريخه ، ج 2 ، ص 502 ، المرزباني ، معجم ، ص 509 ، محمد توفيق خفاجة ، تطور ، ص 117 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 8 ، ص 245

(2) — الصولي ، الاوراق ، ص 154 — 155 و ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 160 .

خـــلافته بطريقة يصعب الشك فيها لاعتماد اغـــلب المؤرخيـــن القـــدماء علـــى سرد نصها وقد جاء فيه على لسان الرشيد مخاطبا يحي — قد قلدتك أمر الرعية واخرجته من عنقـــي اليك فاحكـــم في ذلك بما تـــرى من الصواب واستعمـــل ما رأيـــت وامضي الامـــور على ما تـــرى" (1) .

وبـــهذه المناسبة اقيم حفل بهيج حـــفظ الشعـــر مدلوله التاريخي حيث دعي يحي بلقب الوزير (2) . وميّز عن بقية الاعوان والمستشارين بالدخول علـــى الخليفة دون وساطة حاجب او موعـــد سابق ، فضلا عن وقوف الغلمان له اكبارا واجلالا مثلما يحيون الخلفاء من بني العباس (3) .

ويـــبدو ان يحي البرمكي لم يضع امتيازاته حيز التطبيق قبل ثلاث سنوات خلـــت من خلافة هرون الرشيد (170 — 173هـ / 786 — 789م) وذلك لوجود سيدة القصر وأم الخليفة "الخيزران" التي كانت على جانب كبير مـــن الذكاء والفطنة سمحا لها بممارسة نوع من الوصاية على ابنـــها الشاب القليل التجربة فـــي أساليب الحـــكم (4) .

---

(1) — الطبـــري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 223 . ويرد النص في اغلب مصادر التاريخ الاسلامي مـــع بعض الاختلافات البسيطة في الشكل لا في المضمـــون . انظـــر لمؤلف مجهـــول ، العيـــون ، ص 290 — 291 . البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 128 و الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 . ابن الاثيـــر الكامـــل ، ج 5 ، ص 82 ، و تغـــري بردي ، النجـــوم ، ج 2 ص 65

(2) — قال في هذه المناسبة الشاعر ابراهيم الموصلي — سياتي ذكره — قصيدة من بحر الطويل ، جاء في مطلعها ،

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ سَقِيمَةً ... فَلَمَّا وَلِي هَرُونَ اشرقَ نورُهَا
بِيُمْنِ أَمِين اللهِ هَرُونَ ذِي النَّدَى ... فَهَارُونَ وَالِيهَا وَيَحْيَى وَزِيرُهَا

ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 .

(3) — انظر الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 291 . ابن الاثيـــر ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 — 83 ، السيوطـــي ، تاريخ ، ص 294 ، ابن عساكر ، التاريخ ، ج 5 ، ص 28

(4) — ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 283 و الاربلـــي ، خلاصة ، ص 108 . عبد الله فيلبي ، البرامكة ، ص 71 — 72 .

Gabrieli , op . cit , pp 58 - 60.

ويبالغ بعض المؤرخين في الحديث عن سلطة " الخيزران " في الفترة الاولى من خلافة الرشيد ، ويزعمون ان السيدة كانت وراء كل القرارات الصادرة عن الوزير "يحيى البرمكي" (1) .

والملاحظ ان شيئا من هذا لم يكن فيما لو استحضر الوضع الذي كانت تعيشه هذه السيدة ، وعلاقتها بهذه الاسرة التي خدمتها ما يزيد عن عشرين سنة . وقد كانت احدى النساء البرمكيات – زوجة يحى – اما لإبنها الخليفة الحالي من الرضاعة كما كانت الخيزران نفسها أما من الرضاعة لأحد فتيان البرامكة . فأي اوامر يمكن ان تعطيها هذه السيدة واية مراقبة محتملة لترصد بها تنفيذ قراراتها من قبل هذه الاسرة – ان كانت هناك قرارات – حيث لم يكن لها اية فكرة عن سوء نيتهم ، او مجرد شك في ولائهم لها .

ولعل مصدر تلك المبالغة ناتج عن مظاهر الاحترام والثقة المتبادلة بين الاسرتين ، كما وانه لا يمكن استبعاد استشارة الوزير " يحى البرمكي " لها من حين لآخر فهي على كل حال زوجة لخليفة وام لخليفتين (2) .

---

(1) – الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 233 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 291 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص 82

(2) – انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 291 ، ابن كثير ، البداية ، ج10 ، ص 160– 161 ، و ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ج 3 ، ص 217 .
تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 65 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ، ص 50 .

ويظهر ان السيدة لم يكن لها مجال للتدخل في الشؤون السياسة غير القيام ببعض الاعمال الخيرية وقضايا البر والاحسان (2) وتحدد دورها في في ذلك مسؤوليتها تجاه رعايا ابنها الشاب وشعورها باهمية مساعدة المعوزين لضمان ولائهم للخليفة الجديد .

ومهما يكن من امر ذلك فالشائع ان زمام الحكم قد صار بيد الوزير البرمكي . وقبل ان يوظف بقية افراد اسرته من القادرين على تحمل المسؤوليات اخذ في ترتيب بعض الاجراءات المهمة لتصفية الادارة المركزية ، وقد عمل بدهاء على ازالة وظيفة اقدم اداري في تاريخ الخلافة العباسية ، واهم مخلص لها وهو " ابو العباس الطوسي " (2) بدعوى انه كان يماطل في ختم ويعطل سير الاعمال (3) وبذلك المراسيم والقرارات الصادرة عن دار الخلافة

(1) — تقول الرواية ان دخل الخيزران السنوي كان يبلغ ما قيمته "ستة الاف وستين الف الف درهم" كانت تنفقها في الصدقات ، انظر انظر ، تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص72 .

(2) — اشتهر " ابو العباس الطوسي " بمولاته للبيت العباسي قربه الخليفة العباسي الثاني " ابو العباس المنصور واعتمد عليه في عدة مهام حتى صار رئيسا لحرسه . وقد توفي بعد سنة من عزلته على يد البرامكة عام 171هـ/ 787م انظر الطبري التاريخ ، ج7 ، ص 507

ابن الاثير الكامل ج 4 ، ص 663 ، ج 5 ص 130 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 178 .

(3) — انظر اليزدي تاريخ ، (مخطوط) ورقة 110 — 11ب

وبذلك اصبحت المراسيم والقرارات الصادرة عن دار الخلافة تطبع

بخاتم " يحى البرمكي " (1) • وبخاتم كاتبه في القضايا ذات الاهمية الاقل شانا "(2)

والملاحظ ان المؤرخين قد اعطوا اهمية كبيرة الى تحويل الختم الى

البرامكة لانه يدل على الثقة التامة فضلا عن مدلوله السلطوي وقتئذ (3)

والروايات حول هذا الموضوع كثيرة ومتضاربة مما يجعل الخروج بفكرة

واضحة امرا عسيرا فهناك من يشير الى ان الخاتم

---

(1) _ الخاتم يعود ا تاريخ استعماله في الدولة الاسلامية الى زمن الرسول (ص) ثم الخلفاء الراشدين من بعده ولاهمية هذا الخاتم كانوا لا يسلمونه لاحد اما في العهد الاموي فقد صار بيد اهم من يثق فيه الخليفة اذ كانت مهمته مراقبة السجلات والتحقق في امور البيانات المرسلة بعد ان يقدمها للخليفة و ويختمها بحضوره ،اما تسليمه لكاتب ومنحه حرية التصرف فيعلم يحدث قبل هذا التاريخ ، انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص178و ،

Bouvat , op . cit , P 49.

Dominique , op. cit , T1 . p 137.

(2) _ صار كاتبه المفضل _ ابو القاسم بن يوسف _ المولى الذي سبقت الاشارة اليه ويلاحظ بعد هذا الاجراء غير العادي المحاولات الاولى للازدياد اهمية الكتاب ودورهم في الادارة العباسية • انظر ، المولي ،الاوراق ، ص154_ 156، الجهشياري ،الوزراء ،ص178 ، محمد توفيق خفاجة ،تطور ، 117_ 118 •

(3) _ يفسر هذا التحويل تفويض الخليفة الرشيد وزيره يحى البرمكي شؤون الولايات ومراسلة ولاتها دون الرجوع اليه •، وذلك بحجة سرعة تصريف الامور التي اشار اليها هذا الوزير منذ السنة الاولى من حكم الرشيد •، انظر ،الجهشياري ،الوزراء ،ص178و ،محمد توفيق خفاجة ،تطور ، ص117•

وقد انتقـــل الى " الفضل بن الربيع" (1) لاسباب تبــــد وغامضـــــة (2) وحسب ما تجمع لدي من روايات الأ حظ ان هذا الرجل غيـــر المرغوب فيـــه في ادارة البرامكة لم يجرؤ على طلب الخاتم منهم ، بل هناك مايثبت ان الخاتم قد بقي مـــتداولا بين ايـــدي البرامكـــة حـــتى سنوات متاخـرة مـــن وزارتـــهم (3) .

والملاحظ ان "يحى البرمكي" قد اضاف الى لقبه الرسمي ـ الوزيـــر لقبا شرفيا حيـــن صار يدعى ب " الامير" ايـــضا ، وهي ميزة لم ينلها احد مـــن اعوان الخلفـــاء قبلـــه

---

(1) ـ هو احد الموالي المخلصين للبيت العباسي . وكان رجل ادب وادارة اكتسب ذلك مـــن ابيه " يونس" الذي خدم العباسيين طيلة حياته ، وللفضـــل علاقة جيدة بالخلفاء ، وكان يطمح الى مناصب عليا في عهـــد الرشيد . ، وقـــد عانى كثيرا من مضايقة البرامكة له في عدة مناسبات ، فضلا عن احتجازهم المناصب العامة دونه . ويرون انـــه كان يناصر الحـــزب العربي في مواجهة الحزب الفارسي الذي كان يمثله البرامكة وبعض اعوانهم الفـــرس . انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 216 ، 249 ـ 251 . و لمؤلـف مجهول ، العيون ص 292 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 87 ، الجمـــرد ، هرون ، ج 1 ص 156 ـ 157 ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج 4 ، ص 163 ، محمـــد بهجت الاثري ، الفضل بن الربيع ، مجلة (الحيل) ، عدد 10 (اوكتوبر 1984م / 1404هـ) ص 38 ـ 39 .

(2) ـ تسير بعض الروايات ان الخيزران كانت تبغض الفضل بن الربيع وتمنعه من الارتقاء في خلافة الرشيد ، لوقفه بجانب الهادي ايام خلافته ، غير ان هذه الفكرة تعوزها الدلائل المقنعة ، انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 292 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ص 164 ، الخضري ، محاضرات ، ص 122 ، محمد محمد شمس الدين ، رسالة في تاريخ هرون الرشيد ، رسالة جامعية ، قدمت لجامعة الازهر مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل رقم . 100 ، ص 132 ـ 134

(3) ـ ابن الوكيل ، حسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 50ب ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 103 . ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 153 . ، اليافعي مراة ، ج 1 ، ص 430 ، الخضري ، محاضرات ، ص 113 . و ،

Bouvat , op . cit , pp 49 , 50

Dominique , op . cit , T1 , pp , 38 - 39.

والمعروف ان لقب " الامير " كان يطلق عادة على القادة العسكريين اما في هارون " يحى البرمكي " فلا اجد لذلك مدلولا عمليا غير سيطرة هذا البرمكي على ادارة الجيش (1)

ولتجسيد هذه الالقاب الى واقع عملي وتثبيت جدارته اقدم على اتخاذ اجراءات ادارية جديدة في اساليب الادارة ونظام المراسلات التي تطورت في عهدهم تطورا بيّنا ما له صلة بالمشاريع السياسية التي كان البرامكة ينوون القيام بها (2) •

والملاحظ ان الكثير من هذه الاجراءات كان يقوم بها وحده دون استشارة الخليفة الرشيد وهي ظاهرة نادرة الحدوث في تاريخ الدولة الاسلامية وتاريخ الوزارة على حد سواء (3) •

---

(1) — تتحدث بعض المصادر التاريخية عن وظائف يحى البرمكي ، وتحدد انه اجتمعت له " الوزارتان " اي وزارة السيف والقلم • انظر قارن ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 235 ب الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 و ، الخضري ، محاضرات ، ص 113 ، وب ، ابراهيم احمد حمور هرون ص 20 — 21 •

(2) — الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 ، توفيق محمد خفاجة ، تطور ، ص 117 — 118 •134

(3) — يعرف هذا النوع من الوزارة " التفويض " وتعني في عمومها حرية الوزير دون الرجوع — في اتخاذ القرار — الى الخليفة ، عكس وزارة " التنفيذ " التي لا تتعدى مجرد تطبيق اوامر الخليفة والسهر على تنفيذها ، انظر الماوردي ، (ابو الحسن علي) قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، ط 1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1399هـ / 1979م ، ص 133 — 139 ولنفس الكاتب ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398هـ / 1978م ص 24 — 29

وتجنبا للمنافسات السياسية والصراعات الداخلية المتوقعة تبعا لتطور سلطات البرامكة قام " يحى البرمكي " بسلسلة من التعديلات ذات الابعاد الهامة (1) .

ويأتي في مقدمة ذلك سحب اغلب جنود المؤسسات العسكرية المرابطة على كامل الحدود الشمالية للدولة والتي كانت تقف في وجه التحركات البيزنطية الدائمة . واخذ يركزها في الداخل (2) .

ومن الصعوبة بمكان معرفة نوايا البرامكة من وراء هذه الاجراءات العسكرية ، لما لوحظ عنهم من نشاط في هذا الميدان قبل تولية هرون عرش الخلافة (3) .

واستنتج من ذلك ان هناك حقيقتين جوهريتين في سياسة البرامكة في عهد الخلافة العباسية ، اولهما ان تشجيعهم الحرب الثغرية في الشمال لم يكن يقصد منها غير اعلاء شانهم امام امة تقدس الجهاد (4) وتعتبره من مقوماتها .

---

(1) - انظر ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 160

(2) - حول تفاصيل هذا الموضوع ، انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 83 الازدي ، تاريخ ، ص 262 ، لمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ، ورقة 45 ب ، 146 ، و عمر فاروق ، بحوث في التاريخ العباسي ، ط 1 دار القلم ، بيروت مكتبة النهضة ، بغداد ، 1397هـ / 1977م ص 187 ، وبليايف ، العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، ط 1 ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، 1392هـ / 1972م ، ص 301 ، و الجومرد ، هرون ، ج 2 ، ص 346

(3) - انظر ما سبق

(4) - الجهاد يعني محاربة المشركين لادخالهم في الدين الاسلامي وهدايتهم وهدايتهم الى طريقه القويم . انظر القرآن الكريم . سورة التوبة ، آية 111 وسورة الصف ، آية 9 .

وثانيهما ان محاولة تركيز الجيش العباسي وعدم تركه موزعا على الثغور تجنبا لاحتمال وقوعه في مغريات احد المعارضين لنفوذ البرامكة الآخذ في التزايد باستمرار .

وفضلا عن ذلك قام " يحى البرمكي " بافراغ دار الخلافة من اغلب الشخصيات الهاشمية والتي يتوقع طموحها الى المناصب العليا ، وذلك عن طريق تعيينهم في مناصب هامة الا ان جلها قد اختير خارج العاصمة " بغداد " (1) . بعد اكرامهم بهبات واعطيات مالية ضخمة (2) .

وانطلاقا من هذا الوضع شرع " يحى البرمكي " عائلته باستدعاء اهم افرادها للعمل في مختلف الوظائف السامية .

ويظهر انهم كانوا على جانب كبير من الاستعداد لذلك ، وتطنب المصادر التاريخية في الحديث عن شخصية " جعفر البرمكي " الجذابة لامتلاك رصيدا هائلا من الثقافة فضلا عن تحكمه البين في ناصية اللغة العربية وبيانها ولعل ذلك ما خول له ان يتخصص في " منادمة (3) الخليفة الرشيد الذي كان يشاركه الراي العام في الاعجاب بهذا الفتى البرمكي (4) .

---

(1) _ انظر ، البلاذري ، انساب ، (مخطوط) ، ورقة 335 ب ، وابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 83 .

(2) _ بالغ البرامكة _ في بداية نشاطهم _ اكرام آل البيت رغبة منهم في استمالتهم اليهم واصطناعهم ، انظر ، ابن كثير ، البداية ، 20 ، ص 161 .
ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 65 .

(3) _ جعفر اهم شاب من شباب اسرة البرامكة ، 150 هـ _ 187 هـ / 767 _ 803 م نشأ في بغداد ، واولاه ابوه يحى عناية خاصة حيث تتلمذ على " ابي يوسف " سياتي ذكره _ قاضي قضاة بغداد ، وتكاد تتفق المصادر في الاعجاب بشخصيته وفي الاشادة بالادوار التي مثلها في عهد هرون الرشيد ، انظر ، البغدادي ، تاريخ ، ج 7 ، ص 152 ، ابن خلكان ، وفيات ، ج 1 ، ص 105 ، اليافعي ، مراة ، ج 1 ، ص 404 ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص 23 ، البيهقي ، (ابوالفضل) تاريخ البيهقي ، ترجمة الخشاب وصادق نشأة ، مكتبة الانجلو مصرية ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ب ت ، ص 722 .

(4) _ وتعني المجالسة والمؤانسة ، وقد كانت هذه الوظيفة معروفة عند العرب القدماء وعند الفرس ، حيث كان الملوك يختارون الظرفاء اعوانهم واقدرهم على ادخال السرور وتهيئة جو الفكاهة في مجالسهم . انظر ، جمال سرحان ، المسامرة والمنادمة عند العرب ، دار الوحدة ، بيروت ، 1401 هـ / 1981 م ، ص 15 ، و ، الفصل السادس من هذا البحث .

والمنادمة في سياسة البرامكة تتجاوز الحدود المتعارف عليها حيث ان جعفر رقيبا على الخليفة ونادرا ما يفارقه ، ولذلك فانه من الصعب تحديد مهامه بدقة نظرا لتعددها ، ومحاولة " جعفر " التدخل في الكثير من القضايا المختلفة مما يعكس للباحث صورة مشوشة عن مهام الوزراء حتى ذلك الوقت.

وعلى العكس من ذلك فيما يخص اخاه " الفضل البرمكي " الذي كانت مهامه مهامه اكثر وضوحا بسبب تولية اعمالا خارج العاصمة بغداد (1).

ولم يقف نفوذ اسرة البرامكة الى هذا الحد ما دام فيهم من يستطيع احتجاز وظيفة في عهد هذا الخليفة المسامح ، فحتى " محمد بن خالد البرمكي " الذي لا يعرف عنه الا القليل كان قد تمكن من احتكار حجابة قصر الرشيد زهاء سبع سنوات (172 ــ 179هـ / 788 ــ 795م) رغم كبر سنه وضعف شخصيته على ما يبدو (2)

ويتحدث بعض المؤرخين عن وجود اثنين من ابناء " يحي البرمكي " هما " موسى " و " محمد " قد كانا يحملان لقب " امير " ولهما دور هام في التأثير على الساحة السياسية ببغداد (3). والظاهر ان هذه المناصب التي نالها البرامكة وتلك الالقاب التي كانوا يدعون بها في فترة واحدة تشير الى فكرة سابقة لاوانها

(1) ــ تركز نشاطه في الاقاليم الخرسانية المضطربة باستمرار ، اكسبت الرجل شهرة عسكرية لم تحصل لاحد غيره من افراد اسرته كما سنرى

(2) ــ محمد بن خالد اخو " يحي البرمكي " يندر ذكره في الروايات التاريخية ولا يعرف له نشاط في الخلافة العباسية غير وظيفة الحجابة ، وورود اسمه عرضا ضمن قائمة ولاة " اليمن " في فترة قصيرة من خلافة الرشيد . انظر ابن خياط ، تاريخه ، ج 2 ، ص 487 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 261 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 115 ، الجهشياري ، الوزراء ، 187 ــ 233 الاربلي ، خلاصة ، ص 113 .

(3) ــ محمد خاوند شاه، تاريخ روضة الصفا (بالفارسية) ، طبعة حجرية ، دون الاشارة الى الاشارة الى مكان الطبع 1271هـ / 1954م ، ص 133 ، 135 ، محمد شمس الدين ، هرون ، ص 99

عـــن تكوين وزارة فريدة من نوعها في تاريخ نظام الوزارة في الدولة الاســـلامية ، قوامها الوزير الاول الممثلة في شخصية " يحيى البرمكي " مجـــموعة من الوزراء والامراء الممثلين في بقية اعضاء الاســـرة (1)

هذا الاحتكار الاداري المميز الذي مارسه البرامكة والثقة التامة التـــي تمتعوا بـــها في بداية خلافة الرشيد تبين بوضوح سمـــات التطور الحضاري و الاجتماعي للشعوب الاسلامية وقتذاك ،، وهي ميزة شاع ظهورها منذ اعتلاء العباسيين عـــرش الخـــلافة .

ولا شـــك ان وضعية البرامكة - بغض النظر عن الظروف الاستثنائية التـــي اوصلتهم الى الحكم - (2) خـــير دليل علـــى هذا الرقي والاصلاح الاجتماعي

وتكـــاد تجمع المصادر التاريخية والادبية - المعتمد عليها - ان الخليفة الرشيد قـــد انصـــرف في بداية عهـــده الى قضايا بعيدة عن ميدان الادارة وتسيير الحكم حيث كان يقضي معظم وقته خارج العاصمة لمتابعة حركة الجهاد وتنظيم عمليات الغزو في شمال بلاد الشام ضد البيزنطيين تاركا الادارة المركزية وشؤون الولايات بيد وزرائه البرامكة واعوانهم من العناصر الفارسية (3) .

---

(1) - يتضح في كثير من الروايات ان جعفر البرمكي " قد حمل لقب " الوزير " في نفس الوقت الذي كان يحمله " ابوه يحى ، واخوه " الفضل " ، ولعل هذه الظاهرة هي التي كان يقصد بها المؤرخون القدماء عندما يصفون وزارة البرامكة بـ دولة البرامكة " . انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 153 ، 173 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 110 ، 150 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ، 53 - 54 ، و ، احمد محمود حسنين ، هرون ، ص 2 .

(2) - راجع علاقتهم بالخلفاء العباسيين فيما سبقت الاشارة اليـــه .،

(3) - حسب روايات المصادر الجيدة الاحظ ان الرشيد قد ركز نشاطه طيلة فترة حكمه على الميدان العسكري باشرافه على سلسلة من عمليات الحرب الثغرية ضـــد البيزنطيين ، وما صاحب ذلك من بناء الحصون والثغور وترتيب مستلزماتها كما امضى وقت غير يسير في قمع حركات التمرد التي كانت تقوم في عهده من حين لآخر . ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص 24 - 224 . ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 268 ، اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ورت ، ط 2 ، دار الكتاب الجديدة بيروت ، 1400 هـ / 1980 م ، 24 - 25 ، القزويني ، آثار ، ص 146 ، 330 ابن قتيبة ، الامامة ، ص 188 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 99 ، الذهبي ، ج 4 ، ص 274 . ، اليافعي ، مرآة ، ج 1 ، ص 378 ، عمر فاروق ، بحوث ، ص 187 ، سهيل زكار ، التاريخ ، ص 72 . ، عبد الكريم البليغ ، الرقة مدينة الرشيد ، مجلة (الدوحة) ، عدد 16 ، 1404 هـ / 1983 م ، ص 104 - 109

عـــن تكوين وزارة فريدة من نوعها في تاريخ نظام الوزارة في الدولة الاســـلامية ، قوامها الوزير الاول الممثلة في شخصية " يحيى البرمكي " ومجـــموعة من الوزراء والامراء الممثلين في بقية اعضاء الاســـرة (1)

هذا الاحتكار الاداري المميز الذي مارسه البرامكة والثقة التامة التـــي تمتعوا بـــها في بداية خلافة الرشيد تبين بوضوح سمـــات التطور الحضاري و الاجتماعي للشعوب الاسلامية وقتذاك ، وهي ميزة شاع ظهورها منذ اعتلاء العباسيين عـــرش الخـــلافة .

ولا شـــك ان وضعية البرامكة - بغض النظر عن الظروف الاستثنائية التـي اوصلتهم الى الحكم - (2) خـــير دليل علـــى هذا الرقي والاصلاح الاجتماعي

وتكـــاد تجمع المصادر التاريخية والادبية - المعتمد عليها - ان الخليفة الرشيد قـــد انصـــرف في بداية عهـــده الى قضايا بعيدة عن ميدان الادارة وتسيير الحكم حيث كان يقضي معظم وقته خارج العاصمة لمتابعة حركة الجهاد وتنظيم عمليات الغزو في شمال بلاد الشام ضد البيزنطيين تاركا الادارة المركزية وشؤون الولايات بيد وزرائه البرامكة واعوانهم من العناصر الفارسية (3) .

---

(1) - يتضح في كثير من الروايات ان جعفر البرمكي " قد حمل لقب " الوزير " في نفس الوقت الذي كان يحمله " ابوه يحيى ، واخوه " الفضل " ، ولعل هذه الظاهرة هي التي كان يقصد بها المؤرخون القدماء عندما يصفون وزارة البرامكة بدولة البرامكة " . انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 153 ، 173 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 110 ، 150 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ، 53 - 54 . و ، احمد محمود حسنين ، هرون ، ص 2 .

(2) - راجع علاقتهم بالخلفاء العباسيين فيما سبقت الاشارة اليـــه .،

(3) - حسب روايات المصادر الجيدة الاخبار ان الرشيد قد ركز نشاطه طيلة فترة حكمه على الميدان العسكري باشرافه على سلسلة من عمليات الحرب الثغرية ضـــد البيزنطيين ، وما صاحب ذلك من بناء الحصون والثغور وترتيب مستلزماتها كما امضى وقتا غير يسير في قمع حركات التمرد التي كانت تقوم في عهده من حين لآخر . ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص 224 - 24 . ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 268 ، اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ورت ، ط 2 ، دار الكتاب الجديدة بيروت ، 1400 هـ / 1980 م . ، 24 - 25 ، القزويني ، آثار ، ص 146 ، 380 ابن قتيبة ، الامامة ، ص 189 ، ابن كثير ، البداية ، ج = ، ص 99 ، الذهبي ، ج 4 ، ص 274 . ، اليافعي ، مرآة ، ج 1 ، ص 378 ، عمر فاروق ، بحوث ، ص 187 ، سهيل زكار ، التاريخ ، ص 72 . ، عبد الكريم البليغ ، الرقة مدينة الرشيد ، مجلة (الدوحة) ، عدد 16 ، 1404 هـ / 1983 م ، ص 104 - 109

وتبعا لذلـــك يمكن القول الى ان البرامكة كانوا مسـؤولين بطريقة او باخـــرى عـــن ادارة البلاد سلبا وايجابا على الاقل في الفترة الاولى مـــن خلافة الرشيـــد ويظهـــران البرامكة قد انصرفوا منـــذ استلامهم المناصب الحساسة الى توجيـــه الحكـــم توجيها بذلوا فيه اقصى طاقاتهم واستعملوا فيه كل مواهبـــهم يحـــدوهم فـــي ذلك اخـــلاصهم المتفاني للدولة وثقة الخليفة فيهم دون استبعاد آمالهـــم وطموحهم في المجد ومحاولة فرض وجودهم (1) .

وبعد ان تخلصوا مـــن اغلب العناصر التي كانت تقف في وجههم ايام الخليفة الهادي (2) واغلب الظن ان " يحى البرمكي " وابنه جعفرا " قد بقيا مـــلازمين للادارة المركزية ببغداد لتسيير مختلف شؤون الخلافة في حـــين تولى بقية الاسرة شؤون الولايـــات (3) .

وياتي في مقدمتهم " الفضل البرمكي " الذي يـــدين له شرق الخلافة بالكثير من الاعمال لدرجة انه لا يعرف عنه شيء آخـــر غير ارتباطه باحداث اقاليم خراسان حتى الى حدود ماوراء النهر المميزة عن غيرها بشدة الاضطرابات تسود يومئذ (4) .

---

(1) — يروى انـــه كان هناك آراء تطالب باغتيال هؤلاء تقترب للخليفة الرشيد ووزيره " يحى " على ان عفو هذا الاخير عنهم — رغم مافي ذلك من مبالغة — يدل دلالة صراحة على رجاحة عقل هذا البرمكي وحسن تدبيره اذ لا يعقل ان يفتح خليفة عهده بسلسلة مـــن الاعتقال واراقة الدماء قد تجـــر الخلافة الى العديد من المشاكل هي في غنى عنها وتتذاك ، انظره

الجهشياري ، الوزراء ، ص178 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقـــة 21ب ، محمد احمد برانق ، البرامكة ، ص39 .

(2) — انظـــر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 . الصولي ، الاوراق ، ص 156

Dominique , op ,cit , t1 pp 140 , 149 - 150
Sfyan, op . cit , t2 . p 210.

(3) — يستثنى من ذلك " محمد بن خالد " الذي احتفظ بالحجابة قصر الخليفة كما اشرت سابقا

(4) — انظر ، البلاذري ، فتـــوح ، ص 295 ومابعدها ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 242

وتعـــــد عملية حـل مشكلة " يحى العلوي " (1) الذي اخذ يدعو للتمرد على سلطة العباسيين واقامة خلافة جديدة يحكمها العلويون احدى النقاط البارزة فـــي نشاط " الفضل البرمكي " .

وبعض النظر عـــن تفاصيل استعداد الجيش العباسي الى القضاء عـــلى هـــذه الفتنة (2) ، فان الرائج انها قـــد طفئت دون قتال ، بفضل الضمانات التـــي قدمها هذا البرمكي للثائـــر العلوي (3)

ويبدو ان هذه النتيـــجة غير المتوقعة التي توصل اليـــــها الفضل البرمكي " قـــد كانت سببـــا في كسبـــه الشهـــرة العامة ونيـــل المكانة

(1)ــ يحى العلوي ــ هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب مـــن كبار العلويين الثائرين ضد العباسيين ، وقد كان ضمن قادة معركة " فخ " ال الشهيرة ــ التي اشرت اليها سابقا ــ وقد تمكن يحى من الفرار من المعركة بعد ام ان كاد يقضى عليه . ، وسار الى اقليم الديلم بخراسان ، وهناك اخذ يدعو الى نفسه بامامة المؤمنين ، ويدعو الناس الى انتقال الخلافة العباسية للمزيد عن هذا الموضوع راجع ، الاصفهاني مقاتل الطالبين ، ص463ــ 486 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص189ــ 190 ، لمؤلف مجهول ، العيون جـ 3 ، ص292 ــ 293 ، الطبري ، تاريخ ، جـ ، ص242 ــ 243 ، خواندا مير ، دستور ، ص46ــ 47 ميرخواند ، تاريخ ، 135 ، سامية محمود نصار ، الحركات المناهضة للخلافة العباسية في الشرق ، رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة 1403هـ/1983م مكتبة كلية الاداب قسم الرسائل ، رقم 3782 ، ص 50 ــ 81

(2)ــ تقول الروايات ان " الرشيد " قد خصص لهذه المهمة جيشا قوامه " خمسون الف جندي " انظر ، البيهقي ، تاريخه ، ص440ــ 441 ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ص243 ، ابن كثير ، البداية جـ 10 ص176 ، اليزدي ، تاريخ ، (مخطوط) ، ورقة 27ب

(3)ــ اشاع بعض المؤرخون ان الفضل راود " العلوي يحى " بالترغيب والترهيب حتى استدرجه للصلح مقابل امان موقع فيه من قبل الخليفة الرشيد بشهادة والفقهاء وعلية القوم يضمن فيه عدم التعرض لـ " يحى " واصحابه عند حلولهم ببغداد . انظر ، اليعقوبي ، تاريخه ، جـ 2 ، ص 243/ 408 ، الاصفهاني مقاتل ، ص481ــ 482 . ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 243 ، ابو الفداء ، المختصر ، جـ 2 ، ص 13 .

المكانـــــة المميزة ليس لدى الرشيد فحســـب بل لدى اعيان بغداد ايضا حيث استقبلـــوه استقبال البطل الفاتـــح (1) .

ولعل هذه المكانة التي فاز بها هذا البرمكي دون استحقاق تـــــد وضعته في رذيلة الغرور التي تنتاب بعض الشباب في مثـــل سنـــه حيث انشغل بعد ذلك عن مسؤولياته كأمير على اهم مناطق خراسان وذلك بتنظيمه لرحلات الصيد هنالـــك وبصاحبها مـــن اسراف في المظاهر وفق ماحملته تقارير رجال البريـــد الى قصـــر الخليفة .. والملفت للانتباه في هذا الموضوع هـــو موقف الرشيد اللامبالي ازاء مثل هذه التجاوزات في حـــق مصالح رعيته ، حيث لم يكلف نفســـه عناء البحث في الموضوع ولم يزد عن اعطاء التقرير بعد ان قراه — الى وزيره " يحى " ليتخذ الاجراء المناسب (2)

والغريب ان " يحى " لم يظهر عليه اي انزعاج تجاه تهاون ابنه وهو في بداية حياته العلمية بل لاطفه بنصائح لينة كتبها على ظهر التقرير نفسه وارد ف ذلـــك بقصيدة يفهم منها دعوة ابنه الى اتباع سياسة نفاق توامها التظاهر بالجد والاخلاص ثم اتيان الملذات بعيدا عـــن اعين الرقابة وملاحظات العامة (3) .

---

(1) — انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 293 ، وقد خلد هذا الانتصار البرمكي شاعرهم شاعرهم المجيـــد — مروان بن ابي حفصة سياتي ذكره — حين قال في الفضل قصيد قصيدة من بـــحر " الكامل " جاء في مطلعها —

ظفرت فلا شلت يد برمكية رتقت بها الفتق الذي بين هاشم

انظر ، القصيدة كاملة عند الطبري ، تاريـــخ ، جـ 8 ، ص 243 .

(2) — ايراد الرواية التي وردت على لسان الرشيد حتى يعرف مبلغ قيمة البرامكة لديه ، ومدى ثقته بهم ، قال الرشيد مخاطبا يحى " يا أبت اقرأ هذا الكتاب و واكتب اليه كتابا يردعـــه عن مثل هذا "

انظر ، المسعودي ، مـــروج ، جـ 3 ، ص 377 ، اليافعي ، مراة ، جـ 1 ص 431 ،

(3) — وردت القصيدة دون ذكـــر صاحبها ، جاء في مطلعها من بحـــر السريـــع

انصبْ نهارًا في طِلابِ العُلاَ واصْبِرْ في مَطْلَعِهَا عَلَى فُقْدَانِ الحَبِيبِ
حَتَّى إِذَا اللَّيلُ بَدَا مُقْبِـــلاً واستَتَرتْ فِيهِ وُجُوهُ العُـــيُوبِ
فَبادِرِ اللَّيلَ بِمَـا تَشْتَهِـــي فَإِنَّمَا اللَّيلُ نَهَارُ الأَرِيـــبِ

انظـــر ، المسعودي ، مـــروج ، جـ 3 ، ص 377 — 378 وينقل عنـــه ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 125 ، وابن عبد ربه ، العقـــد ، جـ 6 ، ص 382 ، والصديقي محمد عبد الرحيم ، النبراس ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1384 هـ / 1964 م ص 165 — 166

والظاهر ان هذه النصائح قد عملت مفعولها في نفسيـــــة " الفضل البرمكي " فاستقامت سيرته وحسنت سياسته وساعده في ذلك اخـــوه " محمد البرمكي " الذي كلف من قبل "يحى" على مايبدو (1) .

ويرى ان الفضل بعد ذلك صار سيد خراسان بلامنازع ، وآلت اليـــه اغلب شؤونه كما انه لم يعد يتلقى الاوامر من الادارة المركزية في المشاريع المختلفة التي كان يقوم بهـــا (2) .

وتتحدد فـــترة تفويضه هذه بسنة 178هـ/794م على ارجح الروايات وهي السنة التي تبين تجاوز اشراف " الفضل " على عمليات اخماد الفتن الى المشاريع ذات الابعاد الاقتصادية والاجتماعية في الدولة (3) .

ويظهر ان اجراءات هذا البرمكي قد لاقت ارتياحا كبيرا لدى الســكان لذا كانوا مستعدين لمناصرته والدخول في جيشه عند اللزوم ، ويكاد يتفق الرواة ان الفضل قد كون منهم جيشا ضخما ادخل جزءا منه الى العاصمة بغداد (4) .

---

(1) محمد محمد شمس الدين هارون ، ص 102 ، ويندر ان نجد لهذا البرمكي محمد بن يحى – نشاطا سياسيا غير امارته على ارمينية احدى اهم الاقاليم في الخلافة العباسية العباسية ، انظر الملحق رقم ( )

(2) انظر الطبري تاريخ ، ج 8 ، 257 ، اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ، 407 – 408 ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 173 ، شمس الدين ، هارون ، ص 56 ، فاروق عمر فوزي (سقوط البرامكة 187هـ / 803م نموذج من الدس الشعوبي في التاريخ العربي) ، ص 41

Dominique, op , cit , T1 . P 146
Nikitta , op , cit . p 136.

(3) – البغدادي ، تاريخ ، ج 21 ، ص 336 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 296 الاربلي ، خلاصة ، ص 167 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 23ب ، لمؤلف مجهول مختصر ورقة 125 .

واغلب الظن ان عملية مثل هذه تعتبر الاولى من نوعها في تاريخ الخلافة العباسية وتاريخ الوزراء والامراء على حد سواء .

وسواء اكان الخليفة الرشيد قد اعجب بهذا المشروع بدافع الروح الجهادية العالية التي كان يتحلى بها هذا الخليفة ام لا ، فان التفسير المنطقي لهذا الحدث لايحتمل غير محاولة البرامكة تدعيم سلطتهم بوجود قوة عسكرية تدين لهم بالولاء في جيش الخلافة الرسمي اللآخذ في الخروج من دائرة نفوذهم باستمرار (1) .

ورغم اهتمام "الفضل البرمكي" بشؤون الجيش الا انه لم يوفق في ايجاد حلول للمناطق الشرقية التي كانت تقع ضمن مسؤولياته حيث كثرت في عهد حركات التمرد والانتفاضات الداخلية في كامل اقاليم خراسان . ولا يشك في ان اهتمامات الدولة قد كانت منصبة لوضع حد لهذه الوضعية المتردية مما جعلها تستنزف امكانياتها استنزافا دائما (2) .

---

(1) — اغلب قادة جيش الخلافة في عهد هرون الرشيد كانوا ممن لا تربطهم علاقة حميمة بالبرامكة ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص 296 . ،
الاصفهاني ، الاغاني ، ج 19 ، ص 286 . ،
ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 106
فاروق عمر ، طبيعة ، ص 284 .

(2) — تميز شرقي الخلافة العباسية في عهد الرشيد بديمومة الانتفاضات يقودها زعماء محليون وبغض النظر عن دوافعها فانها تكشف بوضوح سوء ادارة البرامكة وفشلهم في ضمان ولاء سكان الشرق عكس ماتدعيه بعض الروايات الشعوبية انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 262 ومابعدها . ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 353 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص 90 ومابعدها ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص 218 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ص 51 — 53 . ، نبيه عاقل ، بعض احتمالات ص 74 — 75

والحقيقة ان البرامكة فيما لو استبعد " الفضل البرمكي " لم يكونوا رجال حرب فقد استهوتهم المناصب الادارية وعززت عليهم ملذات العاصمة حيث لا يعرف عن " يحى البرمكي " غير الاشراف على الدواوين الخلافة المركزية واحكام قبضته عليها في حين كسب ابنه " جعفر " ود الخليفة الذي كان لا يناديه الا ب " اخي جعفر " (1) ٠

ويظهر ان الخليفة قد ارتاح له اكثر من غيره لذلك طلب من ابيه نقل الخاتم الى " جعفر " بدل " الفضل " (2) كما اصبح في فترة لا تتجاوز سنة 180هـ/ 796م رئيسا لحرسه ومستشاره الخاص ٠ وبذلك يكون جعفر قد اشترك في كل شيء تقريبا وصار له حجابا يمنعون الناس من الدخول اليه دون اذن (3) ٠

وهذه الظاهرة لم تعرف في تاريخ الدولة الاسلامية قبل نفوذ البرامكة ٠ ومع مرور الزمن تمكن " جعفر " من الحصول على العديد من الوظائف الهامة ياتي في طليعة ذلك اشرافه على ديوان الرسائل ، التي ابدع فيها ونال من خلالها شهرة ادبية في الترسل لم ينلها احد من الوزراء والاعوان (4) ٠

---

(1) ــ تتحدث المصادر بالتفصيل عن علاقة جعفر البرمكي بالخليفة الرشيد ، واعجاب كل منها بالآخر ، بشكل يكاد او يكون غير عادي ، انظر ،
بدرون ، قصيدة ابن عبدون ، تحقيق رينحارت دوزي ، مطبعة الاخوين لختمنس ليدن ، 1263هـ/ 1946م ، ص 227 ، اليافعي ، مراة ، ج 1 ، ص 408 ، وقد وصف احد الشعراء ــ ابن مناذر ــ علاقة جعفر بالرشيد فقال قصيدة من بحر الكامل ــ جاء في مطلعها

قَدْ تَقْطَعُ الرَّحِمُ القَرِيبُ وَتُكْفَرُ النُّعْمَى وَلَا تَتَقَرَّبُ القَلْبَيْنِ
يُدْنِي الهَوَى هَذَا وَيُدْنِي ذَا الهَوَى فَاذَا هُمَا نَفْسٌ تُرَى نَفْسَيْنِ

الاصفهاني ، الاغاني ، ج 18 ، ص 208 ٠

(2) ــ الجهشياري ، الوزراء ، ص 207 ٠ Dominique, op , cit, T1 - pp , 149- 150.

(3) ــ الجهشياري ، الوزراء ، ص 212

(4) ــ ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 65ب ، 66آ

ولا شك ان هذه الوظائف قد قربت "جعفرا" اكثر من غيره من دار الخلافة واطلعته على كل ما يدور بمحيطها •

ويرى انه كان ينوب عن الخليفة الرشيد في النظر في شكاوي المتظلمين (1) • التي لا يستوجب من الناحية التشريعية توكيلها لأحد دون الخليفة (2) •

ويتضح مما سبق ان اغلب نشاط دواوين الخلافة في العاصمة صار موزعا بين يدي " يحى البرمكي " وابنه " جعفر " • بيد ان ذلك لا يعني عدم اهتمامهم بشؤون الولايات ــ فالشواهد تدل ان الفضل البرمكي كان مسؤولا عن الناحية الشرقية من الخلافة في حين كان اخوه " جعفر " مشرفا على غربها (3) •

ولئن اشرت الروايات التاريخية الى نشاط " الفضل " والادوار التي مثلها في الشرق (4) •

(1) ــ تبالغ بعض الروايات في الحديث عن نشاط جعفر البرمكي في الجلسات التي كان يعقدها الخليفة الرشيد للنظر في شكاوي رعاياه ، وتروي ان " جعفرا " كان احيانا يطلع على ما يزيد عن الف شكوى ويجيب عن كل واحدة بمنتهى العدل • انظر ، البيهقي ، تاريخ ، ص 722
اليافعي ، مراة ، ج 1 ، ص 404
(2) ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 65
2) dominique, op, cit, T1. p 140.
- C, fyan , histoire de l'organisation juriciaire, t2,p210.

(3) ــ انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ، 30ب ، 181أ
(4) ــ راجع دور الفضل في اقاليم خراسان في الصفحات السابقة من هذا الفصل

فانه على العكس بالنسبة لأخيه "جعفر" حيث لم يخن من العاصمة لمعاينة مشاكل سكان غرب الخلافة غير مرة واحدة ، خرج فيها الى بلاد الشام حين وصلت الاضطرابات الداخلية بها حدا لا يطاق (1) •

وبغض النظر عن استغلاله لجذور الفتنة بالدعوة الى الوئام وتجريد السكان من السلاح فان المشكلة تجعل الباحث يصل الى حقيقة ادارة البرامكة وسياستهم التي لم تكن مثالية في كل الاحوال كما هو الشائع (2) •

والملاحظ ان " جعفرا " على الرغم من نجاحه الكبير في هذه المهمة الا انه لم يكن مطمئنا لذلك ، حيث يفهم من تقريره الشفوي الذي قدمه للخليفة الرشيد عن تفاصيل العملية هو عدم وجود نية له في الخروج مرة اخرى (3) مما يكشف عن تدبير خفي كان يحذره البرامكة في الخلافة العباسية خصوصا وان

(1) — كانت بلاد الشام — خليلة نفوذ البرامكة — مسرحا لنزاع عصبي مقيت بين القبائل العربية لا يستبعد ان يكون للبرامكة دور في تزكية • انظر ، اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ، ص409+ 410 ، الطبري ، تاريخه ، ج8 ، ص262 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص91 ، ابن عساكر ، تاريخه ، ج 5 ، ص176— 193 لمؤلف مجهول ، العيون ، ورقة 47ب ، وابو الفداء ، المختصر ج 2 ، ص15 ، فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة ، كمال اليازجي ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1392هـ / 1972م ، ج 2 ص165 • ، وامينة البيطار ، الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية وحتى الفتح الفاطمي ، رسالة جامعية ، قدمت لجامعة دمشق ، 1395هـ / 1975 ص 106 وما بعدها

(2) كان " موسى بن يحى " البرمكي " قد كلف من قبل الرشيد لتهدئة الفتنة في بلاد الشام قبل اخيه " جعفر " وقد تمكن موسى من القبض على زعمائها ، وقدمهم للخليفة الرشيد الذي رد " الحكم فيهم الى يحي وزيره فعفا عنهم واخلى سبيلهم ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 1 ، ص62 • ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص115 • ، و ، الخضري ، محاضرات ، ص 117 •

وان هـــــناك عناصر غير البرامكة اخـــذت تعـد نفسها لتمثل ادوارها على مسرح الاحـــــداث (1) • ولم يكن هذا الامر بعيدا عن اهتمام الشيخ "يحى البرمكي" ، وهو يلاحظ ان الاوضاع آخـــذة في الافلات من يده بـــعد ان تقدمت بــــــه السـن ، ولذلك نجده يعتذر للخليفة الرشيد اعفاء ابنه " جعفرا " من بعض الاعمال واقتصاره على الاهم منها تجنبا لما قد يقع فيه هذا الشاب نتيجة تعدد اختصاصاتـــه وتــــداخل بعضها (2) •

ومـــع ذلك فلم يكن يلاحظ على الخليفة استيائه لما وصلت اليه طمـــوح وزرائه البرامكة ، وبالعكس فان الشواهد تدل على انه كان في غاية الارتياح في الوقت الذي كان فيه البرامكة يستقبلون الوفود وينظرون في مظالمهم (3) ، وهو امر كان يعتبر مـــن الناحية التشريعية تخليا من جانب الخليفة على اهم حقوقه المقدسة (4) •

---

(1) - فرضت طبيعة تطور ادارة الخليفة الرشيد دخول عناصر ادارية جديدة ممن لا يرتاحون الى الدور الذي يقوم به البرامكة في الدولة الاسلامية • انظر ، اليعقوبي ، تاريخه جـ 2 ، ص 429 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 249 • ، الجومرد ، هرون ، جـ 1 ، ص 156 - 159 ، المقدسي ، البدء ، جـ 6 ، ص 101 المسعودي ، التنبيه ، ص 316 •

(2) - توجه " يحى " البرمكي " الى ابنه " جعفرا " ايضا ، وحاول اثناءه عن الظهور عن الاستمرار في التدخل في كل الامور • ، ويروى انه راسله بالخطاب التالي ، (ان من خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم) ، انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 25ب

(3) - قارن ، الاربلي ، خلاصة ، ص 149 ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 109 ، ب ، ابن الطقطقي ، الفخري ص 156 ، ويروى ان الرشيد قد تحدث لاحد اعوانه حين راى الوفود تتردد على مجالس " يحى البرمكي " بالحديث التالي (••• رحم الله يحى •••قد خفف عني وحمل الثقل دوني وناب منابي •••) ، وهذا ما يبين حسن نية هذا الخليفة تجاه وزرائه ورعيته ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 225

(4) - الماوردي ، الاحكام ، ص 81 ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ 2 ، ص 224 • عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة ، ص 53 ،

الجـــــومرد ، هـــــــــــرون ، جـ 2 ، ص 355

وفي الوقت الذي كان فيه البرامكة في عز نفوذهم لم يفتهم ان يستغلوا كل ما من شانه ان يجدد قبضتهم على السلطة ويضمن لهم استمرار نفوذهم في الدولة تحسبا لما قد يطرأ من احداث قد تادي الى الحد من سيطرتهم او زحزحتهم عن مناصبهم الحساسة في الدولة •

والمؤكد انهم استفادوا اكثر من غيرهم من المبدأ الذي ابتدعه الخليفة " المنصور" المتعلق بتعيين احد كبار الاداريين مشرفا على ولي العهد (1) وقد لوحظ من الوجهة النظرية ان المبدأ كان يهدف الى ضمان امن الدولة واستقرار نظامها عكس ماهو الحال بالنسبة للواقع العملي حين يلاحظ ان مصير الخلافة والخلفاء يتحدد على يد هؤلاء المشرفين (2) وذلك قبل ان يتفطن الخلفاء لعواقب ذلك •

والبرامكة رغم نفوذهم الكبير في خلافة الرشيد لم يهملوا عملية الاشراف على تربية ابنائه لادراكهم اهمية ذلك ،وقد لبى الخليفة طلبهم بوضع ابنه " المامون " تحت " جعفر البرمكي " في حين كلف اخاه (الفضل) بابنه

---

(1)_ انظر،الفصل الثالث من هذا البحث •

(2)_ ابتدأ ذلك في الفترة الاولى من حكم الخليفة " المهدى " للعلاقة التي كانت تربطه بمربيه " ابا عبيد الله " ،اما بالنسبة للخليفة الرشيد فقد ظهرت المشكلة بوضوح كما اشرت خلال هذا الفصل •

الثلاثي وهو " الامين " (1) . وتحسبا للظروف الطارئة درج الخلفاء على تعيين " ولاة عهد " لهم من ابنائهم في معظم الاحيان .

بيد ان الحاجة لم تكن مطروحة وتتذلك حتى تطرح مثل هذه القضايا (2) ، فالخليفة الرشيد لا يزال شابا لم يألف هو نفسه تسيير دفة الحكم كما ابنائه لا يزالون صبية لم يتجاوزوا سن الخامسة من عمرهم ، ويندر ان يوافق المسلمون على بيعة صبي لم يبلغ الحلم بعد (3) .

ومع ذلك فقد طرح موضوع ولاية العهد بعد الرشيد وحمل على محمل الجد ، ومن الصعوبة بمكان الاقتناع بتفسيرات بعض المؤرخين القدماء لهذا الحدث الذي اوعزوه الى قضايا امنية اقتضتها ظروف البيت الحاكم فبزعمهم ان انعدام وجود

---

(1) - انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 211 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 310 ، ابن العبري ، (غريقوريوس) ، تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، (ب ، ت) ، ص 127 ، و ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 177 ، الاربلي ، خلاصة ، ص 127 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 12 ، ص 338- 339 ، و ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 166 .

(2) - حسب ما تجمع لدي من روايات الاحظ ان البرامكة قد طرحوا فكرة ولاية العهد في عهد الرشيد ، سنة 175هـ / 791م ، وهي السنه التي لا يزال الخليفة الرشيد لم يتعود بعد اساليب الحكم فضلا على انه لم يكن قد تجاوز سن الثلاثين من عمره انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 240 .

(3) - من المعروف ان الملايين " الامين " لم يكن في هذه السنة قد وصل الى سن الخامسة من عمره ويرى ان المسلمين قد امتنعوا عن اعطائه البيعة بولاية العهد لهذا السبب ، وذلك قبل تحايل البرامكة وسعيهم الى مخادعة المسلمين . انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، 240 - 241 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 292 ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 88 ، و ، ابن كثير ، ج = 10 ، ص 165

احـــــد هم حث " الفضل البرمكي " على العمل لصالح " الامين " الصبي ومناه بالسلط بالسلطةو الجامحالة نجاحه (1) •

والظاهران هذه التفسيرات تعوزها الادلة التارخية امام طموح البرامكـــة وحنكتهم السياسية حيث كانوا قادرين على تدارك الامور قبل وقوعها خاصة عندما يتعلـــق الموضوع بقضايا سياسية ذات ابعادكهذه • ولذلك فلا يستبعد ان يكونوا وحدهم المسؤولين عن هذا المشروع خصوصا وان " يحى البرمكي " قد اخذ يحـــس بتقدم سنه وقد لا يسمح له ذلك بمواصلة تمثيل الادوار الهامة لصالح السياسة البرمكية في الدولة •

ولا شك انه كان يشعر بالخطر الذي تهدد ام اسرته عند مـــــــــــــا تفتقده ، بمقتضى الوضع الذي لم يكن في صالحهم (2) • وهناك من الشواهد مايبين ان " الفضل البرمكي " قد اخذ يحث اعيان المنطقة الشرقية من الخرسانيين بتقديم الهدايا و منـــــح الاعطيات ليتبنــــوا المشروع ويسلعده على اتمامه • ، ويظهر انـــــه

---

(1)ـ هو الامير عيسى بن جعفر اخو زبيدة زوجة الخليفة الرشيد وخال الامين ، ويروى انه قال للفضل البرمكي بشأن موضوع ولاية العهد للامين ، (••• انه ولدك و خلافته لك ، وان يحى اختي زبيدة تسالك في ذلك •••) ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 240 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 88 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 96 • ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 2 ص 218 •

(2)ـ اشرت سابقا الى تخوف البرامكة من دخول عناصر لا يطمأن الى ولائهم لهم ومنهم بعض الامراء العباسيين وبعض قادة الجيش العباسي •

المشروع ويسلعده على الاتمامه .. ويظهر انه نجح في ذلك حيث ارسل وفدا هاما الى بغداد كمحاولة اولى لاقناع الخليفة الرشيد بالموضوع والتعبير له عن ارتياحهم لابنه الامين وليا للعهد (1)

وقيل ان يعطي الخليفة الرشيد رأيه في الاقتراح استدعى " يحى البرمكي " وعقد معه مناظرة على انفراد استغرقت وقتا طويلا (2) .

حيث لم تعد العملية مجرد اعطاء ولاية العهد للابن الاكبر كما هو مالوف اذا كان للخليفة ابنا في سن جد متقاربة وفي مستوى واحد من الثقافة (3) .

والمهم ان الموقف قد حسم مبدئيا لصالح الامين لبعض الاعتبارات من الصعب الاقتناع فيما لو استبعد احتمال فشل سياسة البرامكة

---

(1) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 240 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 193 مؤلف مجهول ، العيون ، ص 292 ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 18 ، ص 312

(2) — حول تفاصيل هذه المناظرة ، راجع ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 352 — 354 .

(3) — انظر ، اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ص 408 ، 415 . المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 360 ، 362 السيوطي ، تاريخ ، ص 294 .

في مثل هذه القضية الحيوية (1) . ويظهر ان البرامكة قد طرحوا قضية ولاية العهد كمحاولة منهم لتعزيز مكانتهم واستمرار علاقتهم بالبيت العباسي الحاكم دون النظر الى الملابسات التي قد تنجم عنها (2) .

وفي انتظار ذلك كان " الفضل بن يحى " الذي ربح الجولة الاولى لصالح موكله " الامين " ونال مكانة هامة في نظر سيدة القصر — زبيدة — زوجة الخليفة وبموجب ذلك تأكد اشرافه على غرب الخلافة العباسية لحيازتها الى ابن الخليفة "الامين" بمقتضى نيله ولاية العهد (3) .

واظن ان هذا الامتيازات التي انضافت الى "الفضل البرمكي " قد اثارت حفيظة اخيه " جعفر " فاخذ يعطف على موكله " المأمون "

---

(1) — ورد على لسان الرشيد الرواية التالية (... وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من ارضى سيرته واحمد طريقته وهو عبد الله — المامون — وبنو هاشم مائلون الى محمد — الامين — باهوائهم وفيه مافيه من الانقياد لهواه ومشاركة النسا والاماء في رأيه ...) ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 363 ، السيوطي تاريخ ، ص 307 ، . ويبدو ان الرواية ملفقة ولا مجال لتصديقها فليس من الحقيقة ان يعرف الرشيد شخصية ابنيه في السياسة وتسيير الحكم وهما لا يزالا فتية لم يمارسا الحياة العملية بعد ، كما وانه ليس من المنطق ان يكون "الامين " على تلك المساوئ ويفضله عن " المامون " الذي اطنب في ذكر ميزاته . واظن ان مصدر ذلك يرجع الى تقييم بعض المؤرخين للادوار كل من الامين والمامون في الخلافة فيما بعد فراحوا ينسجون الروايات التي تمجد المامون على حساب اخيه الامين ، كما لا يستبعد ان يكون هناك بعض من الدس الشعوبي ضد الامين الذي كان يقف الى جانبه بعض العناصر العربية في حين كان الفرس يناصرون المامون لاعتبارات عنصرية .

(2) — من متناقضات سياسة " يحى البرمكي " موقفه المعادي للخليفة " الهادي " حين يرى انه حاول اعطاء ولاية العهد لابنه " الصبي " ، وهو في خلافة الرشيد يشير على ابنه " الفضل " بالسعي الى تثبيت البيعة للامين ولم يكن قد تجاوز سن الخامسة من عمره . حول موقف يحى هذا ، راجع ، الفصل السابق .

(3) — الجهشياري ، الوزراء ، ص 211 .

فأخـــــذ يحـاف على موكله " المامون " اكثـــر من اي وقت مضـــــــــــــــى (1)
ويسعى بكل ما في جـــهده الى الوصول به الى ما وصل اليه اخــوه " الامين " حتى تمكن
من اقناع الرشيد بضرورة اعادة النـظر في مشكلة ولاية العهد، وذلك سنة 183هـ /
799م ، حين اقر الخليفة علنا اعطاء ولاية العهد لابنه " المأمون " بعد اخيه " الامين "
واخذ له البيعة من المسلمين (2) .

والملاحظ ان مثل هذه الحلول التوفيقية المتوارثة في اهم جهاز في الدولة
قد اوقع الخلفاء في مشاكل لا حصر لها مما سمحت في الكثير من الاحيان بتأزم الجهاز
الحاكم و ظهور الصراعات الحزبية بدسائسها ومناوراتها المقيتة التي كادت تعطل المشاريع
الحضارية او تشلها عن التطور (3) .

وحسب المصادر القديمة يكون " الرشيد " اهم مـــن لاحظ اعراضها عندما
كان وليا للعهد بعد اخيه الهادي ، ومن المنطق ان يكون اوعى من غيره في مثل هـــذه
المشكلة . ، ومـــع ذلك فقد اقر بتعيين اكثر من واحد على ولاية العهد . وحاول عبثا
تعديل ذلك عن طريق تنظيم موكب خلافي غير عادي بعد ثلاث سنوات من قبوله بفكرة واعطاء
ولاية العهد للمأمون بعد الامين (4) مما يوضح اهمية هذه المشكلة وحدتها وقتئذ .

---

(1) — انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص166 ، البغدادي تاريخ ، ج12 ص339
السيوطي ، تاريخ ، ص314 .

(2) — اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ، ص 415 ، لمؤلف مجهول ، العيون ج3 ص310
الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص269 ، ابن الاثير ، ج 5 ص 107 .

(3) — يكفي الاستدلال هنا بما وقع لـ " عيسى بن موسى " ولي العهد الخليفـــة
المنصور . ، وما وقع لـ " هرون " عندما كان وليا للعهد بعد اخيه الهادي . ،
التي اشرت اليه في الفصل السابق .

(4) — كان ذلك سنة 186هـ / 801م . ، حين زار الخليفة البقاع المقدسة في موســـم
الحج ليحاول ترقيع المشكلة التي بدت صعوبتها تطرح نفسها على مسرح الاحداث
انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 269 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ،
ص 187 .

واظن ان اصطحاب الرشيد وزراءه و امراءه فضلا عن ناية القوم في موسم الحج هذه السنة لا يتحمل اكثر من تفسير واحد ، وهو ان الرشيد قد شعر بما سيترتب عن مشكلة ولاية العهد على مستقبل الدولة . ، فأراد بذلك توزيع المسؤوليات احتياطا في انتظار ما قد تسفر عنه الاحداث من جديد (1) .

ومن المستبعد الشك في صحة الموضوع لورود تفاصيله التاريخ الاسلامي ومع ذلك فان كل ماقام به الرشيد من احتياطات لم يتمكن من اقناع الحاضرين حيث علق بعضهم على ذلك بشيء كبير من عدم الاطمئنان وتكهنوا بعدم صلاحيته (2) .

وذلك لاحتواء نصي العهدين على مكامن متناقضة يصعب من الوجهة العملية تطبيقها.(3)

---

(1) — يروى ان الرشيد قد اعلن للحاضرين تفاصيل الموضوع . ، واشهد عليه الحاضرين ثم كتب بهذه المناسبة بيانين وقّع عليهما وليا العهد ، يخصان تعهد كل منهما على احترام حدود اخيه ، ومن اجل اعلام الري العام بذلك قدمت بيت المال هبات نقدية ضخمة لأغلب الحاضرين ، انظر ، تفاصيل الموضوع عند اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2، ص 415— 425 ، الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 475 . ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص 112— 113 .

(2)— عبر عن ذلك احد الشعراء — لا تذكر المصادر المعتمد عليها اسمه — في قصيدة طويلة من بحر الوافر ، جاء في بعض ابياتها :

رَأَى المَلِكُ المُهَذَّبُ شَرَّ رَأيٍ   بِقِسْمَتِهِ الخِلاَفَةَ والبِــــلاَدَ
رَأَى مَنْ لَوْ تَعَقّبهُ بِعِلْـــمٍ   لَبَيَّنَ مِنْ مُفارَقةِ السَّــــوَادَ
أرَادَ بِهِ لِيَقْطَعَ عَنْ بَنِيـــهِ   خِلاَفَهُمُ وَيَبْتَذِلُوا الوِدَادَ

الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 277 .

وفكرة عدم ارتياح الري العام لهذه المشروع ترد في العديد من المصادر التاريخية بصيغ مختلفة ، انظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 364 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، 275— 278 ، ابن الاثير ، الكامل ، ص 112 ، ج 5 .

(3)— انظر نص العهدين عند اليعقوبي تاريخه ، ج 2 ، ص416— 421 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص281— 286

فلم يعد التزام " الامين " — اثناء توليه عرش الخلافة في المستقبل — قاصرا على الاعتراف باخيه " المأمون " وليا للعهد بعد فحسب بل تجاوز الى حد الاقرار باستقلاله التام عن اغلب المناطق الواقعة شرق الخلافة العباسية (1) • ولو حدث مساس بذلك — كما نص البيان — من جانب الامين فانه ينفي كل شيء ولاية العهد والخلافة على ســـــواء (2) •

والظاهر ان هذه الالتزامات الخطيرة التي جراليها الامين لا يستبعد ان يكون ورائها ايدي خفية تحرك القضايا تجاه ابعاد ذات اهمية بالغة على مستقبل الدولة •

وعلى الرغم من شعور الخليفة الرشيد بخطورة الموقف كما اشرت سابقا الا انه من من الصعب ايجاد تفسيرات منطقية لاستمراره في ذلك (3) •

ويبدو ان المتحزبين للـ" المأمون " وعلى راسهم " جعفر البرمكي " هم الذين كسبوا القضية بتقليصهم لحرية " الامين " في احكام قبضته على تسيير الخلافة ، في حيــــن منحت الفرصة لاخيه " المأمون " بالانفراد بالحكم لاهم مناطق الخلافة العباسية (4) •

---

(1)± يحدد بعض المؤرخين تحديدا عاما فيقولون بانها تمتد من همدان الى آخــــر الشرق • وبعضهم يحصرها في اغلب ممالك خراسان • • انظر ، ابن الاثير ، الكامل ج 5 ، ص112 ، السيوطي ، تاريخ ، ص290 •

(2)— انظــــر العهد الخاص بالأمويين ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 281— 282

(3)— يمكن ارجاع مصدر هذا الضغط الى العناصر غير المرتاحة لنشاط " جعفر البرمكي " وعلى راسهم الفضل بن الربيع وزبيدة زوجة الخليفة وغيرهما من الشخصيات العباسية الساخطة من سياسة البرامكة وتطورها كما سنرى •

(4)— من ضمن ماورد في بيان عهد المأمون العبارة التالية (• • • ان امير المؤمنين هرون ولاني العهد والخلافة وجميع امور المسلمين في سلطانه بعد اخي محمد بن هرون وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها وشرط على محمد الوفاء بما عقد لي من الخلافة • • •) ، • • • ولا يعرض لي شيء مما اقطعني امير المؤمنين • • •) ، الطبري تاريخ ، ج 8 ص281—282 •

هذه النتائج المتضاربة التي توصل اليها البلاط العباسي بعد مناقشات طويلة تبين بوضوح مدى مابلغته التكتلات الحزبية والمناقشات السياسية من قوة ونفوذ على قرارات الخليفة الرشيد (1) ولعل مرد ذلك يرجع الى محاولة هذا الخليفة ارضاء الاطراف المتنازعة ريثما تكشف لـه الاحداث عما يساعد على اعادة الامر الى نصابه .

ومن الصعوبة بمكان معرفة الاسباب الموضوعية التي جعلت " يحى البرمكي " لا يساهم مساهمة فعّالة في حل هذه المشكلة ، وهو اقدر عليها من غيره لماله من حنكة وتجربة في مثل هذه القضايا (2) .

واظن ان "يحى البرمكي" قد كان عاجزا عن كبح طموح ابنائه " الفضل وجعفر وقد بدأ طموحهم يتحقق لمجرد مناورة لم تكلف عناءا كبيرا ، ولعل هذا مايفسر محاولة تهربه من المسؤوليات لاول مرة في تاريخ نشاطه السياسي (3)

ومن جهة اخرى اظهار اللوم لأبنائه ودعوتهم الى تحمل مسؤولياتهم في القضايا التي حشروا انفسهم فيها بدون الرجوع اليه (4) .

---

(1) ـ ورد على لسان الرشيد بعض الابيات الشعرية ، يشكو فيها صعوبة الظروف التي كانت تواجهه وتتحكم في توجيه سياسته . فقال من " بحر البسيط " ـ

تَلِــدَ أُمورَعِبادِ اللهِ ذائِقَــةِ مُـوَحِّدَ الرَّأيِ لاَنكسَرَ وَلاَ بَـسَمَ
وَتَرْكُ مَقالَةَ أَقْوامٍ ذَوي خَطَــلِ لاَ يَفْهَمُــونَ إِذا ما مَعْشَرٌ فَهِمُـوا

وفي اخرى " بحر الطويل "

لَقَدْ بانَ وَجْهُ الرَّأيِ لِي غَيْرَ انَّنِي غُلِبْتُ عَلَى الأَمْرِ الذِي كانَ احْـزَما
وَكَيفَ يَرِدُ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ بَعْدَما تَوَزَّعَهُ حَتَى صارَ نَهْباً مُقَسَّــما

انظر ، المسعودي ، مروج جـ3 ، ص362 ، محمد برانق ، البرامكة ، ص41 .

(2) ـ اشرت سابقا الى ارتياح اغلب المؤرخين القدماء واعجابهم بموقف " يحى البرمكي " تجاه مشكلة " ولاية العهد " زمن الخليفة الهادي ، وبداية خلافة الرشيد ، .
انظر ، الفصل الثالث من هذا البحث ، .

(3) ـ تشير بعض الروايات لاول مرة الى محاولة "يحى البرمكي" في التخلي عن مناصبه تحت طائلة من التعليلات ، انظر ، الطبري ، تاريخ جـ 8 ص268 ، 273 ، 274
ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ص [illegible] ص 177
ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ، ص103 ، 118 .

(4) ـ يروى ان آخر مراسلة كانت بين " يحى البرمكي " وابنه " جعفر " الخطاب التالي (... اني انما اهملتك ليعثر الزمان بعثرة تعرف بها امرك وان كنت اخشى ان تكون التي لاشوى لها ...) ، قارن ، الطبري ، تاريخ ، جـ2 ص 293 ، ب الجهشياري ، الوزراء ، ص224

وبغض النظر عن اسباب فشل سياسة البرامكة في هذه القضية وفي غيرها (1) فان هناك قضية جوهرية لا يمكن اهمالها وهي ان سياسة البرامكة لم تكن مثالية كما هو الشائع •

اما سر اعجاب المؤرخين والادباء بهم فلا يمكن تفسيره الا من خلال تقييم الدور الذي مثلوه في حياة المجتمع العباسي وفي التطور الحضاري والفكري وذلك ما ساحاول الحديث عنه في الفصل التالي •

---

(1) — اشرت في هذا الفصل الى فشل سياسة البرامكة في تحقيق الامن وضمان موالاة السكان الخراسانيين وغيرهم من العناصر ، والى اهمالهم البين لشؤون بلاد الشام وسيناء ـ الى هذا الفشل اخطاء اخرى في ميادين مختلفة — ساحاول توضيحها في الفصول القادمة — ادت في الاخير الى نكبتهم

الفصل الخامس

الدور الاقتصادي

ان سيطرة البرامكة ونفوذهم الواسع على السلطة في خلافة الرشيد قد مكنهم من الاشراف على اغلب المراكز الحيوية في جهاز الدولة • وتعد المؤسسات الاقتصادية اهم ركيزة اعتمد عليها البرامكة في تدعيم الدور الذي مثلوه في الخلافة العباسية (1)

ومن المؤكد انهم كانوا في خلافة الرشيد المرجع الوحيد للدواوين المالية ودفاتر الوارد والصادر منها ، ويصعب وجود رواية صريحة تجعلني اشك في هذة الفكرة • فضلا عن انني لم اجد في المصادر المعتمد عليها مايفيد أن الخليفة "هرون الرشيد" قد حاول مرةً محاسبتهم اوشك في سوء تصرفهم باموال الدولة حتى السنوات الاخيرة من وزارتهم (2) •

واقدمية البرامكة في الشؤون المالية وتفرسهم في المحاسبة لم تكن محل جدال وقتئذ (3)

كما انهم كانوا غير عاجزين عن اختيار امهر المحاسبين ، واكثرهم اخلاصا وموالاة لسياستهم (4)

وتبعا للظروف التي مرّت بها الدولة في العهد الاخير من خلافة "المهدي" وسوء الاستقرار السياسي في عهد الخليفة الهادي قد نتج عنه تسرّب مالي اثر على ميزانية الدولة (5) •

والملاحظ ان سياسة البرامكة المالية في بداية خلافة الرشيد قد قامت على مبدأ جوهري قوامه اقرار الوضع على ما كان عليه ، في انتظار الخروج بتنظيمات جديدة من شانها

---

(1) — انظر ، الازدي ، تاريخ ، ص 276 ، وابن عبد ربه ، العقد ، جـ 1 ص 31

(2) — انظر ماسياتي

(3) — راجع ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 89 ، ابن كثير ، البداية ، جـ 1 ص 55 وتغري بردي ، النجوم ، جـ 1 ص 329

(4) — انظر الطبري ، تاريخ ، جـ 3 ، ص 296 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 177

(5) — انظر ، جرجي زيداني ، تاريخ التمدن ، جـ 3 ، ص 103 ونقل عنه الحصري جـ 1 ، ص 152 ،

ان تغير الحياة الاقتصادية تغييرا يتلاءم وسياستهم (1) • ولعل اهم محاولة قاموا بها لصالح بيت المال في بداية امرهم ، هي ارجاع بعض الضياع والاراضي الخصبة التي كانت بحوزة بعض الامراء العباسيين والتي كانت قد تركت مهملة لسبب من الاسباب ، ثم تسليمها فيما بعد للمستغلين مقابل دفع مقادير مالية محددة (2) •

وهذا الاجراء — ان صح — فانه يدل دلالة واضحة على حسن تصرف البرامكة اذ لا يعقل ان تبقى الاراضي الخصبة محتكرة بيد ملاك لا علاقة لهم بالنشاط الزراعي

ويرون انه في سبيل تطبيق هذا النظام العام بودر اولا في عملية احصاء الاراضي والضياع تحضيرا لمحاولة ضمها تحت اشرافهم ، وليعود مردودها الى خزينة الدولة عكس ما كانت عليه فيما لو بقيت بيد ملاكها القدماء • (3)

ولضبط هذه الاجراءات انشأ البرامكة ديوانا خاصا يسمى [illegible]

++

(1) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 230 — 231

ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 •

(2) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 237 •

(3) — لم يكن هؤلاء الملاك يدفعون ضرائبا عن ارضهم او عن انتاجهم غير ضريبة العشر المفروضة شرعا — بالنسبة للمسلمين — حيث كانوا يملكون ريع هذه الاراضي ملكية خاصة • ولذلك كان البرامكة قد اسرفوا في اغرائهم بالاعطايات والمنح مقابل تخليهم عن الاراضي ، وكان ذلك ابتداء من سنة 170هـ / 786م ، وهي السنة التي اخذ البرامكة يباشرون فيها الاعمال في مختلف المجالات ، انظر ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 65 •

بديوان " الصوافي "* يختص بالدرجة الأولى في الضياع التابعة للدولة ، وقد انشئ لهذا الغرض دفاتر خاصة لمراجعة المداخيل والمصاريف ينحدر السماح بها قبل هذا التاريخ(١).

ولم تبق " اراضي الصوافي " هذه والتي عادت ملكيتها الى الدولة قاصرة على النشاط الزراعي فحسب ، بل فتح بعضها للتعمير ، وذلك حين شجع البرامكة بناء المراكز التجارية ومحلات البيع تعود اجرة كرائها الى

(*) ـ "الصوافي" يرجع تاريخ هذا المصطلح الى زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب حين منع المسلمين الفاتحين من امتلاك الاراضي المفتوحة ، وصيرها اراضي وقف تعود حرية التصرف فيها الى الخليفة نفسه ، يقطع منها ويمنحها لمن يراه اهلا لاستصلاحها واستثمارها ، او تؤجر للفاتحين مقابل ضريبة محددة تدفع لبيت المال ـ وفي وقت يسمح تحديده بالضبط ـ تحدد في السنوات الاخيرة من حكم الخليفة عثمان (٣٥هـ/٦٥٥م) ـ وقع تغيير لهذه الاراضي حيث صارت اغلبها ملكا للحكام واقاربهم او كبار اعوانهم ومواليهم وكان مردود هذه الاراضي قد تحول الى خزائن هؤلاء الملاك بدل ذهابه الى بيت المال ، وهو تطور خطير لم يؤثر على ميزانية الدولة فحسب بل على الخدمات الاجتماعية التي كانت ينتظر تمويلها من بيت المال ايضا ،

ـ ابو يوسف (ابو يعقوب بن ابراهيم) ، كتاب الخراج ، ط ٢ المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ص٥٨ ، ٦٢ ، المقريزي المواعظ ج٢ ، ص١٧٢ ، و الماوردي ، الاحكام ، ص١٦٢ـ١٩٢ ، سليمان محمد الطماوي ، عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الجديدة ، دار الفكر ، مصر ، بدون تاريخ ص٢٠٩ ، بدوي عبد اللطيف ، الميزانية الاولى في الاسلام ، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص١٨ ، دانيت دنيت ، الجزية والاسلام ، (ت) فوزي فهيم جاد الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ، مؤسسة فرانكلين ، بيروت ، بدون تاريخ ص٦٢ .

(١) ادوارد برو ، تاريخ الحضارات ، ط ٥ ، باريس ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢ـ١٩٣ ، والجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٦٦ـ٢٦٧ ، المدور ، حضارة ص ١٣٢ .

الـــــى الخزينــــة العامـــة(١)

ومن المنطق ان يتضرر اولئك الذين حول ما كان بايديهم من اراضــي الى ديوان الصوافي • بيد ان البرامكة كانوا قد احتالوا على هؤلاء باغرائهم بمنح اعتبارا لصلتهم القريبة بالبيت الحاكم (٢)•

ويبدو ان الممنحين قد رحبوا بهذا الالتجاء الذي منحه البرامكة باسم الرشيد وازدادوا اطمئنانا لسياستهم المالية فرفعوا ايديهم عما كان بحوزتـــهم من ضياع ومزارع عامة لتسميتها منحة هؤلاء الوزراء الطموحين(٣)•

ولم تقف اصلاحات البرامكة في نظام الاراضي عند هذا الحد بل تجاوزت الــى محاولة ايجاد صيغة اخرى لتنظيم ضرائبها عن طريق الخلط بين انواع الاراضي نفســـــــها •

---

(١)ـ محمد توفيق خفاجي، تطور النظام ، ص ١٤١، صبحي الصالح، النظـــم الاسلامية نشاتها وتطورها، ط ١ ، دار العلم للملايين ،بيروت،١٩٦٨ ، ص ٣١٦•
(١)ـ قارن، البلاذري ، فتوح ، ص٢٧٢ ،البغدادي ،تاريخ ج ١ ، ص٨١
(٢)ـ ابن تغري بردي، النجوم مج ٢، ص٦٥ •
(٣)ـ المقدسي ، البدء ،ج ٥ ص١٠١ ، الجهشياري، الوزراء ص ١ ص ١٥٢ •

والمعروف ان هناك نوعين اساسيين من الاراضي في الدولة الاسلامية اراضي "خراجية"(١) واراضي "صوافي"(٢) ترجع تسميتها الى التعريف فيهما الى بداية عهد الدولة الاسلامية.

فالاراضي الخراجية ملك للدولة ، المستفيدون فيها الفلاحين المسلمين يدفعون ضرائب نقدية او عينية تختلف قيمتها تبعا لاختلاف المحصول ومدى

---

(١)- طرحت مشكلة الاراضي في الدولة الاسلامية في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) ، حين اتسعت حركة الفتح وشملت اراضي خصبة في اقليمي العراق وبلاد الشام ومصر ، وتمثلت المشكلة على قادة الفتح حين طالبهم بعض المسلمين الفاتحين بتقسيم الاراضي التي فتحوها بينهم على اعتبار انها غنيمة كغيرها من الغنائم التي تقسم بعد كل انتصار ، بيد ان هؤلاء القادة لم يقدموا على تنفيذ هذا الاجراء قبل استشارة الخليفة الذي امر بعد ان عقد مجلسا استشاريا- ان تبقى مستغلة بيد اصحابها ويدفعون عنها "خراجا" اي "ضريبة" تحددها الدولة بمقتضى قوانين ثابتة تراعي فيها المصلحة العامة ومصلحة المنتج على سواء، وهذا النوع من الاراضي هو الذي يعرف "بالاراضي الخراجية".

انظر، البلاذري ، فتوح ، ص٢٧٤ ، ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٤-٢٥ ، يحيى بن آدم القرشي ، كتاب الخراج ، تحقيق احمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية لاهور باكستان ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٢٦-٢٧ ، ٤٨ ، محمد علي نصر ، تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام ، ط ١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٥٨ ، ١١٤-١٥

G.RENTS? EI,ART(KHARADJ),T.IV,PP. 1062-1066.

(٢)- اراضي الصوافي سميت بهذا الاسم لان مستغليها لايدفعون عنها سوى عشر انتاجهم اذا كانت الارض مسقية بالمطر وهي استفادتها من مياه الري الطبيعية ، اوالعامة . انظر، يحيى بن آدم ، الخراج ، ص٢٦ ، ابو يوسف ، الخراج ، ص٢١ ، ٥١ ، ٦٥ ، الماوردي ، الاحكام ، ص ١١٢.

درجة استفادتها من المياه والخدمات التي توفرها لهم الدولة اما اراضي "العشور" فهي ملك للمسلمين ليس عليهم خراج سوى عشر انتاجهم يدفعونه لبيت المال او يتصدقون به زكاة (١).

ويظهر من هذا ان الدولة الاسلامية قد حلت المشكلة ولا يوجد اي التباس بين النوعين من الاراضي ، وان محاولة المس باحدهما او الخلط بينهما لا يعتبر اعتداء على الفلاحين من ملاك الاراضي ، بل يعتبر قدحا في الشريعة نفسها (٢).

ومن ذلك فانه لوحظ ان البرامكة قد بدأوا فعلاً بتحويل الاراضي "العشرية" الى اراضي "خراجية" لزيادة دخل الخزينة العامة ، واخذوا في تعميمه على أغلب اقاليم الخلافة العباسية في عهد هرون الرشيد ، وساروا المسرع

---

(١) راجع هامش (١) من الصفحة السابقة

(٢) – يظهر انه في فترة – يصعب تحديدها – من تاريخ الخلافة الاموية في المشرق اعتاد بعض الخلفاء الامويين وولاتهم فرض ضرائب محددة عن الاراضي دون تمييز نوعها ، او مدى جودتها ، وانه اول من حاول ارجاع ضرائب الاراضي الى اصولها الاولى – كما وضعها عمر بن الخطاب – في خلافة العباسيين هو الكاتب ابو عبيد الله بايعاز من الخليفة المهدي .
انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٠٤ ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ٢٢–٢٦ و[illegible] محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط ٤ ، دار الانصار ، القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص ١٧٠–٢٦٠ .

الاول لهذه القضايا وذلك لضمان الحد الادنى لجباية موارد اراضي الدولة كلهـــــا (١) .

ويبدو ان سياسة البرامكة المالية هذه لم تجد من يرحب بها ، وهنالك ما يدل على ان بعضهم قد حاولوا ايصال شكواهم الى الخليفة الرشيد متوسلين اليه ليوقف هذه السياســـة (٢) .

وفي انتظار تعميم البرامكة اجراءاتهم على كامل انحاء الدولة حاولوا كسب ثقة الفلاحين وبعض الاقاليم الحيوية ، وذلك حين اعلنوا اسقاطهم عشر

---

(١) ـ قارن ، ابي يوسف ، الخراج ، ، ابن خرداذبة (عبيد الله بن عبدالله) ، المسالك والممالك ، تحقيق دي خويه ، ليدن ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م ص ١٢

(٢) ـ ابلغ سكان منطقة البصرة احتجاجهم الى الخليفة الرشيد ، حين قدموا له عريضة من ضمن ما جاء فيها قصيدة لاحد الشعراء اطلعوه ـ من مجزوء السريع ، اخترت الابيات التالية منها ـ

وانه خير من امام +++ وان يحيى له وزير
ابا علي اليك نشكو +++ ظلم عراقنا به كثير
تنجم اموالنا خراجا +++ ويومنا لم تزل تدور

انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص ٢٨ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ١ ص ٢١

عشر ما كان يؤخذ من فائض منطقة "السواد"+ بعد انخفاض انتاجهم(١) . وهناك اشارات قليلة الى هذه المرونة المتبعة من قبل هذه الأسرة في بداية نشاطها الاقتصادي . مثلما حدث في بلاد الشام حين قرر البرامكة اعفاء فلاحي قرى فلسطين من جميع انواع الضرائب بسبب الصعوبات التي اصابتهم(٢). ومع مرور الزمن تحولت هذه التسهيلات والمساعدات الى يد من حديد مسلطة على كاهل الفلاحين ، من قبل اعوان البرامكة ووكلائهم في مختلف الولايات عندما اخذوا التجبر على السلطة وصارت لهم اطماع كثيرة خارج دائرة اهتمامات الدولة ومصلحة مجتمعها .

(+)- السواد تقصد الروايات التاريخية بمعنى "السواد" المنطقة الهامة من اراضي العراق وهي السهل الرسوبي المنبسط فيما بين النهرين وتقدر مساحته بحوالي ٩٢ الف كلم ، اي خمس مساحة العراق بحدوده السياسية الحالية ، ويضم اقاليم واسعة تتمثل في شمال السواد وهي المنطقة المحيطة بـ"سامراء" وتمتد حتى حدود منطقة "الجزيرة" شمالا ، ووسط السواد وهو محيط مدينة بغداد ، ويتمثل الاقليم الغربي من السواد مدينة الكوفة وضواحيها ، في حين يظل الاقليم الشرقي منه منطقة "حلوان" اما الجزء الجنوبي من السواد فيضم كل من "واسط" و"البطائح" و"البصرة" (؟) انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٧ ، والماوردي ، الاحكام ، ص ١٧٢ ، يحي بن آدم ، الخراج ، ص ٥١ – ٥٥ ، محمد ع. نصر ، تطور نظام ، ص ٦٣–٧١ و

SCHAEDER H.H, Eie,ART(SAWAD9,T4? P.192.

(١)- كان ذلك في حدود سنة ١٧٢هـ حسب رواية [illegible] ، الطبري تاريخ ، ج ٨ ، ص٢٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، مج ٥ ، ص ٤٦ .

(٢) - انظر ، بيليايف (ا ، ا) BELYAEB?E.A، العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، ط ١ ، الدار المتحدة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٠٧ .

وهناك من الروايات ما يشير الى ان البرامكة بعد هذا النشاط المكثف لعائد بيت المال ، اخذوا في احتجاز الاراضي العامة لاستغلالها في مصلحتهم الشخصية بدل تسليمها للفلاحين الذين اخذت احوالهم تسوء باستمرار نتيجة الضرائب المتنوعة والمرتفعة في آن واحد(١).

واكتناز البرامكة للأموال واحتجازها قضية اكثرت المصادر في المبالغة فيها ، وتضيف بعضها ان الخليفة الرشيد نفسه كان يعاني في بعض الاحيان من احتكار وزرائه البرامكة ، بيت المال المسلمين(٢).

وفضلا عن ذلك فهناك ما يؤكد على ان هذه الاسرة قد وسعت دائرة المعاملات التجارية التي كانت تتم باسم افرادها وذلك عن طريق الاعتماد على عملاء مخلصين لهم وموزعين في اغلب مناطق الدولة ومدنها (٣).

---

(١) ـ انظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، و ابراهيم علي طرخان ، نظام الاقطاع الاسلامي في العصور الوسطى الى نهاية العصر الايوبي ،(رسالة جامعية) ، قدمت لكلية الآداب ، قسم التاريخ بجامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ/١٩٤٠م ، ص٤٥
و محمد ضياء الدين ، الخراج ، ص ٢٢٩ .

(٢) ـ الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٤٧ـ ٢٥٠ ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص ١١٠ ، (وتنقل عنه زينة قدورة ، الشعوبية ص ٢٧٠ هـ

(٣)ـ انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥١ـ ١٥٢

وحسبما تجمع لدي من روايات، اظن ان البرامكة في سياستهم الاقتصادية لم يركزوا على جوانب معينة عملوا على تطويرها قدر اهتمامهم بمصلحة الضرائب واختيار وتنقية جباتها اعتبارا من ان ذلك مقوام السلطة ومصدر تطورها (١).

ومن الواضح ان هذا المفهوم يتعارض مع مصالح المجتمع العباسي الذي كان ينتظر من هؤلاء الوزراء — الذين ابدوا نشاطا كبيرا في السياسة كما اشرت — مشاريع اقتصادية من شأنها ان تعمل على تنمية الزراعة وتشجيع الصناعة وغير ذلك مما يساهم في تطور الدولة ويعزز مكانتها.

ولذلك فان هذه السياسة لم تجد من يرحب بها في المجتمع العباسي ، ولم تصل اموالهم لبيت المال كما كان يظن البرامكة وعمالهم — وفي مصادر التاريخ الاسلامي اشارات كثيرة الى سوء ادارة البرامكة المالية (٢).

ولعل وصول شكاوى المتضررين الى الخليفة الرشيد التي كانت ترد على دار الخلافة خير دليل على ذلك . مما دعا هذا الخليفة الى التدخل بنفسه لكوار

---

(١)— انظر الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ١ ، ص ٤٢١ و محمد ضياء الدين الريس ، ص ٤٢٧— ٤٢٨ .

(٢)— اعتمد سكان بعض المناطق في مصر على رشوة عمال الخراج للمماطلة بدفع ما عليهم من التزامات خراجية ، ثم اسقاطها بعد ذلك ، كما كان بعض الفلاحين في مختلف اقاليم الدولة يتهربون من الدفع تحت طائلة من التعليلات ،

انظر ، الازدي ، تاريخ ص٢٧٧ ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ٨٠—١٠ وبن الاثير ، البداية ، ج ١٠ ، ص١٨٤ ، ر احمد ابراهيم حمور ، دمسرون ، ص ، ٤١— ٤١

لاقرار الوضع حسبما يقتضيه العدل وتمليه السياسة (١).

ورغم ذلك فان هولاء المتظلمين من الفلاحين وغيرهم لم تحل مشاكلهم بل ازدادت تعقيدا حين اضطر " جعفر البرمكي" امام كثرة الشكاوي الى تسليم امر البت فيها الى كتابه الذين لم يكن يعنيهم - في اكثر الاحيان - غير قضاياهم الخاصة مما ادى الى اعراض خطيرة في المجتمع العباسي كان البرامكة سببا فيها (٢) .

ولاستمرار هذا النهب الاجتماعي حاول البرامكة القيام بمشاريع قليلة لا اهمية لها تملي نفقاتها خزينة بيت المال تركزت اغلبها على ما يظهر - في منطقة العراق لقربها من المراكز العمرانية الاستهلاكية كالعاصمة بغداد وماجاورها من مدن وقرى(٣).

ولعل الدور الهامشي لاهالي البرامكة الزراعي الذي مثلوه في تطور الانتاج وتحسينه ، هو سر عزوف كثير من المورخين القدماء عن ذكره.

ولم تكن الصناعة احسن حالا من الزراعة في اهتمامات البرامكة طوال فترة نفوذهم اذ لم فيما لدي من مصادر مايشير الى ذلك عدا اهتمامهم بصناعة " الورق " - [illegible] .

---

(١)- انظر ، البلاذري ، فتوح ص ٤٩٢ ٤٩١ .
(٢)- الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٧٧ ، محمد توفيق خفاجي ، تطور ، ص ١١٦
(٤)- انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٧ ، محمد توفيق خفاجي ، تطور ، ص ١١٨-١١٩
(٣)- من ذلك ان يحى البرمكي قد امر بحفر نهر يدعى "نهر القاطول" وآخر يدعى "نهر ابي الجند" ، ويظهر ان هذين النهرين لايقصد بهما سوى مجرد بعض القنوات البسيطة ، بدليل ان بعض الروايات التي اوردت الخبر تقول ان يحى كان قد انفق على مشروع النهر الخير مقدار " عشرون الف درهم " فلا يعقل ان يكون هذا المقدار الزهيد قد غطى نفقات حفر نهر انظر ،
الصولي ، الاوراق ، ص ٨٦ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢١ ، ومحمد ضياء الدين [illegible] ١٢٨

التي يكاد يتفق عليها المؤرخون ، في ان نواتها قد تاسست في عهدهم (١)

وقبل ان تكون رغبة البرامكة في هذا المشروع اقتصادية ، فانه من الواضح ان ذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بالدور السياسي الذي كان تقوم به هذه الاسرة . ففي عهد اشرافهم على ادارة الخلافة قرروا استبدال "الرقوق الجلدية المتداولة في المكاتبات الرسمية وتعنا بالورق ، لأنّ الاولى تقبل المحو ومن السهل تزويرها على خلاف ما هو الحال بالنسبة للورق هذا فضلا عن قلة تكاليفها فيما لو قورنت بالرقوق الجلدية (٢).

---

(١)- يروى ان الفضل البرمكي ، قد اشر الى صناعة " الكاغد" اثناء اقامته في الاقاليم الشرقية في حدودها ما وراء النهر . وقد لقيت هذه الفكرة ترحيبا كبيرا واهتماما متزايدا لدى المسؤولين المهتمين بشؤون الادارة المركزية وعلى راسهم " يحيى البرمكي" وابنه "جعفر " اللذين امر في الحال استعمال هذه المادة في الشؤون الادارية ، وانشاء اول ورشة لمعالجتها ، انظر ، القلقشندي (ابو العباس احمد) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ج ٢ ، ص٤٨٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص٤٢١ ، هملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس واخرون ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٤هـ١٩٦٤م ، ص٢٩٦ ، وسوريس ، الاسلام ، ص ٢٩٦ .

(٢) ـ الرقوق مفردها " رق" ويعني من الجلد ليكتب عليه ، ويرى ان هذه الوسيلة قد كانت مستعملة منذ عصور متوغلة في القدم ، اما استعمال الورق في الدولة الاسلامية ، وبصفة ملحوظة فيرجح ان تكون قد بدات في عهد الرشيد وعلى يد وزرائه البرامكة وكتابهم ، انظر ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ص٤٨٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ص٤٢١-٤٢٢ عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ، دار الاندلس بيروت ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، و محمد ماهر حمادة ، المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة (مجلة كلية الاداب) واللغة العربية ، عدد٩ معام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ ، ص ٤٧٢- ٥٠١

وقد كان لهذا الامر وذلك اثر كبير لا على مستوى تطور المراسلات الادارية فحسب ، بل ساهم مساهمة فعالة في حركة الترجمة والتأليف (١).
فضلا عن استعمال هذه المادة فيما بعد في المبادلات التجارية ، وقد جنى منها المسلمون ارباحا معتبرة طيلة قرون عديدة (٢).
ومن الانشطة الصناعية التي تطورت ايضا ، صناعة النسيج الفاخر حيث كان الطراز الرسمي معروفا على مستوى دور الطراز التابعة لدار الخلافة (٣)
ولهذه المؤسسة اهمية كبيرة لها صلة باقتصاد الدولة ، فهي تتكفل بتغطية احتياجات الخليفة وحاشيته من الالبسة الرسمية ، كما انها تعد رمزا هاما من رموز السلطة ، ودليلا على ابهة الملك (٤).

---

(١)ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٠٦

(٢)ـ جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص ٢٠١ ، محمد ماهر حمادة ، المورد ، (مجلة) ، ص ٥٦٧ـ ٥٨٨

(٣)ـ الطراز ، يعد من رموز الخلافة وشاراتها ، وهو تقليد كان معروفا عند الناس الفرس والروم ، وعادة ما كان يختار من افخر انواع النسيج واغلاها ، كالحرير او الديباج ، وبخيوط ذهبية يطرز فوق الثوب شارات الخلافة ، تختلف اشكال الزخرفة بها باختلاف منصب من يرتدي الثوب المطروز ، انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٦ـ ٢٦٧
وينقل عنه (دون اشارة) ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج ١ ، ص ١٤٦ـ ١٤٠ . وحول هذا الموضوع راجع دراسة ، فريال داود المختار ، دور الطراز في مدينة السلام (مجلة) المورد عدد ٣ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م
ص؟ ١٢٢

(٤) ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٦

وبالنظــر الى حجم الروايات التي تصف رغبة البرامكـــة وحبّهم في التأليف والتظاهر به فضلا عن محاولة اشاعته في المجتمع العباسي ، فانه لايشك في انهم قد بذلوا مجهودات كبيرة في تطوير انواع الالبسة والتفنـــن في طرزها (١).

ومن المحتمل ان تكون هذه العملية قد تأثرت تأثرا كبيرا على ميزانيـــة الدولة ، فالظاهر ان البرامكة كانوا لايترددون في دفع اية قيمة ثمنا لالبستـــهم (٢).

وفيما عدا ذلك فان دور البرامكة في تنشيط اقتصاد الدولة لايكاد يشار اليه فيما توفر لدي من مصادر لحــد الآن.

واظن ان سبب اهتمام المؤرخين القدماء بنفي هذه الاسرة يعود الى سيطرتهم على دور ضرب السكة في فترة نفوذهم ، التي كان يشرف عليها "جعفر البرمكي" برضا الخليفة ، وقد احكم "جعفر" رقابته على هذه الدور لدرجة انه كان يتجول احيانا في اسواق العاصمة متنكرا لتمييز المغشوش منها (٣).

---

(١)- DOMINIQUE,OP.CIT,T1.P.150.
وفرياد داود المختار ، دور الطراز (مجلة) ، ص ١٢٢-١٢٧

(٢)- يروى ان "جعفر البرمكي" قد دفع مبلغا قيمته اربعمائة الف دينار ثمنا لجبة فاخرة طرزت له خصيصا للتباهي بها في مجالسه واظهار هيبته امام الخاصة والعامة ، ورغم ما في هذه القيمة من مبالغة ، فانها ولاشك تدل على ما بلغه البرامكة من اسراف في اقتناء كماليات ونفائس ، انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٥٧، الجهشياري ، الوزراء ص١٨٩

(٣)- جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص٣٨ ، احمد ابراهيم حمور ، هرون ص ٤٥-٤٦

ولعل اشراف جعفر البرمكي على دور الضرب في كافة انحاء الخلافة حدث لأول مرة في التاريخ الاسلامي ، لان هذه الوظيفة الحساسة تندرج ضمن وظائف الخليفة الاساسية ويندر اشراف غيره عليها لاهميتها (١).

ويفهم من الاكتشافات الاثرية للعملات المضروبة وتتذ ان الخلفاء العباسيين خاصة – كانوا يرخصون في بعض الاحيان لأهم امرائهم الذين يشرفون على الولايات بفتح دور للضرب كما هو الحال بالنسبة لامراء "مصر" او "البصرة" ، ومن الواضح لحد الآن ان ضرب الولاة اسمهم على العملة كانت تقتصر على العملة التي تضرب في دار ولايته ومن جهة اخرى لاتتجاوز فترة حكمه لهذه الولاية (٢). واغلب الظن ان هذا الوضع يختلف تماما بالنسبة لجعفر البرمكي ، حيث تؤكد الاكتشافات الاثرية وحيلتها انه كان يذكر اسمه على الدينار (١).

---

(١)ـ انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٦

(٢)ـ انظر ، ناصر السيد محمود النقشبندي ، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م ، ج ١ ، ص ١٠٨،٣٦

(٢)ـ الدينار ، هو العملة ، الذهبية ، وغلى انواع العملات المضروبة وقتذاك حيث يزيد وزن الدينار الواحد عن اربعة غرامات من الذهب . وهكذا الدينار في عهد نفوذ البرامكة يدور تكتب عليه الكتابة على الوجه والظهر ففي داخل الوجه تضرب العبارة التالية ، "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة (كذا) وفي الوسط يكتب على التوالي : محمد ، رسول ، الله ، جعفر ، (متوازية) اما في داخل الظهر تضرب العبارة ، "محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله" ، وفي الوسط العبارات التالية ، لااله ، الله وحده ، لاشريك له (متوازية) ، انظر ، حيلة المكتشفات من العملات المضروبة باسم البرامكة في الملحق رقم

من سنة ١٧٦هـ الى سنة ١٨٦هـ/ ٧٩٢ الى سنة ٨٠٢م ، دون انقطاع (١) ٠ ولاشك ان هذه الظاهرة تعد ميزة لم يسبق ان تميز بها احد من اعوان الخلفاء او الوزراء ، بل لم ينلها الخليفة هرون الرشيد نفسه (٢)٠

والملاحظ ان هذا الامتياز لم يقتصر على دار واحدة للضرب من دور الخلافة ، بدليل المسكوكات التي عثر عليها في اماكن متفرقة وبعيدة عن بعضها تحمل اسم "جعفر البرمكي "(٣)٠

ونظرا لسيطرة "جعفر البرمكي" على دور الضرب ، وشيوع ضرب اسمه على كل انواع العملة ، فقد اعتاد المزورون ايضا ضرب اسمه على ما يزورونه من عملات في عهد الرشيد(٤)٠

---

(١)_ انظر ،
و ، القلقشندي ، الدينار ص ١٠٠_ ١٠٢ ، ١٠٨
والملحق في اخر هذا البحث رقم ١
(٢)_ تبين الاكتشافات الاثرية للمسكوكات المضروبة في عهده ، ان اسمه لم يضرب على الدينار في عهد نفوذ البرامكة الا مرتين ، احدهما كان سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م ، وهذا حسب راي القلقشندي ، ص ١٠٨ نقلا عن ،
6-R.A.S.(Journal of the Royal Asiatic SOCIETY) ,New Series, Vol, VII, London,1875.
وثانيهما كان سنة ١٨٧هـ /٨٠٢م ، وتوجد عينة منه في المتحف بجامعة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الامريكية ، انظر ، القلقشندي ، الدينار ص ١٠١ ٠
(٣) _ مثل مدينة الرافقة ، و، المحمدية بـ"الري" و، بغداد ، و، مصر ، المغرب ، انظـر ، جواتيان ، دراسات ، ص ٩٩ ، نقلا عن ،
-Katalog Orientalischen,Muzen, Berlin,T1,N° 1020-1164.
والملحق رقم

ســـن الدراهم المزيفة التي تحمل اسم " جعفر البرمكي " درهم ضرب في مدينة السلام - بغداد - سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م ، وهو محفوظ المتحف البريطاني واخــــر في المتحف العـــــراقي(١).

وبلغ الحد بسيادة "جعفر البرمكي" على دور الضرب ان سك دينارا لم يتداول في السوق ، يوهي مكتشفوه ان وزنه كان يبلغ وزن (١٠١ ديـــــنارا عـــاديا) (٢)، وان هذا الدينار كان يخالف ما هو متداول ومعروف من تقنية الضرب في دور الدولة (٣) .

---

(١)ـ انظر ، النقشبندي ، الدينار ، ص ٤١ ، و وفاء التزاز ، الـــدرهم الاسلامي في عصر هرون الرشيد ، مجلة (سومر) ، مجلد ٢١، سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٢٠٢. و الملحق رقم ،

(٢)ـ انظـــر ، الاربلي ، خلاصة ، ص ١٥٠ . النقشبندي ، الدينار ، ص ٣٥ .

(٣)ـيرون ان هذا الدينار كان لا يحمل تاريخ الضرب ولا مكانه ، كما لايوجد اسم من ضربه ، وانما نقش على الوجه ، البيت التالي -

وَاصْفَرَّ مِنْ ضَرْبِ دَارِ المُلُــــوكِ
يَلُوحُ عَـــلَى وَجْهِهِ جَـــعْفَرُ

وعلى الظهـــــر -

يَزِيـــدُ عَلَى مِئَةٍ وَاحِــــدًا
إِذَا نَالَهُ مُعْسِـــرٌ يَيْسَـــرُ

(البيتان من بحـــر " المتقارب" ويروى انهما للشاعر " ابو العتاهية) انظـــر ، البغدادي ، تاريخ ، ج ٧ ، ص١٥٦، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٤١. الاربلي ، خلاصة ، ص ١٥٠ . ابن كثير ، البداية ، ج ١٠ ، ص ص ١٩٣.

وليس لدي ما يدعم صحة هذه الرواية او ينفيها ، ولكنه بالقياس الى مابلغه البرامكة من نفوذ يمكن اعتبار هذه العملة اولى محاولة في تاريخ الدولة الاسلامية لايجاد فكرة نظام صنع السبائك الذهبية لتكديس الذهب وتسهيل مهمة اكتنازه (١).

ولعل قصد الروايات من هذا الخبر الحديث عن عملة تذكارية ، كما انه من المحتمل ان تكون هذه العملة مخصصة لانجاب الشعراء واحسنهم مدحا لاسرة البرامكة كما هو الشائع (٢).

ومهما يكن فان قبول مثل هذه الروايات امر صعب في انتظار ماستكشف عنه الحفريات الاثرية في هذا الميدان .

ولكن الملاحظ تاريخيا ان ابا اسرة البرامكة وباني مجدها "خالدا" لم يكن له من المال مايكفيه لتسديد غرامة بسيطة كان الخليفة "المنصور" قد

---

(١)ـ تشير بعض الروايات ـ وظاهرة المبالغة فيها واضحة ـ انه عثر في متاع جعفر البرمكي بعد مقتله على جرة تحوي على مايزيد عن الف دينار من هذا النوع ؟. انظـــــر ، الاربلي ، خلاصة ، ص ١٥٠.
عبد الرحمان الصدر ، اثر الفرس ، ص٢٤٧(نقلا عن مخطوطة المظفري ، ورقة ١٠٠ أ).
(٢) ـ انظـــر ، ماسياتي .
(٣)ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ١٥ ب ، اليافعي ،مرآة ، ج ١ ، ص ٤٢١ـ ٤٢٢. جواتيـــــان ، دراسات ، ص ١٣٢ .
جاسم آل كلكاوي ، البرامكة ، ص ٦٥ .

اجبره على دفعها (١)، ولا نعرف ان كان احد افراد هذه الاسرة قد اشتغل بنشاط تجاري او غيره يمكن ان يحصل منه على ثروة باستثناء محاولة "يحى البرمكي" في شبابه الاشتغال بالتجارة عندما كانت عائلته تمر في ضائقة شديدة (٢).

لذا فان مظاهر الابهة وحياة الترف التي كانوا يعيشونها في عهد هرون الرشيد لا اجد لها تفسيرا غير استغلالهم للسلطة والنفوذ.

وحسبما تجمع لدي من روايات ألاحظ ان البرامكة كانوا قادرين على تدبير الاموال بشتى الطرق بحكم مركزهم السياسي ، حيث كانوا مطلقي التصرف في اموال الدولة . وتدل على ذلك سياسة " الفضل البرمكي " الذي يكاد يتمتع بشبه استقلال ذاتي في اغلب ممالك خراسان وقد سار مطلق التصرف في اموال الجبايات والغنائم الضخمة دون ارسال شيء منها الى بيت المال كما هو منصوص عليه في القانون المالي للدولة (٣).

---

(١) ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ص ٥٤ ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة ١٢ أ .

(٢) ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ١٥ ب ، و ، اليافعي ، مرآة ، ج ١ ، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ . و ، جواتيان ، دراسات ، ص ١٣٢ ، و ، جاسم آل الكلكاوي ، البرامكة ، ص ٦٥ .

(٣) ـ انظر الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ ، و ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

ويبالغ المؤرخون القدماء في اكتناز البرامكة اموال الدولة وتبذيرهم الضياع ، واحتجازها حتى على الخليفة الرشيد نفسه مما حدا باحد المخلصين لهم الى التدخل بنصحهم في ضرورة تحويل شيء مما يملكون الى بيت المال ضمانا لسلامتهم(١).

ولعل مصدر هذه المبالغة يرجع الى ملاحظة هؤلاء المؤرخين سوء تصرف اعوان البرامكة ، والى حجم شكاوي المتظلمين من عبء الضرائب التي كانت تصل الى مسامع الخليفة الرشيد (٢).

ولعل هذا التذمر الشعبي ، وتلك الشكاوي المترددة دوما على دار الخلافة ، هي التي اثارت حفيظة امير المؤمنين فاخذ يبحث لها عن حلول

ولحسن الحظ فانه لدينا مصدر من اهم مصادر التاريخ الاقتصادي للدولة الاسلامية وهو كتاب "الخراج" لابي يوسف

---

(١)- قارن ، المسعودي ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ، ب ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٧ ، و ب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠ و ، ب ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص ١٠٥ وما بعدها .

(٢)- انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩٢ ، ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، و ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤١٥ ، و ، سهيل زكار ، تاريخ العرب ، ص ٢٨.

القاضي(١)؟ الذي حفظ للباحثين اهتمامات الخليفة الرشيد بشؤون دولته . وهذا المصدر قبل ان يكون ذا قيمة اقتصادية فهو لا يخلو من قيمته السياسية ، اذ يؤكد بوضوح جانبين اساسيين في سياسة الخليفة الرشيد، اولهما ، اهمال الخليفة البين لشؤون ادارة دولته نتيجة ثقته الكاملة في وزرائه البرامكة . وثانيهما ، محاولة هذا الخليفة المبكرة لاعادة شؤون خلافته قبل سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م ، وليس حتى سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢ م ، كما هو شائع(٢).

وكتاب الخراج ، مخصص بالدرجة الاولى للشؤون المالية ، يدل

---

(١) ـ هو ابو يوسف يعقوب ابن ابراهيم (١١٣هـ ـ ١٨٢هـ / ٧٣١م ـ ٧٩٨م) ، تلميذ الامام ابي حنيفة ، كان فقيها عالما ، غلب عليه " الرأي " في احكامه الفقهية ، تولى وظيفة القضاء في بغداد زمن الخليفة العباسي "المهدي" و" الهادي" و " هرون " ، وهو اول من دعي بلقب "قاضي القضاة" لسعة علمه وتنوع مداركه اذ كثيرا ما كان يستدعيه الرشيد ليتناقش معه في القضايا الفقهية الهامة ، خاصة في المجال الاقتصادي ، انظر :
وكيع(محمد بن خلف بن حيان) ، اخبار القضاة ، تحقيق ، عبد العزيز مصطفى المراغي ط١ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م ، ج٣ ، ص٢٥٤ ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ٧٥ ب و ، ابن كثير ، البداية ، ج ١٠ ، ص ١٨٠ـ ١٨١ .

(٢) ـ تصادف سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ، وفاة القاضي " ابي يوسف" ، بمعنى ان التفكير في مثل التساؤلات التي طرحها الرشيد على هذا القاضي كانت قبل هذه السنة على الاقل ، اما سنة ١٨٧ هـ/ ٨٠٢م ، فهي تمثل السنة الحاسمة التي قرر الخليفة الرشيد التخلي فيها عن خدمات وزرائه البرامكة ، انظر : ماسياتي .

على ذلك القسم الاكبر من قوله (١)؟ ، مما يكشف حدة المشاكل الاقتصادية

المطروحة وقتئذ ، فضلاً عن المقترحات البناءة التي تقدمها اليه .

ويتضح من مقدمة الكتاب (٢) ، ان الخليفة الرشيد قد فطن

الى ان هناك تجاوزات مست الشريعة الاسلامية في ادارة دواوينه المالية

لا يشك في ان لاسرة البرامكة النصيب الاوفر في اقرارها في الدولة .

ومهما يكن فان تساؤلات الخليفة الاولى قد اختصت بمشكلة الاموال

المحصل عليها في عمليات الفتح وحركات الغزو و ... ضد اعداء المسلمين

في دار الحرب المعروفة اصطلاحا باسم " الغنائم " (٣).

وليس من السهل تفسير بواعث اهتمام الخليفة الرشيد بهذه المشكلة

ووضعها في المقام الاول من اهتماماته (٤).

......

(١)ـ يحتوي الكتاب على حوالي ٢٤٤ صفحة ، اغلبها فصول تتعلق بالقضايا الاقتصادية ففيه مشكلة الارض في الدولة الاسلامية وانواعها ويبين مختلف المعاملات الشرعية في قضايا الضرائب والقائمين عليها ، كما يوضح في هذا كتابه الشروط والالتزامات التي يتقيد بها كل من الفلاحين وموظفي الادارة المالية وخاصة موظفي مؤسسات الضرائب (اهل الخراج) ، انظر :ـ ابو يوسف ، الخراج ، هنا وهناك .

(٢)ـ افتتح ابو يوسف كتابه هذا بالمقدمة التالية : (... ان امير المومنين سألني ان اضع له كتابا جامعا يعمل به بجباية الخراج والعشور والصدقات وغير ذلك ...وانما اراد بذلك رفع الظلم على رعيته والصلاح لامرهم... فانيقد اجتهدت لك في ذلك ...وانا لارجو ان عملت بما فيه من البيان ان يوفر الله لك خراجك من غير ظلم ...ويصلح لك رعيتك ...) انظر :ـ ابو يوسف ، الخراج ، ص٣-٦ .

(٣)ـ الغنائم ، مفردها غنيمة وهي الموال المنقولة التي تاخذ من المشركين اعداء المسلمين بعد النصر عليهم في الحرب . انظر :ـ يحي ابن آدم ، الخراج ، ص١٥، ٢١ ، و الماوردي ، الاحكام ، ص ١٢٨، للتوسع راجع:
-Lokkcaard,P.EIe,Art (Guanima),T2.PP.1028-*1030.

(٤)ـ انظر ، ابو يوسف ، الخراج ، ص٨١ ـ ٢٣ .

والمعروف ان هذه القضية لم تكن محل جدل بين المسلمين قبل هـــذه الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية لورود بيانات تشريعية واضحة (١).

ولم يكن ظهورها بهذه الحدة في عهد الخليفة الرشيد الا دليلا على ان هناك تغيرات قد طرأت عليها ، وبغض النظر عن حجم حركة الفتوحات ومعاركها التي خاضـــها المسلمون في عهد الخليفة هرون الرشيد والتي كان للبرامكة الدور الهام في تاثيرها وتنظيمها (٢).

ويتضح من بعض الروايات التاريخية ان البرامكة قد تصرفوا فـــي الاموال المأخوذة كغنائم ، تصرفا خرجوا به عن مقتضى الشريعة ولايخدم المصلحة العامة بقدر ما كان يخدم مصلحتهم الخاصة (٣).

---

(١)ـ جاء في القرآن الكريم ، آية الغنيمة : (... واعلموا انما غنمـــتم من شيء فان لله خمسه ...) اي ان خمس الغنائم من نصيب بيت مال المسلمين ، وياخذ المقاتلون الأربعة اخماس المتبقية ، حول تفاصيــــل تفسيرات العلماء والفقهاء المسلمين لهذه المسألة ، راجع:ـ
محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص١١٠ـ١١٦.

(٢)ـ انظر ، ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٨٨ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص١٧٥.
واليافعي ، مرآة ، ج ١ ، ص٣٧٨ ، و ، السيوطي ، تاريخ ، ٢٢٢ـ٢٨٩.
-NIKITTA,OP. Cit,P. 136

(٣)ـ قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص٢٥٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص١٩٠.

ولعل هذا ما يفسر جنوح البرامكة الى الصلح مع البيزنطيين كلما احسوا عندهم نية في دفع الاموال ، بدل مواصلة الحرب معهم رغم ان النصر كان حليف المسلمين في اغلب الاحيان (١)، مما ترتب عن ذلك اعراض خطيرة على مستقبل الخلافة العباسية .

اما الاجراءات التي اتخذها البرامكة في نظام الارض التي امرت اليها - يظهر ان الخليفة لم يكن على اطلاع واف للحكم على اقرار نظامها في دولته ولذلك يلاحظ امراره الكبير على " ابي يوسف " توضيح تفاصيلات الملك حول موضوع الأرض ومدى مطابقتها للواقع المعمول به في دواوين وزرائه البرامكة فقدم له " القاضي " تقريرا مفصلا - اعتمادا على مصادر أساسية - عن مختلف الاراضي الواقعة ضمن حدود الخلافة العباسية في عهده ، مركزا على

---

(١)- اهتم مؤرخو الحوليات التاريخية بتتبع حركات الغزو و الصوائف في عهد الرشيد ورغم كثرتها فان احدا من هؤلاء المؤرخين لم يشر الى نتائجها على مستوى توسع رقعة الدولة الاسلامية وانتشار الاسلام في مناطق هذه العمليات ، مما جعل بعض المستشرقين يستنتجون ان "البيزنطيين قد كانوا يستغلون اموالهم استغلالا حكيما ، حيث كانوا يمتنعون عن دفع الاموال ويهاجمون المسلمين كلما احسوا بمقدرتهم على القتال ".
انظـــــر :- نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ، ومحمود يوسف زايد ، ط ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، ص ٣٦٨ نقلا عن :

Runciman,S.?,Byzantine Civilisation, London,1933,P162.

السواد الخصبة في العراق ، واراضي بلاد الشام ، وشمال الجزيرة ثم خراسان

ويبدو من خلال ذلك ان نظام البرامكة الثاني بتحويل الاراضي العشرية الى اراضي خراجية قد من اغلب اقاليم الدولة ، فطالب القاضي " ابو يوسف " بضرورة الغائه فورا لتنافيه مع الشريعة الاسلامية ولمضرته للفلاحين (١).

وفيما يتعلق بعمليات اصلاح الاراضي و " احياء الموات " (٢)، منها و والتي نالت من اهتمامات الخليفة الرشيد قدرا كبيرا ، يستنتج أن هناك اهمالا واضحا للنشاط الزراعي في عهده ، فضلا عن وجود قنوات ومعالم لانظمة الري معطلة مما يعطي للباحث صورة غير معرفة لدور البرامكة في هذا الميدان ا لحيوي

(١)- ابو يوسف ، الخراج ، ص٥-٦٢

(٢)- احياء الموات : تعني الاراضي البور بالتعبير الحديث ، والتي لامالك لها وقد حدد الفقهاء الظروف والشروط التي تتم فيها عملية الصلاح .
وتجب الاشارة الى ان هذا النوع من الاراضي يصير ملكا خاصا لمن استصلحه بناء على قول الرسول (ص) :(من احيا ارضا ميتة فهي له)
انظر :- الماوردي ، الاحكام ، ص١٧٧-١٧٦
سيد سابق ، فقه السنة ، دار الفكر ، مصر ، ١٣٨٧هـ/١٩٧٧م .

في هذا الميدان الحيوي (١) .

ومن انظمة الضرائب التي شاع استعمالها في عهد البرامكة نظام "القبالة" (٢)، الذي ألح القاضي ابو يوسف على ايقافه لأنه كان مهلكة للرعية وللدولة على حد سواء (٣).

ومن حسن حظ الباحث في هذه الفترة وجود وثائق تاريخية يندر وجود نظير لها ، لا فيما سبق من تاريخ الدولة العباسية فحسب بل في تاريخ العصور الوسطى ايضا .

ومن الوثائق الهامة حول هذا الموضوع قائمة الخراج "للجهشياري" التي تبين تفاصيل الخراج لمختلف المناطق في عهد البرامكة ، ويرجح ان يكون

---

(١)- اقترح ابو يوسف "على الخليفة ارسال خبراء بشؤون الزراعة وانظمة الري ممن يثق فيهم لدراسة الاراضي الميتة والتأكد من امكانية استصلاحها ، انظر :- ابو يوسف ، الخراج ، ص٦٢-٦٣.

(٢)- القبالة : او التقبيل ، وتعني ضمان مقدار معين من الضرائب لكل منطقة تحدده ادارة الضرائب المركزية ، وتلزم الموظفين بدفعه لبيت المال عندما يعينون على الاقاليم . والمعتاد ان هؤلاء الموظفين وبعض الولاة كانوا يكلفون السكان بدفع اكثر مما التزموا هم بدفعه الى بيت المال ، فيحصلون على الفارق لصالحهم ، ولذلك رأى الفقهاء بمخالفة هذا النظام لمبادئ الشريعة ورفضوه رفضا قاطعا .
انظر:- ابو يوسف ، الخراج ، ص١٠٥ ، محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص٥٠٧-٥٠٨ ، و صبحي الصالح ، النظم ، ص٣٨٦

(٣)- قال ابو يوسف مخاطبا الخليفة الرشيد: (ورأيت ان لاتقبل شيئا ... فان المتقبل اذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف اهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم وظلمهم ... وفي ذلك وامثاله خراب البلاد وهلاك الرعية لا يبالي بهلاكهم بصلاح امره في قبالته ، ابو يوسف ، الخراج ، ص١٠٥

ان يكون تاريخ نسخها عام ١٨٠هـ/٧٩٦م ،لبلوغ الادارة المالية وتنظيم
غايتها القصوى في الاحكام (١).

والملاحظ من خلال المقارنات والاستنتاجات ان هذه القائمة تمثل اكبر قدر وصل
اليه الخراج العام في تاريخ الدولة الاسلامية (٢). وفي الحقيقة انـــه
لايمكن اعتبار ارتفاع مقادير الخراج مقياسا لتطور الدولة ودليلا علـــى
صرامة المشرفين على تنظيمها .

والمؤكد - حسب تقرير ابي يوسف وغيره - ان عمال الخراج المختارين من قبل
البرامكة كانوا على جانب كبير من الجهل بتفاصيل المهام المكلفين بها ، وان
شروط استخدامهم لما يراع فيها جانب   الكفاءات بقدر ما كان

---

(١)- جاء في مقدمة الجهشياري لهذه القائمة :(.... وجدت في كتاب عمله
ابو الوزير بغداد : انفذ الي ابو القاسم جعفر بن محمد رقعة استنسخها
من دواوين الخراج ذكر فيها ان ابا الورد الكاتب عملها في ايام الرشيد
تقريرا عرضه على " يحيى بن خالد" لما يحمل لبيت المال بالحضرة مـــن
جميع النواحي ....نسخته .)
انظر القائمة بتفاصيلها بالملحق رقم ( )

(٢)- انظر ، القائمة في الملحق رقم   وقد اعتمدت في ترتيب هذه القائمة
على محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص ٤٧٧-٤٨٠ الذي اجتهد فـــي
اخراجها وتنظيمها ، فضلا عن مقارنتها مع بقية القوائم.

بقدر ما كان البرامكة يحترمون الموالاة والاخلاص لهم نفسها (١)، ولذلك نصح "ابو يوسف" الخليفة الرشيد بوجوب استبدالهم بغيرهم ممن تتوفر فيهم الامانة والالتزام فضلا عن تزويدهم بتعليمات محددة ومراقبتهم مراقبة مستمرة صارمة تحول دون ظلمهم الفلاحين وملاك الاراضي(٢).

كما بين "ابو يوسف" فساد نظرية اعطاء الولاة والموظفين اجورهم من خراج المناطق العاملين بها ، وهي عادة اعتمدها البرامكة مع ممثليهم في الولايات في كثير من الاحيان (٣). حيث وضع مخاطرها لا على ميزانية الدولة فحسب بل على مايعانيه الفلاحون من حيف وظلم ايضا (٤)، لأن ولاء لا يهمهم في ذلك غير جمع الاموال للاستفادة منها في اغراضهم الخاصة.

---

(١)ـ تحدث ابو يوسف للرشيد عن موظفي الضرائب في ادارة البرامكة ، فقال:
(... اني قد اراهم لا يحتاطون في من يولون الخراج اذا لزم الرجل منهم باب احدهم اياما ولاه رقاب المسلمين وجباية خراجهم ولعله ان لا يكون عرفه بسلامة ناحية ولا بعفاف ولا باستقامة طريقة ولا بغير ذلك..)
انظر ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٦ـ١٠٧

(٢)ـ انظر ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٢ـ ١٣٧

(٣)ـ انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٩٥ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٠ـ ١٨٢ ، ١٨٧ . ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٤٤ أ ، و ، جاسم الدلقوي ، البرامكة والعلويون ، ص ٦٦ ـ ٦٢

(٤)ـ ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٧ـ١٠٨ .

وعلى الرغم من ان الدنيا يعني اجراءات البرامكة خاصة " النظام البرمكي " في الاقاليم الشرقية ـ الفارسية الاصل ـ فانه يلاحظ تساهلهم مع السكان لدرجة اعفاء بعضهم من دفع الضرائب وحرق دفاتير مؤخرات ما عليهم من خراج احيانا (١).

مما يوضح سوء ادارتهم وخضوعها للرغبات الشخصية دون النظر للمصلحة العامة

وهذا انعكس ذلك على الوضع الاجتماعي حيث بولغ في عمليات التهرب من دفع الضرائب (٢)، فالتجاء ادارة البرامكة الى استعمال العنف، مما زاد الوضع سوءا حتى عام ١٨٤هـ/٨٠٠م وهي السنة التي حاول فيها الخليفة الرشيد تطبيق بعض مقترحات " ابي يوسف " التي اشار اليها (٢).

ولتغطية هذه التصرفات ومظاهر التعصب برجال الدولة عمد البرامكة الى اتباع سياسة تمكنوا من خلالها من كسب المؤيدين من وجهاء القوم ممن كان لهم تاثير على الراي العام كالادباء والشعراء والفقهاء وغيرهم.

وتتركز هذه السياسة على مبدأ بذل الاعطيات والعطاء والاسراف في الكرم بشكل

---

(١)ـ انظر، الجهشياري، الوزراء، ص ١٢٨، ومحمد ضياء الدين الريس، الخراج، ص ٤٢٨

(٢)ـ الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٢٦

(٣)ـ انظر، ابو يوسف، الخراج، ص ١٠٥ وما بعدها، واليعقوبي، تاريخه ج ٢، ص ٤١٠

غير متوقـــع(١)• ومن احتمال وجود مبالغة فيما ترويه المصادر التاريخية والادبية ، الا ان هذه الظاهرة ظلت ترافق سياسة البرامكة طيلة فترة نفوذهم(٢).

وبغض النظر عن الامثلة التي يتعذر احصاؤها حول سياسة الكرم والدعوة لها فان ما يعني به بالدرجة الاولى الاموال التي كانت تتم فيها والابعاد المتوخاة منهـا (٣)•

وسيطرة البرامكة على مالية الدولة بشكل عام وغياب الرقابة من جانب الخليفة أو من أيـة مصلحة اخرى قد كـان من اهم العوامل

---

(١) • يتعذر وجود مصدر تاريخي او ادبي تناول موضوع البرامكة ولا يشير الى ظاهرة الاسراف في بذل العطايا حتى صارت ميزة تميزوا بها عن غيرهم من الاعوان والوزراء ، ولعل مصدر مبالغة المؤرخين في هذه السياسة رغبة الرواة رؤية اولي الامر منهم يتحلون بفضيلة الكرم ، هذا دون استبعاد روايات شعوبية ارادت ان تنافس العرب في هذه الفضيلة من خلال نسبها الى هذه الاسرة الفارسية المشهورة ، انظر: الفصل السابق من هذا البحث •

(٢)- اشاع المؤرخون ان يحيى البرمكي كان مئة درهم لكل من يعترض طريقه وانه كان يحمل مثل هذه المبالغ قبل خروجه من قصره • هذا فضلا عن ان بعض المؤرخين قد نسبوا كثيرا من الاقوال والنصوص الى البرامكة تدعوا الى تحبيب الكرم وتحبيذه في المجتمع العباسي ، انظـر: الاربلي ، خلاصـة ، ص١٦١ ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط)، ورقة ٢٣ ا ، ٤٤ ا •

(٣)- كانت عطاياهم كانت بحد " الاصطناع " وشراء ذمة من يمدونهم بالمال ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٠-١٨٢ ، و ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، و ، ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٦ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ، و ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥١-١٥٢ ، و البغدادي ، تاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٢٦ ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ٤٤ ا ، ٤٤ ب ، ٤٦ ا •

في تطور هذه الظاهرة وانتشارها فيـــــها (١).

ويظهر من خلال نص الروايات ان اهداف هذه السياسة لا يحتمل اكثر من تفسير واحد في نظـــري ، وهو محاولة البرامكة تكوين طبقة في المجتمع العباسي تدين لهم بالطاعة وتعمل على هداية مصالحهم . ذلك ان هذه الاسرة كانت تعتبر تبذير اموال الدولة مقياسا لعزمهم وعلو منزلتهم في نظر العام و الخـــاص(٢).

ولم يقتصر ابتزاز البرامكة لاموال الدولة بمقتضى هذه السياســـة فحسب بل تجاوز بهم الحد الى ظواهر اخرى لا تقل خطرا عن ميزانية الدولـــة من سابقتها .

وحسب هذه الروايات لقصورهم ومستوى حياتهم البوهية يكون هؤلاء الوزراء قـــد تجاوزوا فعلا حدود التزاماتهم كاداريين حيث تقتضي مهمتهم الاساسية مساعدة

---

(١) ـ انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٤٨.

(٢)ـ يروى ان يحيى البرمكي كان يأمر اعوانه ان يوزعوا الاموال في الناس حتى باسم ابنائه الذين لم يتقلدوا المناصب بعده وذلـــــك " ليجعل لهم محبة في اعناق الرجال ويحببهم الى الناس على حد تعبير بعض المؤرخين ، انظر :
الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٠ ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقـــة ١٤٣ أ .

الدولة على النهوض بمصالح العامة للمجتمع الاسلامي في عهد الخليفة هارون الرشيد.

ومن اهم التجاوزات التي سجلها التاريخ لهؤلاء الوزراء اهتمامهم الكبير بتشييد القصور ومايتبع ذلك من حياة الترف والبذخ اللتان كانتا تنهكان الخزينة العامة (١).

ويغلب الظن ان معظم عمارتهم قد تركزت في الناحية الشرقية من العاصمة " بغداد " بعيدا عن مخالطة العامة وجيرتهم (٢).

ولاشك ان سبب اهتمام البرامكة ببناء هذه القصور والبيوت التي تبالغ الروايات في الحديث عنها (٣). وقد يكون مرد ذلك الى رغبتهم في الظهور بمظاهر الترف والابهة افتخارا وبقوة الهيبة وعلو المكانة على الخاصة والعامة (٤).

---

(١)- يروى ان "جعفر البرمكي" قد انفق على بناء قصر واحد ما قيمته عشرون الف الف درهم ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٨٢ ، و ، جميل نخلة المدور ، حضارة ، ٦٦١ .

(٢)- كان " يحيى البرمكي " اول من بدا في بناء القصور وتبعه بقية البرامكة واعوانهم وذلك حين سكن قصره المعروف بقصر الطين الواقع في منطقة " الشماسية " احدى النواحي الشرقية في مدينة بغداد ، انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ...

(٣)- انظر الطبري ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٦٠ ، و ، ابن خلكان ، وفيات ، ج٦ ، ص٢٢٦. و ، ابن الساعي (تاج الدين ابي طالب) ، نساء الخلفاء ، تحقيق ، مصطفى جواد ، دار المعارف ، القاهرة ، (ب - ت) ، ص٦٢ ومابعدها

(٤)- انظر ، الفصل التاسع من هذا البحث .

والملاحظ ان "جعفرا البرمكي" - المعروف على دور الذرب السكة - كان اكثر البرامكة مبالغة في البناء واكثرهم اسرافا في الانفاق على تزيين قصوره وتجميلها بمختلف انواع التحف النادرة ، كما انه كان لايتردد في ان يبالغ في جارية يريدها - جعفر - ان تكون في احد قصوره(١).

ويكفي الاشارة الى نموذج واحد من مباني احد البرامكة ، للدلالة على ماكان ينفقه هؤلاء من اموال على حساب خزينة الدولة واموال المسلمين(٢) لدرجة ان احد المقربين الى البرامكة نصح " جعفرا البرمكي " بعدم (بحل) اخفاء قيمة تكاليف قصره خوف سماع الخليفة الرشيد مثل

---

(١)- قارن ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٤٤ ب ، ١٢١ ا ، ب ، انستاس الكرملي ، السن واثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة (المشرق) عدد ١٠ ، سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، ص

(٢)- تقول الرواية ان بيت جعفر كانت : (... مطلاة بالرسم والزخرفة من الداخل والخارج وعليها صورا من العجم المجسم وقد فرشت مجالسها بالوشي والابريسم وزينت بالامتاع الثمين والتماثيل الذهبية ...و القوارير الفرعونية ولطائف الصين وغيره وغيرها من التحف ولبست حيطانها باستار من الديباج عليها ابيات مرسومة مما قالته الشعراء في مدحهم ، وحسن تاتيهم من مصنوعات الفرس) ، انظر ، الطبري ، تاريخ مج ٨ ، ص ٢٩١ ، بديل نخلة المدور ، حضارة ، ص ١٠٦ ، ١٦١ ، ١٦٢

مثل هذه الارقام الخياليـــة فيوئنبـــه (١). ومن الممكن ان يكون هذا القصر هو الذي تتحدث عنه المصادر التاريخية بانه هو الذي تدانتتن بـــه الخلفاء العباسيون بعد الرشيد واتخذوه مقرا لهم (٢).

ومهما يكن من امر ذلك فان الثابت تاريخيا ان البرامكة قد تجاوزوا حـــدود الاعتدال وصرفهم الاموال واعتبروا الاسراف والترف من اجل الوسائل المعتمد عليها في بعد غيبة سلطانهم عن اولي الما (٣).

والغالب انهم كانوا قد استفادوا اكثر من غيرهم من استغلال ما كانت توفره الدولة من خدمات ، ويتبين ذلك من خلال قائمة المدفوعات التي كانت ترد الى طبيب دار الخلافـــة " جبرائيل بن بختيشوع " (٤). التي

---

(١)ـ ابن الساعي ، نساء ، ص٧٣ـ٧٤ . وقد وصف احد الشعراء ـ غير ـ معروف للخليفة الرشيد هذه البيت في قصيدة شعرية من بحر " السريع " جاء فـــي مطلعها :

وَكُبّتي الدَّارَ التي تَابكي الـ   فُرْسُ بِثُلْثَا وَالْهِنْـــدُ
الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ حَصْبَاؤُهَا   وَتُرْبَتُهَا الْعَنْبَرُ وَالنَّـدُّ

انظر ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ١ ، ص٢٩٩ ، و ، احمد شلبي ، التاريخ الاسلامي ص ٢٨٨.

(٢)قارن ، ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ٧٣ـ ٧٤ ، ب ، عمر محمد سعيد ، نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد ١٣٢هـ/٦٥٦ (رسالة جامعية) قدمت لجامعة عين شمس القاهرة ، مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل ، رقم: ١٩٦٤ ، ص ٥٦ .

(٣) انظر دومنيك وجانين سوردال ، الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبـــي ، ترجمة حسني زينه ، ط ١ المكتبة التاريخية ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ ، ص ٥٦ ،

(٤) ـ يعد من كبار الاطباء في تاريخ الخلافة العباسية وهو من عائلة سوريانية عملت في " بيمارستان" ومدرسة " جند سابور " الطبية على مدى فترة طويلة وقد لزم صاحبة الخليفة الرشيد حيث كان يقوم الى جانب الخدمات الطبية على بمجالسته ، كما كان يعد من اهم اطباء اسرة الخليفة وحريمه ، وقد خـــدم

ـ كما تدل الرواية ـ حيث تؤخذ صراحة ما بلغته هذه الاسرة من اسراف في استغلال اموال الدولة على حساب مصالح المجتمع العباسي (1) .

وفي الحقيقة فان ذلك لا يعود الى طبيعة التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشته الدولة في عهد نفوذهم كما هو شائع ، بل كان ذلك على حساب امكانيات بيت المال ومصالح المجتمع المسلم الذي كانت تبتز منه ارزاقه ولذلك قد بقي افراده يعيشون في فاقة شديدة في حين كان ينعم حكامه من امثال هؤلاء الوزراء بما تجود به سواعد الاشقياء (2)

= الامين بعد ابيه الرشيد ثم انتقل الى قصر " المامون " لنفس الغرض ، ومع ذالك فقد كان على صلة متينة باسرة البرامكة وتربطه بهم علاقة حسنة ، فضلا عن الخدمات الطبية التي كانوا يكلفونه بها . انظر ،

ابن جلجل (ابو داود بن سليمان) ، طبقات الاطباء والحكماء تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، 1375هـ/ 1955م ، وابن ابي اصيبعة (موفق الدين ابي العباس) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق فؤاد رضا ، بيروت ، 1385هـ/1965م ، ص187 ـ ، وابن العبري ، مختصر ، ص130 ،

وخير الدين الزركلي ، الاعلام ج 2 ، ص 111 .

(1) ـ ورد في القائمة احصاء نقدي لمدخولات هذا الطبيب من العائلات الوصية كل سنة اي ما جاء في الاحصاء التالي ـ من جعفر البرمكي حصل على المقدار 1200000 1 درهم ونفس الرقم حصل عليه من اخيه الفضل في حين لم يتجاوز ما قبضه من الخليفة الرشيد مبلغ 600000 درهم انظر المحرد ، هرون ج 1 ، ص 305 ، وابن ابي اصيبعة عيون الانباء ، ص 99

(2) ـ قال ابو يوسف ، (... بلغني انهم يقيمون الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام ، ....) ابو يوسف ، الخراج ، ص 109 ، والامثلة عن مثل هذه المعاملات في ادارة البرامكة كثيرة ومتنوعة . انظر الازدي ، تاريخ الموصل ص 276 ، و ديورانت ، قصة الحضارة ، ص 56

ومن غير شك فان اسرافهم في انفاق الاموال في غير المشاريع الحضارية المؤدية الى زيادة الانتاج وتطوير المجتمع لا بد ان تؤدي آخــر الامر الى التذمر والسخط وبالتالي الى الافتقار والانحطاط •

وفي سبيل تغطية هذه الاسرافات والازمات وحالات الغلاء الذي كانت تعاني منه الدولة عمد البرامكة على محاولة امتصاص نقمة الرأي العام عندهم بتوزيع بعض المنــح على فقراء بغداد لمساعدتهم على سد احتياجاتهم اليومية (1) •

ولئن وجدت هذه السياسة اقبالا من قبل هؤلاء البؤساء الا انها لــم تؤدي الى اية نتيجة تمكن هؤلاء الوزراء من اخراج المجتمع مــن حالة الفاقة التي كانــت تزداد باستمــــــــــــرار (2) •

ومن المحتمل وجود مؤيدين لهذه السياسة بيد ان هؤلاء كانوا اكثر استفادة من غيرهم حيث تعدت مساعداتهم حدود التغلب على الفاقة والاحتياج الى تكوين ثروات طائلة لمجرد ابداء الاعجاب بالبرامكة والاشادة بكرمهــم (3) •

ولا شك في وجود مصلحة مشتركة بين هذه العناصر المتطفلة واسرة البرامكــة لا تهدف الى استغلال امكانيات الدولة لمصلحتهم الشخصية فحسب بل كانت تهدف الى المساس بطبيعة التطور الحضاري للمجتمع العباسي المسلم ايضا •

ويبدو ان توضيح هذه المسائل ليس سهلا لما يشوبها من غموض واختلاف في الآراء ولذلك فان اهم مايساعد على اجلاء هذا الغموض ومحاولة تتبع الدور الذي مثله البرامكة في المجتمع العباسي وحضارته • وذلك ما سأحاول الحديث عنــــه خلال الفصـــــــــل التالـــــــي •

(1) ـ تاريخ البغدادي تاريخ جـ 14 ص 130 ب ـ ومنيك الحضارة ص 56

(2) ـ انظر الجهشياري الوزراء ص 179 الصولي الاوراق ص 3 ـ 4 • البغدادي تاريخ جـ 14 و ابن الوكيل احسن المسالك (مخطوط) ورقة 23 ب

(3) ـ انظر ما سيأتي •

الفصل السادس

الدور الاجتماعي والثقافي

لم يكن نشاط البرامكة وعنايتهم الفائقة ببناء القصور وتشييد البيوت دون هدف فقد كانت هذه الاسرة مولعة بالتأنق والاسراف في حب التظاهر بغية استمالة الخاصة وفرض الاحترام على العامة ، ولم يحتكر البرامكة هذه العادة لانفسهم فحسب بل حاولوا تحبيبها للمجتمع من مواليهم وخلصائهم .

ولدي من الشواهد ما يشير الى انهم عملوا بطريقة او باخرى على مساعدة عمالهم في التفنن في بناء بيوتهم وتجميلها حتى وان كانت تغطية النفقات من ميزانية الدولة (1) .

واظن ان نيتهم في ذلك لم تكن قصد تشجيع حركة العمران في الدولة بالبناء كما يتبادر الى الذهن وذلك لاقتصار مساعدتهم على من لا حاجة له بالبناء غير الاسراف في اللهو وعقد مجالسه (2) .

وتطنب المصادر التاريخية والادبية في وصف مجالس لهو البرامكة بشكل يدعو الى الدهشة والاستغراب ، حيث كان لهم اختصاصيون في المنادمة (3) يجتمعون بهم قصد تسليتهم والترفيه عنهم . وكان لهؤلاء الندماء لباس خاص من حرير ذا الوان زاهية يلبس خصيصا لهذه المناسبة كما يتعطرون بالطيب على عادة ندماء الفرس ، في حين خص المدعون لمثل هذه المجالس من اصدقاء البرامكة بلباس خاص ايضا . وذلك استعدادا للحفل وما يرافقه من مشروبات وتبادل اطراف الحديث (4) .

---

(1) - انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 281 ومابعدها

(2) - الجهشياري ، الوزراء ، ص 112 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 130 - 131 ابن عساكر ، تاريخه ، ج 5 ، ص 28 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 146 .

(3) - المنادمة ، (النديم) تعني المجالسة و الجليس ، وعادة ما يؤخذ معنى هذه اللفظة المجالسة على تعاطي الشراب فمنادمة الرجل للاخر تعني مجالسته للشراب انظر ، ابن المنظور (ابو الفضل جمال الدين) ، لسان العرب ، دار صابر ، بيروت 1956 1956م ، مادة ندم ، وهناك دراسة جادة حول هذا الموضوع قدمها ، جمال سرحان ، المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجري ، ط 1 دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1401هـ / 1981م

(4) - انظر ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج 1 ، ص 172 ، الجهشياري ، الوزراء ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 174 ، ومحمد جابر عبد العال ، حركات الشيعة المتطرفين واثرها في الالحياة الاجتماعية والادبية في العراق ابان العصر العباسي الاول ، ط 2 دار المعرفة ، القاهرة ، 1387هـ / 1967م ص 27 - 29

انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 168

وحسب وصف المصادر التاريخية والادبية لهذه المجالس يلاحظ ان البرامكة قد بالغوا في الاسراف وخرجوا به عن حدود الشرع(1) .

واظن ان تشجيع البرامكة لمثل هذه الظواهر الغريبة في المجتمع الاسلامي هي التي اوصلت شخصية " النديم " الى المرتبة المرموقة ضمن حاشية كبار رجال الدولة ووجهاء القوم ، وقد صارت وظيفة المنادمة وظيفة رسمية في عهد الخليفة هرون الرشيد يتقاضى صاحبها مرتبا هاما فضلا عن الهبات والاعطيات التي يجازي بها باستمرار (2) .

وتجاوزت مثل هذه العادات حدودها في قصور البرامكة ومجالسهم التي صارت محافل للمغنين والراقصات عن طريق اغرائهم بالهدايا الثمينة والاموال الطائلة التي كانوا ينفقونها في اسواق النخاسة لشراء الجواري الحسان حتى صار للبرامكة عملاء مهمتهم اقتناص الجواري لاشباع رغبة هؤلاء الوزراء الجامحة في اللهو والطرب(3)

والظاهر ان البرامكة بتبنيهم لمثل هذه الظواهر وتشجيعها قد عملوا على تطوير الغناء بمختلف اساليبه وفنونه في الخلافة العباسية .

ويدل على ذلك مبلغ ما وصل اليه " اسحق الموصلي " (4) الذي تربطه بالبرامكة علاقة متينة كانت سببا في تشجيعه على استحداث الغناء

(1) ـ انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 168

(2) ـ قارن ، النويري (شهاب الدين احمد) نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية القاهرة ، 1375 هـ / 1955 م ، ج 4 ، ص 352 ، ب ، الحصري القيرواني (ابو اسحق ابراهيم) ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1373 هـ / 1953 م ، ص 314 .

(3) ـ انظر الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 63 ، ج 5 ، ص 186 ، ج 20 ، ص 343 و ،

- GABRIEL , OP. CIT. P 70 .

(4) ـ اسحق الموصلي (155 ـ 235 هـ / 772 ـ 850 م) ، فارسي الاصل بغدادي النشأة من اشهر ندماء الخلفاء العباسيين (المهدي ، الهادي وهرون) عالم باللغة والموسقى فضلا عن شاعريته الخصبة ، له تاليف عديدة في الغناء وفنون اللهو والمنادمة . انظر ابن خلكان ، وفيات ، ج 1 ص 65 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ص 200 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 1 ، ص 292 .

وتطويره في المجتمع الاسلامي (1) • ومع مرور الزمن صارت قصور البرامكة ومجالس لهوهم مدرسة للغناء وفنون الغناء والرقص يتخرج منها العديد من الشباب على اجناسهم حيث كانوا يشجعونهم على تلحين ما يقال في اسرة البرامكة من قصائد مدح (2) •

ولعل المغنية " دنانير " التي الحق بها فيما بعد لقب "البرمكية " اهم تلميذة تخرجت من مدرسة البرامكة حيث يروى انها لم تكن تذكر لولا تبني " يحي البرمكي " لها واعجابا بنائه الشديد بفنها • حتى صار تعلما بارزا في تاريخ الغناء العباسي وقد عينها "يحى " مشرفة على مجالس غنائه ، ووضع تحت تصرفها العديد من الجواري لـ تتفنن " دنانير " بهن في حبك مظاهر الترف و المجون لا في قصور البرامكة ومجالس لهوهم فحسب بل صارت فرقتها متجولة - بأمر يحي البرمكي " - في قصور الحي الشرقي من بغداد تنظم الحفلات لمريدي هذا الفن من اصدقاء البرامكة وعملائهم (3) •

وتؤكد الروايات ان مثل هذه الظواهر الاجتماعية المبتذلة لم تبقى مقتصرة على البرامكة ومواليهم بل انتقلت الى اغلب قصور رجال السياسة ووجهاء القوم من الامراء والقواد (4) •

---

(1) - الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ص 301 - 302 • 323 ، و جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 183 ، 238 - 243 • ،

(2) - انظر " ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 37ب

(+) - جارية تعلمت الغناء وفنونه في المدينة ، اشتراها يحى البرمكي ورعاها حتى الرعاية حتى نبغت في فن الغناء ، ويروى انها اعتزلت هذا الفن بعد نكبة البرامكة حتى وفاتها عام 200هـ/825م • ، انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 63 ، ج 5 ، 245 ، عمر رضا كحالة ، اعلام النساء في عالمي العروبة والاسلام ، ط 2 ، المطبعة الهاشمية ، 1378 هـ/ 1959م ، ص 358 ، الزركلي ، الاعلام ج 2 ، ص 341 •

(3) - الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 63 ، ج 5 ، ص 245 ، ج 18 ، ص 65 - 68

(4) - محمد جابر عبد العال ، حركات ، ص 19 ، احمد ابراشيم حمور ، هرون ، ص 108

ولم يسلـــــــم منها الخليفـــــــة أمير المؤمنيـــن (1)

واقتضت الحاجة بمترفي المجتمع العباسي بعد هذا الـــي البحث عن الجواري الحسان و المغنيات الحاذقات فكانوا لا يجدون رغبتهم الدنيئة هذه الا عند البرامكـة او بواسطـــــة عملائهـــــم (2) وبذلك اوجد وانمطا جديدا وغريبا في الحـــياة الاجتماعية لم يكن مألوفا عند عامـــــة الناس من المسلمين ، ولا شك انه كان احد اهـــم بواعث الفساد و الانحلال ٠٠ حيث لم يعد يقتصر نشاط مثل هذه المجالس على فترا ت الفراغ فقط بل صار في عرف البرامكة على حساب الاوقات ا لواجب احترامها خدمة للمصلحة العامة (3) ٠

ولدي من الروايات حول الموضوع ما يجعل امر تصديقها في غاية من الصعوبـة لتعارضها مع مقومات المجتمع العباسي المســـــــــلم (4) ٠ومن ذلك وصف موكب سيدة قصور البرامكة "عتابة" ام "جعفر" التي كانت لا تخرج من مخدعها الا صحبة هودج بهيج ، تحف بها اربعمائة وصيفة يدجج يد كل واحدة منهن مختلف الجواهر الثمينه وعليهن الالبسة الحريرية الفاخرة التي يصعب وصفها (5) ٠

---

(1) — يلاحظ في كثير من الاحيان ان اغلب من اتصلوا بالبرامكة كانوا على اتصال بالخليفة الرشيد بطريقة اوباخرى لوثوق الصلة بين هذا الخليفة ووزرائه البرامكة خاصـــة في بداية حكمه ٠ بيد ان بعض الروايات التاريخية قد تجاوزت حدود المعقول في المبالغة اثناء الحديث عن الرشيد ٠٠ ولا يستبعد ان يكون مصدر ذلك ناتجا عن فكر شعوبي قصد به اصحابه المس بشخصية هذا الخليفة الذي وقف ضد مشروعهم ٠٠ حتى ظن بعض المستشرقين ان قصص الف ليلة ولية الخرافية مبنية على حقائق تاريخية ترجع اصولها الى زمن الخليفة هرون الرشيد ٠٠ انظر ، ماسياتي ، د عاملتـــون جـــب ، دراسات ، ص 84 ٠٠ ابراهيم حمور ، هرون ، ص 140 — 170٠

- GABRIEL; OP .CIT? PP 64-95 .

(2) — انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 19 ، ص 289 — 290 ٠٠ ابن الطقطقي ، الفخري ص 153 — 154 ، و ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 165 ، و جميل نخلة المدور حضارة ص 179 — 180

(3) — الاصبهاني ، الاغاني ، ج 5 ، ص 179 ٠

(4) gabriel,op;cit.PP66-69.

(5) — المسعودي ، مروج ، ج 3 ، 392 الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 114 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة ، 61ب

هذه المكانة الاجتماعية التي تعيشها هذه الاسرة وسط المجتمع العباسي مكنتها من ان تقوم بأدوار هامة في حياتـــــه ، ومنهم سكان العاصمة بغداد خاصة حيث صار ينسب للبرامكة اجود انواع الثياب وافخرها ، كما انهم كانوا سببا في نشر طرق جديدة لطهي الطعام ، واصناف من المأكلات كانت لا تعمل الا لهم يحضرها على موائدهم طباخون مهرة دربوا تدريبا جيدا على اتقان الطهي الفارسي وغيـــــره (1) •

ويروى ان هذه الاسرة قد عملت على تطوير الفروسية والعاب سباق الخيـــل حتى صارت في عهدهم تقليدا اجتماعيا ينال اهتمام بالغا من طرف اعيان القوم ومترفيهم (2) ولم يكن البرامكة عاجزين عن اختيار اجود اصول الخيل مادامت ميزانية الدولة بين ايديهم وتحـــــت تصرفهم المطلـــــق (3) •

ومن انواع التسلية التي شاعت في عهدهم وكانوا السبب في تطويرها في المجتمع العباسي لعبة " الشطرنج " حيث كان اغلب افراد الاسرة من امهر المتنافسين وكثيـــرا ما كانوا ينظمون مسابقات فيما بينهم تحت اشراف يحى البرمكي (4) •

ولم يقتصر تشجيع البرامكة لهذه الانواع من التسلية فحسب بل هناك ما يوضح انهم بالتعاون مع مواليهم وعمالهم — من الفرس خاصة — قد احيوا بعض العادات والتقاليد الفارسية والهندية تتنافى مع مقومات المجتمع العربي المسلم مما اثر حفيظة الكثير من العناصر

---

(1) — اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ميلورد ، ط 2 ، دار الكتاب الجديد بيروت ، 1400هـ / 1980م
الغزولي (علاء الدين علي) ، مطالع البدور في منازل السرور ، ط 1 مطبعة ادارة الوطن ، القاهرة 1300هـ / 19882 • ، ج 2 ص 54 — 55
الصديقي محمد عبد الرحيم ، النبراس ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1384هـ / 1964م ص 131 •

(2) — اعتاد العرب المسلمون تنظيم منافسات لسباق الخيل ، وعدوها من اهم انواع التسلية تماما بحضارتهم • وقد اقرها الرسول (ص) ، وشجع على ممارستها ولذلك تطورت تطورا كبيرا في تاريخ العرب المسلمين ، انظر ، عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة الرسالة القاهرة ، 1382هـ / 1963م • ، ص 139 ، اعتمادا على ، ابن هذيل ، كتاب حيلة الفرسان ص 43 — 141 •

(3) — تقول الرواية ان خيول البرامكة كانت لا تنافس في ميدان ا مسابقة • ، انظر ، عبد ربه ، العقد ، ج 1 ص 172 •

(4) — ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 59ب

مما اثار حفيظة الكثير من العناصر العربية الغيورة على حرمة الدين الاسلام والتقاليد العربية الاصلية (1) .

وفي سبيل ترضية واسكات الرأي العام على ما يلاحظونه من تصرفات البرامكة في المجتمع العباسي ،عمدوا الى القيام ببعض الخدمات الاجتماعية كمواصلتهم لعادة ارسال القمح وبعض المؤن الى سكان الحرمين ،وبناء الاحواض لتخزين مياه الشرب في المناطق التي تشكو من الجفاف ،كما ساهموا في بناء بعض الكتاتيب لتعليم ابناء اليتامى والمعوزين (2) .

ومن الصعوبة بمكان تصديق الروايات التي تمجد دور " الفضل البرمكي " وتطنب في ذكر مشاريعه الاجتماعية في اقليم خراسان (3) .،اذ ان من غير المقبول بسهولة ان يتجرأ هذا الرجل على هدم معبد " النوبهار " ليستغل حجارته في بناء مساجد للمسلمين في مدينة بلخ . ،وقد كان هو وغيره من البرامكة يعملون على تثبيت وجود تاريخهم القديم في حياة المجتمع العباسي (4) هذا فيما لو استبعدت فكرة متانة بناء هذا المعبد(5) والوقت والجهد اللذين ينبغي تخصيصهما لمثل هذا المشروع و فضلا

---

(1) ـ انظر ، ما سياتي . ،

(2) ـ الجهشياري ،الوزراء ،ص177 . ،صبحي صالح ، النظم ،ص 389

(3) ـ هناك رواية طريفة ،ظاهرة الانتحال فيها واضحة مفادها ان الفضل البرمكي خلال حكمه لهذا الاقليم حمل " عشرون الف صبي " اسم الفضل اعترافا من سكانه بما قام به هذا البرمكي من اصلاحات واعمال جليلة . انظر ، اليزدي ،تاريخ و(مخطوط) ، ورقة ، 129 ، 29ب

(4) ـ ابن الوكيل ،احسن المسالك (مخطوط) ،ورقة 55ب. -Bouvat,op;cit,p61 ,Dominique,op.cit.T1?P145

(5) ـ انظر هندسة وبناء هذا المعبد وما انفق عنه . في الفصل الثاني من هذا البحث

وفضلا عن ذلك فان الظروف السياسية التي كانت التي تعيشها المنطقة وقتذاك كانت لا تسمح لأي أمير بامكانية التفكير في مشاريع اجتماعية وحيوية كهذه (1) .

والملاحظ ان مثل هذه الخدمات الاجتماعية لم تكن من الاهمية بحيث يمكنها التأثير في حياة المجتمع العباسي ، لا لقلتها فحسب ، بل لا ندراجها ضمن مستوى متدن من متطلبات الحياة الاجتماعية المتزايدة باستمرار ، ولم يكن القصد من القيام بها في نظري غير محاولتهم التمويه على المجتمع وتبرير نفقاتهم في قضاياهم الخاصة التي كانت تكلف الدولة أموالا طائلة (2) .

بيد ان المشروع ذا الابعاد الاجتماعية الذي ابتدعه البرامكة هو تكوينهم لجيش " العباسية " من عناصر الاقاليم الشرقية للدولة والذي ادخلوا جزءا منه في حياة المجتمع العباسي ببغداد وغيرها من المدن ، فساهموا بذلك في انفتاح الدولة على العناصر الشرقية حيث كان لهم آثار هامة على مستقبل تطور الخلافة العباسية (3)

وكان بديهي ان يعطف البرامكة على امثال هؤلاء اكثر من غيرهم .. وبغض النظر عن اهدافهم السياسية ـ اشرت اليها (4) ، فان الرائج انهم عملوا على تكوين شريحة اجتماعية تعيش على فتات جودهم ، دون ان تقدم خدمة اجتماعية تساهم بها في تطور الحضاري للدولة الاسلامية . حيث كانت مهمتهم الاساسية التزاحم امام ابواب البرامكة " الأجواد " ، او اعتراض طريقهم املا في الحصول على بعض الدراهم التي

---

(1) ـ قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 257 ب ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 37 ، 190

(2) ـ راجع اسراف البرامكة و تبذيرهم لاموال الدولة ، فيما سبق ..

(3) ـ بادخلل هذا الجيش دفع البرامكة ظاهرة تشجيع مساهمة العناصر الشرقية التي تعمم الروايات التاريخية تسميتها خطاء باسم " الترك " لصعوبة نطق اسماء بلدانهم وقد ظهرت آثار ذلك على وجه التحديد اثناء حكم الخليفة العباسي المعتصم (218ـ 227هـ / 833ـ 841م) عندما احسوا بأن فعاليتهم في الاحداث قد اخذت تزداد باستمرار فورطوا بذلك الدولة في صار صراع داخلي مرير لا تتكافىء آثاره مع ما قدموه من مجهود في الدفاع عنها .
انظر الطبري ، تاريخ ج 8 ، ص 354 وما بعدها .. ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 275 وما بعدها .. ، وهناك دراسة هامة حول الموضوع .. ، راجع ، محمد عبد الحي شعبان ، الدولة العباسية ، ص 82 وما بعدها ، كرايمرز KRAMERS?JH دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ترك ، ج 5 ، ص 34 ، وما بعدها

(4) انظر ما سبق

التي كان البرامكة يحضرونها خصيــــصا لهذا الاســـراف افتخارا امام العامة والخاصة (1)

واظن ان مثل هذه الاجراءات لم تكن سوى مظاهر مأسوية وقع فيها البؤساء والمحتاجون من المجتمع البغدادي ، ولم تؤد تلك المساعدات الرمزية الا الى تشجيـع روح الاتكالية وانتشار ظاهرة التسول المقيتة بين عناصر المجتمع البغدادي .

ولا ادري على ماذا اعتمد بعض المستشرقين للوصول الى فكرة نجاح البرامكة في كسب العناصر الفارسية وغيرها لصالح الخلافة العباسية (2) .

وبالعكس فان الاستنتاجات المنطقية توصل الباحث الى ان البرامكة قد عملوا بشتى الطرق على وضع امكانيات الدولة في خدمة هذه العناصر وتطوير اوضاعهم الاجتماعية بعـــــد ان استفادوا هـــم منهـــا (3) .

والظاهر ان تعاطف بعض المستشرقين مع اسرة البرامكة سببه رغبة هؤلاء في رؤية المجتمع الاسلامي منحلا يعيش حياة الترف والبذخ التي كان يشجعها وزراء الخليفة الرشيد هذا من جهة) ومن جهة اخرى ، تسامح البرامكة مع الاقليات المسيحية في الخلافة العباسية تسامحا اشبه بالتواطيء معهم على حساب تشريعات الدولة الاسلامية و مقومات

---

(1) ــ البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص130 ، الجهشياري ، الوزراء : ص 178 ، الصولي ، الاوراق ص 3 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقـــة 28ب

(2)-BOUVAT,OP.CIT.PP47-48,
-GABRIEL,OP.CIT. PP 120 & 121 .
- bernard, OP.CIT. P77 .

(3) ــ الشائع ان كثير من العناصر الفارسيه قد استفادت من ادارة البرامكة التي قربتهم من اجهزة الدولة ، بيد ان هؤلاء عوضا يعترفوا بالجميل لهذه الدولة التـــي وضعت امكانياتها في خدمتهم وتحسين اوضاعهم الاجتماعية عملوا على نشر العادات المتنافية مع مبادئ الاسلام ، وتطرفوا الى حـــد التفكير في محاولة ارجاع الحكم اليهم ، انظر الفصل السابع ، البرامكة بين الشعوبية والزندقة .

بالتواطيء معهـــــم على حطب تـ ريعات الدولة الاسلامية ومقومات وجــــودها (1) بدليل اللهجة التي قدم بها " ابو يوسف " القاضي تقريره عن الوضع الاجتماعي في عهده ، حيث نصح الخليفة بالاستعجال في تطبيـــق الشريعة الاسلامية تجاه اهل الذمـة ضمانا لامن الدولة وللمحافظة على آثار السلف (2)

وتؤكد الروايات التاريخية ان الخليفة الرشيد قد امر بوضع مقترحات " ابـي يوسف " حول هذا الموضوع حيز التنفيذ مباشرة بعد تقديمها مما يبين حدة المشكلة واثرها على المجتمع العباسي (3) .

---

(1) — تسمى الاقليات المسيحية واليهودية في الدولة الاسلامية وفي التشريع الاسلامـي باهل الذمة او اهل الكتاب" واطلق عليهم هذا الاسم لان لهم عهد وذمة في رقاب المسلمين يدافعون عنهم ويحفظون لهم كرامتهم في دار الاسلام ، مقابل دفع هؤلاء الذميين " جزية " اي مقدارا من المال على كل رجل بالغ قادر على الدفع وهناك احكام وقوانين محددة يلتزم بها الذميون والمسلمون يتم بمقتضاها تحديد العلاقة بينهما انظر ، القرآن الكريم ، سورة المائدة آية 82 ، وسورة البقرة آية 120 ، يحي القرشي ، الخراج ، ص 79 — 82 ، البلاذري فتوح ، ص 60 ، 130 و ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج 4 ، 103 — 120 ، ، حسني حبشي ، اهل الذمة في الاسلام ، (عبارة عن ترجمة لعدة مقالات للمستشرق تيريتون التي كتبها في المجلة الشرقية الملكية في السنوات 1928 ، 1929 ، 1931) وجولد هير ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، اهل الذمة ، ج 3 ، ص 106 — 109 ، انو الرفاعي الاسلام في حضارته ونظمه ط 2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1402 هـ / 1982 م ، ص 256 — 264 .

(2) — راجع التفاصيل عند ابي يوسف ، الخراج ص 120 ومابعدها

(3) انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص 238 — 239 . و فليب حتي ، تاريخ سوريا ، ج 2 ، ص 168 .

ومهما يكن من امر ذلك فان نشاط البرامكة في الميدان الاجتماعي لا يتكافىء مع حجم الروايات التي تطنب في ذكر دورهم وتمجد اعمالهم • ولعل مرد ذلك يرجع الى ما كان عليه هؤلاء الوزراء من المكانة العلمية والى الدور الذي قاموا به في المجال الثقافي

واظن ان اهم ما ساعدهم على ذلك هو تحليهم برصيد هائل من العلم والثقافة يشهد لهم بذلك فطاحل الادب العربي وأئمة البلاغة من معاصريهم (1) ويبدو ان تحكمهم في اساليب الكتابة كان احدى اهم الادوات التي مكنتهم من الاستمرار في تمثيل الدور الهام في ادارة وسياسة الخلافة العباسيه •• فضلا عن انها وضعتهم في المقام الاول من بين الكتاب المترسلين من الذين صارت تروي رسائلهم في كتب الادب و البلاغة (2) •

ولم تثن الانشغالات السياسية عزم يحى البرمكي عن تعليم ابنائه اساليب الكتابة (3) كما كان يوجه كتابه ويتفرغ لهم احيانا ليمدهم بتعليمات اساسية حول طرق الكتابة فيدواوينه حتى كون منهم جهازا لا يشك في كفاءته الادارية (4) •

(1) ـ انظر ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، 58 ، ابن قتيبة ، العيون ، ج3 ، ص 30 ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 22ب

(2) ـ قال يحيى البرمكي ، (•••الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة وقدمها التسوية وجوارحها معرفة الفصول •••) ، الصولي ، ادب الكاتب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، بغداد ، القاهرة ، 1341هـ/ 1922م ، ص 41 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 25ب

(3) ـ من نصائحه الى ابنه (•••يابني انتق من كل علم شيئا فانه من جهل شيئا عاداه ، وانا اكره ان تكون عدوا لشيء من الادب ••••) الجهشياري ، الوزراء ، ص 202ـ 203 •

(4) ـ من اقوال يحى البرمكي الى كتابه (••• اذا استطعتم ان تكون كتبكم كالتوقيعات اختصارا فافعلوا •••) ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 201 •• ، ومنها ايضا (•• الناس يكتبون احسن ما يسمعون •••) ، انظر ابن عبد ربه ، العقد ، ج 1 ، ص 3 وابن قتيبة ، الامامة ، العيون ، ج 3 ، ص 130 ، وهناك نماذج عديدة صارت متداولة بين الكتاب والادب ، انظر ما اورده الجهشياري ، الوزراء ، ص 200ـ 203 • ، وابن بدرون ، قصيدة ، ص 238 •• ، الاتليدي ، اعلام الناس ، 114 .

وحسبما تجمع لدي من روايات الأحظ ان " جعفر " قد كان اكثر شباب البرامكة نجاحا في امتلاك ناصية اللغة والادب العربي اهلته ان يكون النديم المفضل في دار الخلافة ومحط اعجاب ائمة البيان العربي ، حتى جرت اقواله مجرى الامثال ، واتفقت الروايات على انه من اشهر الكتاب المترسلين في تاريخ الخلافة العباسية (1) .

بيد ان " الفضل البرمكي " وان كان هو الآخر على جانب لا يستهان به من الثقافة ، الا انه لم يصل مبلغ ما وصل اليه ابوه " يحى " واخوه " جعفر " ومع ذلك فقد ذكرته المصادر الادبية باعجاب وروت عنه بعضا من اقواله (2) .

ومهما يكن من امر ما بلغه البرامكة من العلم والمعرفة ، فالرائج انهم ساهموا في ادخال العديد من الانماط الثقافية واحداث بعض التحويرات الهامة في اساليب المراسلات السلطانية ، كما يعزى اليهم فضل تطوير اسلوب " التوقيعات " في الإدارة العباسية " (3) .

---

(1) — سئل جعفر ما البيان ؟ فقال (... ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ... ولا يستعين عليه بالفكرة والذي لابد منه ان يكون سليما كمن التكلف بعيدا عن الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل) ، تجد النص عند الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (ب ت) ج 1 ، ص 75 ، وابن قتيبة ، العيون ، ج 3 ، ص 173 .
ويلاحظ مما تجمع لدي من الروايات اشتراكها في الاعجاب بشخصية جعفر الادبية ويرجع ان يكون مصدر ذلك تأثر جعفر ببلاغة علي ابن ابي طالب وتتلمذ على يد القاضي " ابي يوسف " الذي اشرت اليه سابقا ، انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 325 — 326 . ، الصولي ، الاوراق ، ص 206 — 207 ، ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤنسة ، ص 100 ، الجهشياري ، الوزراء ص 204 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 123 — 128 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ، 65 ب .

(2) — تشيد اغلب الروايات التي تتحدث عن اقوال " الفضل البرمكي " بسيطرة طابع " الراي " ومشاورة اهله ، انظر ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص 1 ، مسكويه ، (ابو علي احمد بن محمد) ، الحكمة الخالدة ، تحقيق بدوي عبد الرحمن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1373 هـ / 1972 م ، ص 149 ، - احمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، القاهرة 1356 هـ / 1937 م ، ج 3 ، ص 182 ، نقلا عن اخبار المنظوم والمنثور ، ج 12 ، ص 267 .

(3) — التوقيعات ، تعني ما يكتب اسفل او على ظهر الورقة من اوامر واحكام بعد قراءات الطلبات والشكاوي من طرف المسؤولين ، وهي عادة اصبحت شائعة في اساليب الادارة الحديثة ، انظر ، الجاحظ ، البيان ، ج 1 ، ص 76 — 77 ، الصولي ، ادب الكاتب ، ص 40 ، 134 ، ابن قتيبة ، ادب الكاتب ، ط 4 ، مطبعة السعادة السعادة ، مصر ، 1382 هـ / 1963 ، ص 15 .

ومن الطبيعي ان تكون ثقافة البرامكة الواسعة وسلطانهم الكبير اهم الدوافع الى تشجيعهم العلوم والاداب ، وبغض النظر عن الابعاد التي وصلت اليها مساعيهم (1) فانهم قد مثلوا ادوارا هامة في الحياة الفكرية في عهد الخليفة هرون الرشيد ويأتي في مقدمة هذا الدور اشراف " يحى البرمكي " على مناظرة مجالس اهل الكلام (2) التي كانت تعقد باسمه وبحضور اغلب مثقفي ذلك العصر وخاصة كبار العلماء في هذا اللون من المعرفة (3)

ويروى ان " يحى البرمكي " كثيرا ما كان يكلف " ابا محمد هشام بن الحكم " احداق طاب المتكلمين الشيعة ليدير مجالسه (4)

---

(1) – انظر ما سيأتي

(2) – يقصد بهم عادة – الفلاسفة – والفلسفة في تاريخ الفكر الاسلامي تتصل نشأتها بفكرة " الحرية والاختيار " ، وقد تطورت مع تطور المجتمع الاسلامي حتى تكونت فرق ومدارس فلسفية ميزت الفكر العربي الاسلامي بمميزات خاصة ، والمؤكد ان هذا الفكر قد نال اهتماما كبيرا من طرف مفكرين قدماء ومحدثين ، انظر مثلا ، الشهرستاني (ابو الفتح محمد) ، الملل والنحل ، ط 2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1395هـ / 1975 ، ابن حزم (علي بن محمد) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، القاهرة ، 1317هـ / 1899م ، البغدادي (عبد القاهر) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، ط 4 ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، 1400هـ 1980م ، محمد عمارة ، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1392هـ 1972م صبحي الصالح ، النظم ، ص 150

(3) – منهم على سبيل المثال علي بن الهيثم احد ائمة المذهب الشيعي ، وابو مالك الحضرمي ، الخارجي المذهب ومحمد الهذيل العلاف ، شيخ البصريين وامام مذهب المعتزلة . انظر المسعودي ، مروج ، ج 3 ص379 – 381 . ابن النديم ، الفهرست ، ص 224 ،

(4) – هشام بن الحكم الشيباني (بالولاء) ولد بالكوفة لا يعرف تاريخ ميلاده . نشأ في مدينة واسط " وتعلم فيها ثم رحل الى بغداد حيث التزم بالاشراف على مجالس يحى البرمكي " الكلامية وقد نال منه الحظ كبيرا مما اهله ان يكون من كبار مؤلفي عصره ومن مؤلفاته كتاب الامامة ، (القدر) ، (كتاب الرد على المعتزلة في طلحة والزبير) وغيرها ولذلك يعد (هشام) من كبار منظري فرقة الامامية ومن اهم شيوخها انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 224 ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 380 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 8 ص 85

ولم يقتصر نشاط البرامكة على هذا اللون من المعرفة فحسب بل شجعوا ايضا مجالس الاداب واللغة ،حيث تشير الروايات الى ان " يحى البرمكي "كان يستدعي من الحين لآخر كبار النحويين وقتئذ من امثال " الكسائي " (1) ام النحو العربي، " سيبويه " (2) للمناظرة في مجالسه وقد روت بعض المصادر الادبية نماذجا منها . (3)

(1)ـ هو علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي (بالولاء) ،اشتهر بتمكنه في اللغة العربية وقواعدها ،حتى عد امام النحو والقراءة . ويروى انه اكتسب ذلك من خلال تنقله الكثير في بوادي العرب قبل اختياره بغداد مقرا دائما .. ،اتصل بالخلفاء العباسيين ومنهم " المهدي " الذي عينه معلما لابنه " الرشيد " ثم عينه هذا الاخير معلما لولديه " الامين والمأمون " ، وكان الرشيد يحضر بعض مناظراته النحوية لاعجابه بفصاحته وحسن بيانه .. ،وقد توفي بالري سنة 189هـ / 805م وكان صحبة الرشيد الذي قال عنه بعد ان دفن (... اليوم دفنت العربية والفقه بالري) . وقد ترك الكسائي عدة تآليف في ميدان تخصصه منها ـ كتاب " القراءات و " الحروف " و " المتشابه في القرآن " و " المصادر " وغيرها . انظر ، ابن خلكان ، وفيات ،جـ 1 ص 330، البغدادي ،تاريخ ،جـ 11، ص403 ابن كثير ،البداية ، جـ 10 ، ص 201ـ 202، الذهبي ، العبر ،جـ 4 ص302، واليافعي ، مرآة ،جـ 1 ص 421ـ 422 .

(2)ـ سيبويه (عمر ابن عثمان بن قنبر الحارثي ـ بالولاء ـ) ، 148ـ 180هـ / 765 ـ 796م ، ولد باحد قرب مدينة " سيراز " سكن " البصرة " ولازم كبار ائمتها ثم رحل الى " بغداد " وصار من اهم اعضاء مجالس الرشيد ووزراءه البرامكة ، اشتهر بمناظرته للكسائي ويعد سيبويه من الرواد في كتابة قواعد النحو وتيسيره للدارسين ،انظر ، ابن خلكان ، وفيات جـ 1 ص385، ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص176، الزركلي ،الاعلام ، ج 5 ص81.

(3)ـ انظر ،ابن النديم ،الفهرست ،ص224

ولم يكن دور " يحى البرمكي " في هذه المجالس يقتصر على التنظيم او الاستماع بل كان من اهم من ياخذون بتسيير المناقشات الى طريقها الجاد وكانت لـــه قضايا يدافع عنها ويفرضها كلما سنحت الفرصة لذلك (1) .

ولدي ما يؤكد مناصرة "يحى البرمكي" لمذهب " المعتزلة (+) وحماية دعاته في الخلافة العباسية زمن نفوذهم لدرجة انه تمكن من اقناع الرشيد من حسن الاستماع اليهم وتعليم ابنائه " الامين والمامون " ذالك (2) .

ومع تطور المجتمع العباسي وتنوع حاجته الى الثقافة والمعرفة كان علم الطب من اهم العلوم التي نالت الاهتمام الكبير من طرف الخلفاء والوزراء على السواء . وقـــد قام البرامكة بدور مشرف في تشجيع هذا الميدان حيث كان لهم "بير بيمرستان" (++) خاص بهم يشرف عليه اطباء اختصاصيون ، تجاوزت مهمتهم حدود معالجة المرضـــى

---

(1) ـ المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 246 ،

(+) ـ المعتزلة ـ اسم لفرقة دينية فلسفية ، تزعمت الانفصال لا عن مذهب اهل السنـــة ونقطة ابتدائ امرها كانت حول فكرة الاختيار وحرية الارادة الانسانية فكانت بذلك اكثر الفرق الحاحا على استعمال العقل على خلاف مذهب اهل السنة ، ومن للوجهة السياسية صارت فرقة المعتزلة تمثل المعارضة ضد الخلافة الاموية ومن بعدها الخلافة العباسية لتبنيها مذهب اهل السنة . انظر ، محمد عمارة ، المعتزلة ، ص 13 ـ 105 ولنفس الكاتب ، التراث في ضوء العقل ، ط 1 ، دار الوحدة ، بيروت ، 1400 هـ / 1980 م ، ص 135 ـ 136 . وللمزيد عن هذا الموضوع ، راجع قائمة الابحاث حول المعتزلة التي قام بها المستشرق " كارلو الفانسو" التي ترجمها عبد الرحمن بدوي ونشرها ضمن مجموعة عنوانها ، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ط 4 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1400 هـ / 9 1980 م ، ص 173 ـ 217 .

(2) ـ انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 223 ، الكتبي ، الوافي ، ج 3 ، ص 219 .

(++) ـ البيمارستان ـ يقصد به المستشفى .

الى الاعتناء بالمصادر الطبية ترجمة وتفسيرا (1)

وعلى نحو ماانتقى البرامكة المغنين والجواري على نحو ما يلاحظ عنهم في اختيار العلماء والادباء ، ويحتل الكاتب الشهير وقت ذاك وهو " محمد بن الليث (+) الصف الاول في ديوان كتابهم بتأليفه كتابا خاصا في الادب العربي – لا يعرف عنوانه تقول الروايات انه اهداه لـ "يحى البرمكي" (2) .

ومن بين المنقطعين الى البرامكة " جابر بن حيان " احد كبار الشيعة المهتمين بشوءون الفلسفة والتأليف في فروعها (3) .

ويرجح ان يكون لـ " يحى البرمكي " دور في تشجيع اولى مراحل ترجمة الكتب "الارسطوطالية " الى اللغة العربية (4) .

---

(1) – يروى ان يحى البرمكي قد طلب من احد كبار اطباء الهند تفسير كتابهم المسمى سسرد " واختصاره ليقوم مقام الدليل الطبي ويكون في متناول كل مريض بالبيمارستان انظر ، الجاحظ ، البيان ، جـ 1 ، ص 67 ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 305 ، 360

(+) – محمد بن الليث الخطيب ، يكنى بـ " ابا الربيع " ، من اشهر تآليفه كتاب " الخط والقلم ، كتاب عظة هرون ، وغيرهما ، انظر ، ابن النديم ، نفس المصدر ، ص 134 ،

(2) – ابن النديم ، الفهرست ، ص 134 .

(3) – عن تفاصيل تآليفه راجع ، ابن النديم الفهرست ، ص 420 وما بعدها .

(4) – نسبة الى ارسطوطاليس ، الفيلسوف اليوناني المشهور الذي نالت موءلفاته اهتماما كبيرا من قبل المسلمين عند قيامهم بحركة الترجمة الى اللغة العربية ، واخبار هذا الفيلسوف كثيرة لا أرى مجالا لسردها ، هنا انظر ،

- R. WALZER, EIe ,ART (Aristo),T1.PP651- 654 .

وبالنظر الى ما تجمع لدي من الروايات يمكن القول ان لـ "يحي البرمكي" الدور الفعال في تشجيع الحركة الفكرية في الخلافة العباسية زمن الرشيد وهذا بالقياس لما يروى عن بقية البرامكة (1) •

ومع ذلك فلا يمكن نسبة كل المشاريع الفكرية اليه لأن الرجل اعتاد مشاركة ابنائه في كل مشاريعه ، بيد انه من الصعب قبول الرواية التي تزعم ان " جعفر البرمكي " كان يدفع لكل مترجم وزن الكتاب المترجم ذهبا (2) ، لأن هذه الفكرة تنسب الى العديد من ملوك وامراء العصور الوسطى •

ومهما يكن فالرائج ان البرامكة لم يشجعوا لونا واحدا من الوان المعرفة كما انهم لم يقتصروا على الاستعانة بالكتاب والادباء الفرس كما هو الشائع (3) ذلك انهم كانوا لا يترددون في الاستفادة من كفاءة وخبرة كل مثقفي عصرهم

---

(1) — ينسب الى " محمد بن خالد البرمكي " تكليفه لبعض المترجمين بتعريب وتفسير كتاب "زيج بطليموس" الذي لا يعرف عنه غير اهتمام الفرس به وبترجمته الى لغتهم من اليونانية القديمة ؟ ، انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص305 •

(2) — جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص200 •

(3) — ادخل البرامكة العناصر العربية تمويها للمشاريع الشعوبية التي كانوا يعملون على احيائها في الحضارة العربية الاسلامية ، ومن بين العناصر العربية التي كانت تتعاون مع البرامكة قبل اكتشافهم لمخططهم الهدام • ، الامام " الاصمعي " امام اللغة والادب ؟ ، وابو شبل العقيلي ، انظر ما سياتي • ،

فالاصمعي مثلا ، رغم عروبته الصريحة وستنكاره لسياسة البرامكة في المجال الاجتماعي والثقافي فيما بعد (1) قد كان على اتصال بهم (2) ، وسجل عنهم الكثير من انماط حياتهم ونشاط مجالسهم ، تعبر في نظر بعض المؤرخين من اهم ما يمكن الاعتماد عليه في الحديث عنهم (3) .

وفضلا عن ذلك فقد تمتع البرامكة بحرية تامة في ارسال من يرغبون في البعثات العلمية لدراسة عادات الشعوب المجاورة ودياناتها بهدف نقلها الى المجتمع العباسي المسلم فيما بعد (4) .

وفي سبيل تحقيق ذلك عمل البرامكة على تنشيط وسيلتين هامتين كان لهما الاثر في تطوير الثقافة في الدولة الاسلامية .

---

(1) ـ انظر الفصل القادم ، البرامكة بين الشعوبية والزندقة .

(2) ـ اشاد الاصمعي بنشاط جعفر البرمكي في قضية ولاية العهد لصالح المأمون التي اشرت اليها سابقا . حيث قام يمدحه بقصيدة رائعة ، من بحر متقارب ، جاء في مطلعها ـ

أَضَافَ إِلَى بَيْعَةٍ بَيْعَةً فَقَامَ بِهَا جَعْفَرٌ وَحْدَهُ

بَنُو بَرْمَكٍ أَسَّسُوا مُلْكَهُ وَشَدَّ وَالْوِزَارَةَ عَقْدَهُ

انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 206

ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 67 ب

(3) ـ انظر القمي ، الكنى والالقاب ، ج 2 ، ص 32 ـ 35 .

ابن المعتز ، الطبقات ، ص 213 ـ 214

ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 127 ، 128

(4) ـ راجع ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 409 .

فحتى عهدهم كانت الوسائل المستعملة في نسخ الكتب وتنقيح الترجمات تقتصر على صفائح الرقوق الجلدية ، فساهم البرامكة في ادخال صناعة الورق التي تعتبر مادة اولية للثقافة مما مكنهم من ايجاد الفرصة لدفع حركة التأليف والنشر وقتذاك (1) .

والى جانب ذلك ساهم البرامكة في تكوين المؤسسة العليا للثقافة المسماة في ذلك الوقت بـ " بيت الحكمة " ، ولئن كان يحيط بهذا المشروع الحضاري العام نوع من الغموض لقلة الاشارة اليه في المصادر المعتمد عليها الا ان المرجح ان تكون نواتها قد تأسست في عهد البرامكة ثم تطورت بشكل واضح بعد ذلك (2) .

ويبدو ان هذا الانفتاح الثقافي الذى مارسته هذه الاسرة قد سجل ارتياحا كبيرا لدى الطبقة المستنيرة وقتئذ فعملت على تعزيز الاتصال بهم والدخول في خدمتهم .

---

(1) — من المتفق عليه ان هذه الوسيلة الحضارية قد عرفت تطورا هاما لما قدمته من خدمات للمجتمع الاسلامي المتعطش لاقتناء الكتب ودراستها ، حتى ان مهنة الوراقة التي تشبه مهنة " دور الطباعة " في العصر الحالي قد نمت في ذلك العهد ، انظر ،
ابن خلدون ، المقدمة ، ص 422 .
القلقشندي صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 486
هملتون جب ، دراسات ، ص 269
موريس لومبار ، الاسلام ، 283 — 284 .

(2) — يدل على ذلك ماتردده اغلب الروايات عندما تتحدث عن نباهة كاتب او نشاط مؤلف او مترجم في صف البرامكة دانه كان ، "كاتبا في بيت الحكمة" وحول هذا الموضوع الطريف في الحياة الفكرية للخلافة العباسية ، انظر ،
احمد امين ، ضحى الاسلام ، ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1392هـ 1972م ، ج 2 ، ص 61 .

ويأتي في طليعة هؤلاء طبقة الشعراء التي التفت حول البرامكة افرادا وجماعات تحدوهم في ذلك المصلحة المشتركة .

فالبرامكة لم يبخلوا على هؤلاء بكرمهم المعهود (1) ، مقابل ما كان الشعراء يذيعونه مما هو دعاية تعزز استمرار نفوذهم و تبرئ ساحتهم .

ولما كان الشعر وقتذاك هو السلاح الاعلامي ذو الفعالية القوية في التأثير على الرأي العام ، فقد عمد البرامكة الى جعله في خدمتهم طيلة فترة نفوذهم (2) .

وتكاد تجمع الروايات على ان هذه الاسرة قد تمكنت من استمالة العديد من كبار شعراء العصر ، ويأتي في مقدمتهم الشاعر " اشجع السلمي " الذي كان يعد من بين فحول شعراء عصره ، وقد انقطع البرامكة يمدحهم ، وكاد يختص " جعفر " منهم خاصة لاسرافه في الاحسان اليه وتقريبه اليه حتى انزله منزلة الاخ على حد تعبير بعض الروايات (3) .

(1) — شكا احد شعراء الخليفة الرشيد — مروان بن ابي حفصة — لأحد معارفه من ان البرامكة اعطوا لشاعرهم — ابان بن لاحق — من اجل قصيدة واحدة ، ما يعادل حصيلة ما اخذه هو من الخليفة طيلة المدة التي قضاها في مدحه .. انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص 6

(2) — قبل ان يقدم البرامكة على تكوين مجلس دائم للشعراء الموالين لهم كانوا قد كلفوا احد الرواة العرب — غير المعروفين — بالتأليف في هذا الموضوع ، فكتب لهم كتابا خاصا ، اطلق عليه عنوانا ، "كتاب الشعر والشعراء" . انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 53 .

(3) — توفي هذا الشاعر عام 195 هـ / 810 م ، وقد نال تقديرا كبيرا من طرف معاصريه لشهرة شاعريته الوسعة . ، وقد عد من الرواد الاوائل في الشعر العربي ، حول تفاصيل اخباره . ، راجع ،
ابن المعتز ، طبقات ، ص 250 — 253 ،
الاصبهاني ، الاغاني ، ج 18 ، ص 212 — 252 .

وبغض النظر عن اغراض شعره وميوله في قصائده الكثيرة (1) فان
أهم ما يعني به في هذا المجال هو مايتعلق بموضوع البرامكة ونظرته
اليهم ، حتى تؤخذ عنه صورة لما يريد هذا الشاعر ايصاله الى المجتمع
العباسي عنهم . حيث قال فيهم قصيدة من بحر " السريع ، جاء فيها ،

وَكُلُّ بَذْلٍ زَكَتْ مَنَاسِبُهُ فَهُوَ إِلَى البَرْمَكِيِّ مَنْسُوبُ (2)

وفي قصيدة أخرى يفيد ان ما خلق الله " جعفر البرمكي " الا للكرم ، حين مدحه بقصيدة
من مجزوء الرمل ، ورد فيها البيتان التاليان ـ

خَلَقَ اللهُ يَحْيَى لِلحِجَا والمَكْرُمَاتِ
وَجَعَلَ اللهُ يَدَيْهِ بِالمَنَايَا والصِّلاَتِ (3)

وفي اخرى في نفس الغرض من بحر السريع ، يقول

يَافَاخِرًا بِالجُودِ مُسْتَعْلِيًا بِجَعْفَرٍ يَفْتَخِرُ الجُودُ (4)

---

(1) ـ تناول هذا الموضوع أديبان معاصران ، هما احمد كمال زكي ، الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ، مصر ، 1391هـ / 1971 ص 448ـ 419 ، اعتمد اعتمادا على كتاب الاوراق للصولي . ومصطفى الشكعة ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ط 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1399هـ / 1971م ، 404 ، اعتمادا على كتاب الاغاني للاصبهاني .

(2) ـ القصيدة في 16 بيتا تجدها كاملة عند الصولي ، الأوراق ص 93 ،

(3) ـ الصولي ، الاوراق ص 70

(4) ـ الصولي ، الاوراق ، ص 96

ويكاد يقتصر هذا الشاعر على مدح " جعفر البرمكي " والاشادة بفضله على الخلافة العباسية رغم ما في مدائحه من مبالغة واضحة . فحين عاد " جعفر " من اول خروج له الى بلاد الشام للقضاء على الفتنة التي استفحلت بها (1) ، استقبله الشاعر استقباله لفاتح عظيم ، حيث يقول في قصيدة طويلة من بحر الطويل ،

بِهِ الْتَأَمَ الصَدعُ الشَّامِيُّ والْتَقَتْ قَبَائِلُ قَدْ كَانَتْ شَتَاتاً امُورُهَا

رَأَيْتُ ابنَ يَحْيَى فِي الامُورِ اذَا الْتَوَتْ يُشِيرُ عَلَى الجَلِيِّ ولَا يَسْتَشِيرُهَا

ويبالغ " اشجع " في مدح " يحى البرمكي " حين يستهين بالموت حين تنشأ بعد شفاء سيده من مرض ألم به . ، حين قال من بحر الوافر ـ

إِذَا مَا المَوْتُ اخْطَاهُ فَلَسْنَا نُبَالِي حَيثُ غَدَا وَرَاحَا (3)

ولم يكتف الشاعر " اشجع " بذكر محاسن البرامكة بل صار يدافع حتى عن اخطائهم التي كانوا يرتكبونها في حق الدولة . ، ومن ذلك ما جاء في مطلع احدى قصائده من بحر الوفر ، البيتان التاليان ـ

نِعمَ يَدُ بَيضَاءَ اسْلَفْتَنَا مِنْ بَعْدِ مَاجُزْتَ بِهَا الفَرْقَدَا

قَدْ اكْثَرَ النَّاسُ اِتَاوِيلَهُمْ وَفَلْسَفُوا فِيكَ وَفِي احْمَدَ (4)

---

(1) ـ انظر الفصل الرابع : دوراسرة البرامكة في المجال السياسي ،

(2) ـ الصولي ، الاوراق ، ص79 . ، وكان هذا الشاعر قد مدحه بقصيدة اخرى في نفس الموضوع جاء في مطلعها من بحر " السريع "

كانت طُغَاةُ الشَّامِ قَدْ اكْثَرَتْ إِنْتَاجُهَا الحَرْبَ واكْفَاحَهَا

مُشْعَلَةٌ فِي غَيِّهَا حِقْبَةً غَامِسَةً فِي المَوْتِ ارْمَاحَهَا

وبين بعد ذلك ان " لجعفر البركي " الفضل الكبير في ايقاف هذه الفتنة ولذلك كان جديرا بالمدح والاشادة باعماله . ، انظر ، القصيد " كاملة عند الازدي ، تاريخ ، ص286

(3) الصولي ، الاوراق ، ص101 ـ 102

(4) ـ واحمد هذا هو " احمد بن يزيد " والي ارمينية من قبل " يحى البرمكي " ، الذي رفضه سكان هذه المدينة واليا عليهم . ، ورجموه بالحجارة لسوء سياسته فتدخل " يحى البرمكي " لانقاذه . انظر الازدي ، تاريخ ، 295 .

ويحتل الشاعر " الرقاشي " مكانة بارزة ضمن شعراء البرامكـــةلاعجابهـم به ،وبأسلوبه وحسن مدائحـــــهحتى انهم فرضوا على ابنائهــــمقراءة وحفظ بعض قصائده في مـــــدحهم (1) .

والظاهر ان الشاعر قد كرس جهده لهم ونصب نفسه بوقا لمدحهم في الكثير من المناسبات .. بيد انه من الصعب تصديق الرواية التي تفيد بانه وجد له ديوان خاص بمدحهم بلغ تعداد ابياته الف بيت عدت آية في البلاغة والبيان (2) .

ومن القصائد التـــــي يمدح فيها اسرة البرامكة ،قولـــهفي مطلع احداهن من مجــــزوء البسيط " ـ

قَالَتْ بَنِي بَرْمَكٍ وَقَدْ صَدَقَتْ   انَّ قَرِيحَ السَّمَاءِ مُوسَاهَا
خَالِدُهَا فِي الوَغَى إِذَا اسْتَعَرَتْ   وَفِي التُّقَى وَالعَفَافِ يَحْيَاهَا (3)

وفي قصيدة له يمدح فيها موسى بن يحيى البرمكي " ،يقول ـ

كَتَبَتْ هِنْدٌ مَقَامُكَ عَنَّا   لَكَ حَوْلَ مُذْ انْتَعَنَا مُقِيمُ
قُلْتُ لاَ اسْتَطِيعُ تَرْكَ   بِلاَدٍ حَلَّ فِيهَا مُوسَى بن يَحْيَى الكَرِيمُ (4)

---

(1) ـ الرقاشي . هو الفضل بن عبد الصمد ،من اهل البصرة ،مركز الاشعاع الفكري وقتئذ . ،وسمي بالرقاشي ، " لمولاته رقاش بن ربيعة " . ،ويعد هذا الشاعر من فحول شعراء عصره . ،توفي في حدود عام 200هـ/ 815م ،انظر الكتبي ،الوافي، ج 3 ،ص183

(2) ـ جميل نخلة المدور ،حضارة ،ص170 ـ 171

(3) ـ ابن المعتز ، طبقات ،ص 435

(4) ـ القصيدة من بحر " الخفيف " ،ل أوردها . ،ابـــن المعتز ،طبـــقات ، ص436 .

ومن الشعراء الذين كانوا يترددون على مجالس البرامكة ، الشاعر " مروان بن ابي حفصة " (1) الذي ابتز منهم مبلغا قدره " 7000 الف درهم " مقابل بعض الابيات التي قالها في مدحهم في مناسبات مختلفة . ، ومن ذلك لاميته الشهيرة التي بلغت آية في المدح ،. جاء في مطلعهـــــا " من بحر الطويل " -

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الجُـــــــوَدَ مِن لَدُن آدمٍ تحدَّرَ حَتَّى صَارَ في رَاحَةِ الفَضْلِ
إذَا مَا امْ طِفلٍ رَاعَهَا جُوعُ طِفْلِ لـــــــا دَعَتْهُ بِاسْمِ الفَضْلِ فَاعْتَصَمَ الطِّفْلُ
إذَا مَا أبُو العَبَّاسِ رَاحَتْ سَمَا ؤهِ فَيَــــا لَكَ مِـــن هَطْـــلٍ وَيَالَــكَ مِن وَبْلِ (2)

ويكاد الشاعر (مروان " يسجل تاريخا مجيدا للبرامكة من خلال مدائحه التي كانت اغلب مشاريعهم بالذكر ترويجا لسياستهم وامعانا في نشرها بين الناس . ز فعند نجاح الفضل البرمكي في تكوين جيش العباسية وجد في قريحة هذا الشاعر خير سند يعتمد عليه في ابلاغ الراي العام ، وذلك حين مدحه ببائيته المشهورة اخترنا منها الابيات التالية -

---

(1) - مروان بن ابي حفصة ، (105 - 182 هـ / 723 - 798 م) اختص بمدح الخلفاء العباسيين ، وكبار رجال دولتهم نال من خلال هذا العمل ثروة طائلة ، اخباره ليس مجالنا هنا . ز انظر ، المرزباني ، (ابوعبد الله محمد بن عمران) معجم الشعراء ، تحقيق ف . كرنكو مكتبة القدسي " القاهرة 1354 هـ / 1935 ص 396 - 397 . ابن خلكان ، وفيات ، ج 2 " ص 89 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 153 ا - 154 ب
(2) - الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 258 ، الازدي ، تاريخ ، ص 281

مَا الفَضْلُ الَّا شِهَابٌ لَا افُولَ لَهُ عِنْدَ الحُرُوبِ اذَا مَا تَأفُلُ الشُّهُبُ
حَامٍ عَلَى مُلْكِ قَوْمٍ عَزَّ سَهْمَهُمُ مِنَ الوِرَاثَةِ فِي ايْدِيهِمْ سَبَبُ
كَتَائِبٌ لِبَنِي العَبَّاسِ قَدْ عُرِفَتْ مَا الَفَ الفَضْلُ مِنْهَا العَجَمَ والعَرَبُ (1)

ويروى ان الشاعر " مروان " قد ترك مدح الخليفة الرشيد ليتفرغ الى مدح الفضل البرمكي لكثرة ماكان يعطيه من اموال على كل قصيدة يمدحه فيها (2) .

ولذلك عدت مدائحه في الفضل بانها بلغت قمة معاني المدح حيث جعلت هذا البرمكي يفوق العرب كرما (3) .

ويبدو ان الشاعر " سلم الخاسر " (4) ، لم يكن كبقية شعراء عصره التصاقا بمجالس البرامكة ، ومع ذلك اغروه بالمنح حيث نجحت حاولتهم في مدحهم (5)

---

(1) — القصيدة من بحر " البسيط " ، تجدها كاملة عند : الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 258 .

(2) — تقول الرواية ان الشاعر قد نال من " الفضل " مكافأة قدرها 700 درهم " ، على قصيدة مدح قالها في مناسبة جمعته به ، انظر الطبري ، تاريخ ج 8 ص 258

(3) — منها قصيدة من بحر " الطويل " يقول فيها ،

تَخَيَّرْتُ للمَدْحِ ابنَ يَحْيى بنِ خَالِدٍ فَحَسْبِي وَلَمْ اظْلِمْ بِأَنْ اتَخَيَّرَا
لَهُ عَادَةٌ انْ يَبْسُطَ العَدْلَ والنَّدَى لِمَنْ سَاسَ مِنْ قَحْطَانَ أوْ مَنْ تَنَزَّرَا

تجد القصيدة كاملة عند الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 258 .

(4) — يروى انه اكثر الشعراء نجاحا وبراءة مما ينسب لشعراء البرامكة من مجون ولهو رغم ان بعض الروايات تصر على اتهامه كغيره بالاستهتار بمقومات الاخلاق وتروي على ان اصل تلقيبه بالخاسر ونسبة الى بيعه اهم ما يكسب " كتاب القرآن " ليشتري بثمنه كتاب شعر ، اتصل بالبرامكة بعد ان مدح الخلفاء العباسيين مدة طويلة (163 هـ 186 هـ / 779 — 802 م) وحول تفاصيل هذا الشاعر وانتاجه ابن المعتز ، طبقات ص 99 ومابعدها الاصبهاني ، الاغاني ج 19 ، ص 261 288 . ابن كثير البداية ، ج 10 ، ص 180 ، ويقول ابن النديم في كتاب الفهرست ص 162 ، (ان للشاعر "سلم الخاسر " ديوانا يقع في 150 ورقة وقد تمكن احد المستشرقين من جمع 60 مقطوعة تضم 289 بيتا) انظر ، غوستاف فون غرنباوم ، شعراء عباسيون ، ترجمة وتحقيق ، محمد يوسف نجم منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959 م ، ص 19

(5) — اظن ان اول قصيدة مدح قالها في البرامكة ، هي التي يشيد فيها بسيطرتهم على ادارة الخلافة العباسية ، حين يقول من بحر " الوافر "

إذَا مَا البَرْمَكِي غَدَا ابْنَ عَشْرٍ فَهِمَّتُهُ امِيرٌ اوْ وَزِيرُ

انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 54 ب

حتى وصل به الحال الى وضعهم في المقام الاول من حيث العطاء وبذل الاموال حيث قال في قصيدة من بحر " الوفر " جاء في مطلعها —

وَكَيفَ تَخَافُ مِـنْ بُؤسٍ بِدَارٍ　　تَكَنَّفَهَا البَرَامِكَـةُ البُحُـورُ
وَقَومٌ مِنهُم الفَضْلُ بنُ يَحْيى　　نَفِيرٌ مَا يُوَازِيـهِ نَفِيـرُ (1)

ولمعت شاعرية "إبان اللاحقي " الفارسي الاصل" باتصاله بالبرامكة حيث افنى حياته في خدمتهم والسهر على مطالبهم، ولئن اشتهر الرجل كمترجم او منظم لتراث الفرس القديم ، الا انه تكسب بالشعر ايضا حين احس بميل اسياده البرامكة الى المديح افتخارا امام اعيان القوم ووجهائهم فاندفع في تنظيم قصائد باللغة الاسلوب يتعذر وجودها لدى غيره من الشعراء (2) ، ومنها القصيدة التي يجعل فيها " ابان " هذه الاسرة الفارسية الاصل في المقام الاول بدل الخلفاء حين يقول —

أَكْرِمْ لِبَرْمَكَ وَالِدًا　　وَمِنَ البَنِينَ بِمَا نَجَلْ
لَا نَبْتَغِي بَدَلًا بِهِمْ　　أَبَدًا وَأَيْنَ البَـدَلْ (3)

(1) — تجد القصيدة كاملة عند الطبري ، تاريخ جـ 8 ، ص 158، و ، ابن الوكيل احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ، 54ب
(2) — انظر الصولي ، الاوراق ، ص 13 — 19
(3) — القصيدة من "بحر مجزوء الكامل " تجدها كاملة عند الصولي ، الاوراق ، ص 13

وحظي " الفضل البرمكي " بهذا الشاعر الذي اتحف حفل استقباله من طرف الرشيد بعد استدراج العلوي " يحى ابن عبد الله " (1) ، فقال قصيدة من بحر الطويل ، يخاطب " الخليفة " ويمدح " الفضل —

أَتَاكَ بِيَحْيَى الفَضْـــلُ سِلْماً يَقُودُهُ   مِقَرّاً وَلَولاَ يُمْنُ جَدِّكَ مَا اَقَـــرّ

لَئِنْ كَانَ يَومُ الفَضْـــلِ شَقْرَا   لاَكْرِمْ بيَوْمٍ مِنْـــهُ افْنَى بِهِا الخَـــزَرَ (2)

والظاهر ان اخلاص الشاعر غير المشكوك فيه لهذه الاسرة التي عاش في جوها وتحت رعايتها الى جانب ما قدمه من ترجمات ومدائح ، قد كانت سببا في ارتياح البرامكة له فعينوه مديرا لشؤون بقية الشعراء ، يقيّم قصائدهم ويوزع عليهم المكافآت والجوائز تبعا لجودة مدائحهم ودرجة بلاغتهم وحسن ايقاعها في نفسية اسياده البرامكـــة (3) .

---

(1) — انظر الفصل الرابع من هذا البـــــحث

(2) — الخزر : هم سكان المناطق الشرقية على حدود ما وراء النهر ، كانوا دائمي الصراع مع الفضل بن يحي وغيره من الامراء خلال حكم العديد من الخلفاء العباسيين ، والقصيدة طويلة تجدها كاملة عند الصولي ، الاوراق ، ص19 ، تحتوي على ثمانية ابيات ، وقصيدة اخرى في نفس الموضوع ، ص 20 ، تحتوي على خمسة ابيات ، واخرى في نفس المناسبة ص20 — 21 ، تتضمن 18 بيتا

(3) انظر ابن عبد ربه ، العقـــــد ، ج 4 ، ص 203 — 204 .
ابن المعتز ، طبقـــــات ، ص240
الجهشياري ، الوزراء ص 211 .

وفكرة تعيين شاعر موالي مديرا لبقية الشعراء فكرة جديدة في الحياة الثقافية الاسلامية ، وكان من المنطق ان تنسب مثل هذه الاعمال الحضارية الى الخليفة الرشيد لأن وزراءه البرامكة كانوا يتصرفون باسمه لكن طموح هذه الاسرة ورغبتها في المجد لم يمكناها من الوقوف عند حدودها (1) .

والواضح ان فكرة البرامكة هذه لم يكن القصد منها وضع نواة لتكوين اتحاد للشعراء من اجل تطوير هذا الفن كما يتبادر الى الذهن ، ويدل على ذلك اقتصارهم على من توسموا فيهم الولاء التام لهم ، فضلا عن تكليف شعرائهم وتشجيعهم على جانب واحد من اغراض الشعر ، وهو المدح ، الذي صار الاتجاه الشعري المفضل وقت ذلك فذلك انه بقدر ما زادت اعطيات البرامكة لهذا الغرض بقدر ما جادت قرائح الشعراء فيه وتقاطروا على قصور البرامكة وتزاحموا امام ابوابهم ، ومن هؤلاء الشاعر "محمد بن مناذر" (2) المعروف في المصادر الادبية باسم " شاعر البرامكة " فقد مدحهم برائيته الشعيرة التي

---

(1) ـ سيكون لطموحهم هذا اعراض خطيرة على مستقبل تطور الحياة الاجتماعية والثقافية للخلافة العباسية . انظر ، ما سياتي

(2) ـ يكنى ايضا بـ " ابي جعفر " وهو من كبار شعراء عصره تتلمذ على يده كثير من الشعراء العباسيين ، انظر تفاصيل اخباره عند ،
الاصبهاني ، الاغاني ، ج 18 ، ص 169 ـ 211
جورجي زيدان ، تاريخ الادب العربي ، ج 2 ، ص 307

تطري صفات البرامكـــــــة وتطنب في الحديث عن جودهم وكرمهـــم (1)

ورغم شهرة الشاعر " ابي نواس " (2) الا ان حظه من الاتصال باســـرة البرامكة يبدو قليلا ، وهي ظاهرة نادرا ما كانت تحدث في عهدهم ، اذ المعروف عنهم تخطف ايـــــــديهم كل من توسموا فيه الولاء الا مع الشاعر " ابي نواس " .

والظاهر ان المنافسة القائمة وقتذاك بين الشعراء كانت احدى اهم اسبـاب ابتعاد الشاعر ابي نواس عن مجالس البرامكة ، هذا الى جانب ما كان بينه وبين الشاعـــر

(1) ــ يقول فيهم ، قصيدة من بحر " الطويل " جاء في مطلعها ــ
أتنا بَنُو الاملاك مِن آل بَرْمَـــكِ   فَيَاطِيبِ اخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْـــظَرِ
تجد القصيدة كاملةً عند كل من الاصبهاني ، الاغاني جـ 18 ، ص 201 ، و
ابن خلكان ، وفيات ، جـ 6 ص 224 .

(2) ــ هو الحسن بن هاني ولد بالاهواز سنة 130هـ / 747م ، علم من اعلام فحول الشعر في العصر العباسي الاول ، تسيد المصادر الادبية والدراسات الحديثة بشاعريته الخصبة ، لذلك يوصف بانه اهم من يمثل عصره بدقة واخباره كثيرة وقد اشتهر بالخمريات ، وصار له ديوان شعر ضخم طبع عدة مرات انظر
ابن النديم ، الفهرست ، ص 182
ابن عساكر ، تاريخ ، جـ 4 ، ص 252 ومابعدها و ، عمر فاروق ، ابو نواس ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، 1351هـ / 1933م هنا وهناك و

- BROKHELMEN , EIE ,ART, (Abou-Nouasse),t1,pp415-416.

ابان " مـــــد ير مجالس البرامكة الشعرية من معارك هجاء عنيفة تسببت في انقطاعـه عنهم فيما يبدو (1) ،

على ان هذا السبب وحده لا يجعل البرامكة يستغنون عن خدمات شاعر كبير مثل ابـــي نواس ، كما انهم كانوا غير عاجزين عن التوفيق بين الشاعرين والاحتفاظ بهما معا ولذلك يمكن القول ان قضية ابعاد هذا الشاعر عن بلاطهم لا تاخذ بـــعدا اعمق يتصل بمشاريع هذه الاسرة الخطيرة فقد اشتهر " ابونواس " في اوساط المجتمع البغدادي بدعوتـــه الصريحة الى المجون واللهو ، وقصائده الكثيرة توحي باسرافه الشديد في وصـــــف المحرمات التي لا تتماشى مع مقومات المجتمع الاسلامي ، فضلا عن تهجمه الصارخ ضــد العنصر العربي ونضج الفكرة الشعوبية لديه حتى ان الخليفة الرشيد قد اهدر دمـــه اكثر مـــــــن مرة (2) .

فكان من الطبيعي ان يتخذ البرامكة منــــه موقفا محايدا حفاظا على مكانتهم وحتى لا تثار الشكوك حولهم اكثـــــر في وقت كانوا يحسون فيه باصابع الاتهام تتجـــه

---

(1) ـ انظر : ابن المعتز ، طبقات ، ص 202 ـ 203 ، و ، شوقي ضيف ، الفن ومذاهبـه ط 10 ، دار المعارف بمصر القاهرة ، 1398 هـ / 1978 م ، ص 158

(2) ـ الدراسات حول هذا الشاعر قد اشبعت بحثا واغلبها لا تبرئ ساحته من تهمته بالزندقة والالحاد ، فضلا عن سدة شعوبيته ضد العرب ، هذا رغم اعتراف هذه الدراسات بابداعه الفني في ميدان الشعر العربي ، انظر ،
عمر فاروق ، ابو نواس (جزآن ، هنا وهناك) ، انيس المقدسي ، امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص 1 ، المطبعة الادبية ، بيروت 1392 هـ / 1972 م ،
شوقي ضيف ، الفن ، هنا وهناك ، محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1389 هـ / 1369 م
الفصل القادم من هذا البحث .

تتـــــــــــــجه نحوهم شيئا فشيئا (1) •

ومع ذلك فان رغبة البرامكة في احتواء كل لسان يمكندان يمدح قد انستهم التستروالمحافظة على شعور الآخرين ،اذ ما لبثوا ان عززوا اتصال "ابي نواس" بهم حين اغروه كعادتهم بالاعطيات والمنح المرتفعة ليستلوا من قريحته قصائدا بلغت آية في المدح (2) •

ومنها قصيدته في بحر " الكامل " يقول في مطلعها —

إنَّ البَرامِكَةَ الكِرامَ تَعلَّموا   فِعْلَ الجَميلِ وَعلَّموهُ النَّاسَ

وَإذا هُمو صَنَعوا الصَّنائِعَ فِي الوَرَى — جَعَلوا لَهَا طُولَ البَقاءِ أَساسَا (3)

كانت تلك الابيات بعضا من كل قيل عن اسرة البرامكة ،القصد من ايرادها اخذ صورة عن مبلغ قيمة هذه الاسرة في نظر الشعراء الذين اراد منهم البرامكة ان يكونوا لسانهم وصوتهم الى مسامع افراد المجتمع العباسي •

---

(1)— انظر ،الفصل الثامن من هذا البحث ،

(2)— انظر ديوانه ،ومنها قوله في احدى قصائده من بحر " الطويل " —

أَميرٌ رَأَيتُ المَالَ في حُجُراتِهِ   مَهيناً ذَليلَ النَّفسِ بِالضَّيمِ مُوقِنا

إِذا ظَنَّ رَبُّ المَالِ ثَوبَ جُودِهِ   بَكى عَلى مَالِ الأَميرِ وَأَذَّنا

انظر ،ابن الوكيل ،احسن المسالك (مخطوط) ،ورقة 45ب

شوقي ضيف ،الفن ،ص 162— 163

وقائمة الشعراء الذين استمحواهم مدح البرامكة والسير في فلكهم طويلة لأسباب سبقت الإشارة اليها ، ولا حاجة للاستدلال بمدائحهم (1) لاشتراك اغلبها في غرض واحد من اغراض الشعر وهو المدح المبالغ فيه ، بشكل يجعل السكوت عنه اهون من ذكره

---

(1) — من بين هؤلاء الشعراء ، (ابو النضير عمرو بن عبد الملك) المشهور بالخلاعة والمجون المجون عنه ، انظر ، مصطفى هدارة ، اتجاهات ، ص217 ، و الشاعر "سليمان الاعمى الذي كان يحى متأثرا باقواله وحفظ اشعاره حتى انه استشفعى ببعض ابياته للامين ليتوسط له لدى ابيه الرشيد حتى يخرجه من سجن الزنادقة الذي وضعهم ، انظر ابن عبد ربه ، العقد ج5 ص65 • ومنهم الشاعر العتابي " الذي اهدر الرشيد دمه بسبب فلسفته المتناقضة مع ما الفه المجتمع العباسي وهو الذي توسط له البرامكة حتى عفى عنه ، فقال فيهم شعرا يعد آية في المديح ، انظر ابن النديم ، الفهرست ص135 ، ابن المعتز ، طبقات ، ص241 ، و ، الجهشياري الوزراء ، ص223 ، الكتبي ، الوافي ، ج3 ، ص219 • ومنهم الشاعر " مسلم بن الوليد الانصاري " الملقب ب " صريع الغواني " لاستهتاره ومجونه السافر انظر ، ابن المعتز طبقات ، ص234 — 240 ، و ، ابا ابن الوكيل ، احسن المسالك ومخطوط) ورقة 45ب ، و شوقي ضيف ، الفن ، ص 1280 ، مصطفى الشكعة ، الشعر ، ص229 ومابعدها •

(2) — بلغ التملق بالشاعر — محمد بن يزيد الدمشقي — الى القول في مناسبة حفل اقامه الفضل البرمكي لازدياد مولود له — من بحر الطويل —

وَيَفْرَحُ بِالمولُودِ مِن آلِ بَرْمَكٍ   وَلا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الفَضْلِ
وَيُعْرَفُ فِيهِ الخَيْرُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ   بِبَذْلِ النَّدَى وَالجُودِ وَالمَجْدِ وَالفَضْلِ

انظر ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 138 و اليافعي ، مرآة ، ج1 ص433

وبهذا النشاط الثقافي يكون البرامكة قد عملوا بطريقة او باخرى على التاثير في الحيـــاة الفكرية للمجتمع العباسي ،ولا يمكن تبرئة ساحتهم مما نتج عن ذلك من افرازات خطيـرة على مستقبل الدولة الاسلامية .

والى جانب مساهمتهم في نشر بدعة المديح ،والمبالغ فيه في الشعر العربي حتى وصل بعض الشعراء المتملقين بممدوحيهم الى مرتبة الآلهة ،يلاحظ انهم عملوا ايضا على تزكية البحث واحياء التراث الفارسي القديم ونشره في المجتمع العباسي ،وبذلـــك يكونون قد احيوا نارحقد هذه العناصر ضد العنصر العربي التي تمثلت في حركتي الشعوبية والزندقة ،ونظرا لما في هاتين الظاهرتين من غموض وعدم بيان دور البرامكة فيهما فقد افردت لهما فصلا خاصا ،احاول الحديث فيه عن علاقة اسرة البرامكة بمثل هذه المبادرات الخطيرة الدولة العبية الاسلامية التي وضعت كل امكانياتها في خدمة رعاياها بغض النظر عن انتماءاتهم العنصريـــــة .

الفصل السابع

أسرة البرامكة
بين حركتي الشعوبية والزندقة

اصطلح اللغويون على معنى الشعوبية بانها تعني " شعبا " أ (" شعوبا " (1) . واستنتج بعضهم انها تدل على العناصر غير العربية (2) .

بيد ان مدلولها التاريخي كظاهرة اجتماعية تمت في ظل الدولة الاسلامية لم يتفق حوله المؤرخون الا بعد اختلاف كبير اجمعوا بعده على ان الشعوبية فرقة تتعصب ضد العرب وتحتقرهم ولم تظهر بهذا المفهوم الا في العصر العباسي الاول (3) .

وبغض النظر عن مراحل تطور الشعوبية فان الرائج انها تطرفت في عدائها للعنصر العربي عند اعتلاء العباسيين عرش الخلافة اعتمادا على حسن نية هؤلاء في الإصلاح .

---

(1) ـ ابن المنظور ، لسان العرب ، مادة ، شعب و ، مادة ، " عجم " ابن عبد ربه ، العقد ، ج 2 ، ص 216 ، ابن حزم (علي بن احمد) الفصل في الملل والنحل ، ط 2 ، القاهرة ، 1395هـ / 1975م ج 2 ص 155

(2) ـ ورد في القرآن الكريم الآية التالية (... ايها الذين الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ...) سورة الحجرات ، الآية 13 ، وفسر القصد من الآية الكريمة في عبارة " لتعارفوا " ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالانساب او القبائل انظر ماكدونالد " Macdonald دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شعوبية ج 13 ص 315 ، نقلا عن تفسير البيضاوي ، طبعة فايشر ، ج 1 ص 276

(3) ـ قارن ، المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، القاهرة ، 1353هـ / 1939م ، ص 33 ب احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج 1 ، 49ـ63 ، وب ، عبد العزيز الدوري ، الشعوبية ، ط 3 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1401هـ / 1981م ، ص 11ـ 21

الاجتماعي من جهة ومن جهة أخرى شعورهم بالقوة بعد الدور الذي قاموا به الى جانب العباسيين لاسقاط السيادة العربية المتمثلة في الخلافة الأموية وقتذاك(1) ويكاد يتفق المؤرخون على أن الحركة الشعوبية قد برزت في حياة المجتمع العباسي على شكل مجالس أدبية متظاهرة بالدعوة الى بعث التراث الفارسي في الوقت الذي كانت تعمل فيه على مقاومة السيادة العربية في ميدان الفكر(2)

(1) تعذر على المؤرخين تحديد بداية الحركة الشعوبية بمفهومها المعروف المقيت نظرا لنشاطها في جو من الحذر والتحفظ . والملاحظ أنها تطورت تطور الأحداث السياسية للدولة الاسلامية ،ففي العهد الأموي كانت هذه الحركة تستتر وراء المبادىء الاسلامية حيث كانت تدعو الى المساواة العناصر العربية بغيرها من العناصر في وقت كانت السيادة العربية في عز سلطانها ولعل هذا مايفسر الدور الذي كانت تقوم به الشعوبية في أغلب الفتن التي كانت تهدف اسقاط الحكم الأموي ،خاصة الثورة العباسية التي أستخدمت شعار المساواة ،مما سمح للشعوبية أن تكشف عن نواياها حين شعرت بوجود الظرف المناسب لتحقيق أهدافها .أنظر ، ابن حزم ،الفصل ،ج 2،ص 115، . أحمد أمين ،ضحى ،ج 1،ص 49،عبد العزيز الدوري ،الجذور ،ص 9 ،و هبة قدورة ، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاسلامية في العصر العباسي ، الأول ،ط 1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1392هـ/ 1972م ،ص 19 ومابعدها . .

(2) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ،البيان والتبيين ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،بدون تاريخ ،ج 3،ص 35 . ،الدوري الجذور ،ص 10 - 12 أحمد أمين ،ضحى ،ج 1 ،ص 53 ومابعدها

وحسبما تجمع لدي من روايات ارى انه ليس من السهل الفصل بين نشاط الشعوبية ضد الجنس العربي ونشاطها ضد الاسلام ، وذالك لارتباطهما معا بشكل يجعل الفصل بينهما عملية تبدو شبه مستحيلة فذالك ان فكرة القضاء على السيادة العربية قد اتضح للشعوبيين انها لاتنجح الا بالعمل علي هدم احدى اهم مقوماتها وهي الاسلام ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان منهج احياء تراث الفرس الذي تبنته الحركة الشعوبية كان يتعذر معه استثناء تراثهم الديني ومعتقداتهم القديمة (1) •

وبغض النظر عن اسباب تطور حركة الشعوبية وارتباطها

(1) — كان "نصر بن سيار" — والي اقليم خراسان من قبل الخلفاء الامويين — قد اشار مبكرا الى هذا الارتباط العضوي بين خطر الشعوبية على العرب والاسلام وذالك حين ارسل الى "مروان بن محمد" — آخر الخلفاء الاميين — قصيدة جاء فيها الابيات التالية (بحر البسيط)

لَيسوا الى عُرْبٍ مِنّا فَنعرفهُم ... وَلاَ صَمِيمِ المَوالي إِنْ هُمُو نُسِبُوا
قَومًا يدِينُونَ دِينًا ما سمِعْتُ بِهِ ... عَن الرّسُولِ ولا جَاءَتْ بِهِ الكُتُبُ
فَمَنْ يكُ سَائِلي عَنْ اصْلِ دِينِهِمْ ... فان دِينَهُمْ ان تُقتَلَ العَرَبُ

انظر ، الدينوري ، الاخبار ، ص360 ، وقد وردت القصيدة في اغلب مصادر التاريخ الاسلامي مع بعض الاختلافات البسيطة ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج7 ، ص364+ 365 ، و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص304 •

وفضلا عن ذالك فقد شهد على هذا الارتباط الخطير مفكرون قد ماء عاصروا نمو وتطور الشعوبية في المجتمع العباسي ، ومنهم "الجاحظ" (ت 255 هـ/869م) الذي قال عن هذا الموضوع "•••لاتبقي الشعوبية دينا الا افسدته ولا دنيا الا اهلكتها وهو ما صارت اليه العجم من الشعوبية •••" ، الجاحظ ، رسالة الجاحظ في بني امية ، القاهرة ، 1342 هـ/1933م ص299• كما اكد ذالك "ابن حزم" (ت456هـ/1063م) ، حين قال عن الشعوبية ، "•••والاصل في اكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم •••فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على ايدي العرب ••تعاظم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى •••"

ابن حزم ، الفصل ، ج2 ، ص115 •

بفكرة " الزندقة " (+) بين العناصر الفارسية دون غيرهم من شعوب الدولة الاسلامية (1)، فان الملاحظ ان الفرصة التي منحتها الخلافة العباسية لبعض الشخصيات الفارسية الاصل قد كانت عاملا كبيرا في تطور هذه الظاهرة (2)، ولعل الدور الذي مثله البرامكة في هذا المجال خير دليل على ذلك •

وتتضح شعوبية هذه الاسرة ايضاحا بينا من خلال مواقف افرادها وتصرفاتهم في كثير من المناسبات، والشواهد تدل على انهم كانوا على اتصال مستمر بالعناصر الفارسية بطريقة مباشرة وغير مباشرة عبر فترة طويلة نسبيا، يمكن تحديد بدايتها بنشاط " خالد البرمكي " في الثورة العباسية (3) •

(+) ـ الزندقة، اتفق المؤرخون ـ بعد اختلاف كبير ـ حول معنى هذه الكلمة على انها تعني اللاحاد والشك في المعتقدات الاسلامية، وانها لم تظهر بهذا المفهوم الا في العصر العباسي الاول، وفي عهد الخليفة العباسي الثالث على وجه التحديد، والملاحظ ان فكرة اللاحاد ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركة الشعوبية في هذه الفترة ـ كما اشرت سابقا ـ وقد كان للبرامكة دور هام في تقوية تيار الزندقة والمروق عن الدين •
وتجدر الاشارة الى ان موضوع الزندقة رغم ما يحيطه من غموض فقد نال اهتمام المؤرخين وتناولوه بالبحث والدراسة، انظر،
احمد امين، فجر الاسلام، ص 107 ـ 109 • عبد الرحمن بدوي، الالحاد في الاسلام، زهية قدورة، الشعوبية، ص 127 ـ 133، عبد العزيز الدوري، الجذور، ص 26 ـ 29، 57 ـ 61 •،

-G.VAVJA ,Les Zindique en pays D Islam au debat de laperiode Abbasside ,R.S.O (Revista degli studi orentali),T.XVII ? (1938) ,pp.173-229 .
-PELLAT,EI2, ART(HAMMAD ADJRAD) , T3.PP.139-140 .
- J. FUGH? EI2, ART,(hammad el RAOUYA),T3.PP.139.

(1) ـ انظر، ابن حزم، الفصل، جـ 2، ص 115، الدوري، الجذور، ص 11، احمد امين، ضحى، جـ1، ص 58، 62، زهية قدورة، الشعوبية، 23،

(2) ـ احمد امين، ضحى، جـ1، ص 69 • عبد العزيز الدوري، الجذور، ص 36
(3) ـ يرجح ان يكون " خالد البرمكي " قد اصر على اتصال باعيان الفرس منذ ان كلف بمحاولة اقناع زعمائهم بالتحالف مع الثورة العباسية ضد الامويين، انظر لمؤلف مجهول، التاريخ، ص 553 •

ومن الواضح أن "خالدا" قد كلف بمهام ادارية في خلافة أبي العباس السفاح " تركزت أغلبها في الدواوين المالية وتحديدا الضرائب ونفقات الجند مما جعله أكثر من غيره احتكاكا بمختلف عناصر المجتمع العباسي الجديد وتجدر الاشارة الا أن هذا البرمكي قد كان على جانب كبير من الدهاء في حسن استغلال مناصبه لتعزيز ثقته بمختلف أعيان المجتمع وذلك حين أشرف على سلسلة الاعانات التي كانت تقدمها الدولة للذين ناصروا الثورة العباسية وقد كان من بينهم كثير من العناصر الفارسية (2) ويبدو أن هذه العطية التي كلف بها من قبل الدولة لم ترفع من مكانته في نظر الرأي العام فحسب بل كانت فرصة له للتصرف في خزينة بيت المال لمساعدة جموع الموالي الفرس الوافدين على العباسيين منذ بداية عهد الخليفة العباسي الثاني " أبي جعفر المنصور (136هـ/ ـ 15 هـ/ 753م ـ 775م) ( ).

( ) تاريخ المسعودي، مروج ... ج3، ص377، ابن عساكر، التاريخ، ج5، ق2.

(2) تؤكد أغلب الروايات التاريخية أن العناصر غير العربية ـ الفارسية ـ خاصة قد أخذت تستولي على المناصب الادارية المختلفة منذ بداية عهد الخليفة العباسي الثاني "أبي جعفر المنصور"، أنظر، ابن خياط، تاريخه، ج ... ص 46 ـ 467، التنوخي، نشوار، ج2، ص41، ابن كثير، البداية، ج10، ص 76 ـ 77، وسامية توفيق عبد الله، تاريخ، ص 3 ـ 43،

والظاهر أن هذا الخليفة قد أحس بخطر ما كان يمارسه وزيره "خالد البرمكي" فأوقفه عن نشاطه هذا وكلفه بمهام أخرى بعيدة عن الاتصال بالمجتمع (1) ولم هذا التبديل يعني محاولة الاستغناء عن خدمات هذا الرجل كما يتبادر الى الذهن فال واحد تشير الى أنه كان أهل من غيره لفهم شؤون بلاد فارس ، والمشاكل التي يطرحها سكان هذا الاقليم على الخليفة الناشئة . (2) ولذلك فقد كان تعيينه على هذه المنطقة بحضور يدل عن مدى فهم الخليفة لاتجاهات رعايا الفرس، فبادر بتعيين أحد منهم ارضاء لطموحهم ويطالب بعض المؤرخين في حسن سياسة "خالد" البرمكي" تجاه سكان بلاد فارس والتي ان دلت على شيء فانها تدل على ميله لبني جنسه ومحاولة مساعدتهم على التغلب على المشاكل التي كانت تعترض سبيلهم . وفي الحقيقة فان حرية التصرف شبه الكاملة التي مارسها "خالد" في فارس قد أثارت شكوك الخليفة فاستدعاه للمحاسبة (3)

(1) أبعد الخليفة أبو جعفر المنصور "خالد" عن الادارة المالية للدولة واستغل كفاءته في تربية ابنه "المهدي" وتدريبه على أساليب الادارة وفنون الحكم . انظر : الجهشياري ، الوزراء ، ص 90 .

(2) الجهشياري ، الوزراء ، ص 93 ، 613 . التلقشندي ، مآثر ، ج ، ص 36 ، 347 .

ومحمد عبد الحي شعبان ، التاريخ ، ص 24 . / 0120

(3) تشير الروايات الى بعض أغنياء فارس قد وقفوا مع "خالد البرمكي" والتزموا بدفع مبلغ الغرامة التي طالبه بها الخليفة المنصور ، أنظر : الطبري ، تاريخ ، ج ، ص 54 — 55 ، ابن الوكيل ، أحسن ، (مخطوط) ، ورقة 13 أ 114 .

وبغض النظر عن ثبوت ادانته أولا فان الراي أنه قد استمر في ممارسة نشاطه وأخذ ميله الى الشعوبية يزداد باستمرار ، ويتضح ذلك في محاولته ابقاء آثار الفرس والمحافظة على أبنيتهم كشاهد على عظمة هذه الأمة في نظر المسلمين .

ومع أن الدلائل تفيد أن الخليفة المنصور كان مدركا لقيمة هذه الآثار المعنوية الا أنه لم يتحرج من مواجهة وزيره " خالد " بحقيقة ما كان يهدف من وراء اقتراحه (٢)

ورغم ما في هذه المصارحة من حدة الا أنها لم تؤثر في علاقة الخليفة بالوزير وهو أمر يدل دلالة واضحة على سمو شخصية هذا الحسن نيته تجاه مواليه الفرس .

---

(1) ابن الفقيه ، مختصر ، ص 36 — 37 ، أبو الفداء ، المختصر ، ج ، ص 20 — 21 . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 144 . ابن الوكيل ، أحسن (مخطوط) ورقة 12 ، ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص 7 ، 1 ، جاسم آل كلكاو ، البرامكة ، ص 15 ، صخر الحبادي في التاريخ ص 73 .

(2) يروى أن الخليفة المنصور قد قال لوزيره خالد البرمكي عند تقديم اقتراحه هيهات يا خالد أبيت الا الميل الى أصحابك العجم ...) الطبري ، التاريخ ، ج 7 ، ص 651 . وقد تكرر ما يشبه هذه الحادثة مع الخليفة هارون الرشيد عند استشارته ليحيى البرمكي حول امكانية استغلال حجارة أحد الهياكل الفارسية المتهاوي فامتنع بدعوى المحافظة على آثار السلف . أنظر ، ابن خلدون ، ج 1 ، ص 22 ، ج 2 ، ص 410 . و ، بحراني ، البرامكة ، ص 21 — 21 .

وفي الحقيقة فإن براعة "خالد البرمكي" وحسن استغلاله الظروف، قد مكّنته من القيام بأدوار هامّة للحركة الشعوبيّة دون أن يلفت انتباه الرأي العام لمخاطر ما قد ينجم عن تحرّكاته (1) وبخاصة مما تحمّل لدي من روايات أن بيت البرامكة وقتئذ قد صار مقرّا للشعوبيين يلتقون فيه ويأخذون منه ما يساعدهم على القيام بتنفيذ خططهم (2) .

---

(1) تمكّن خالد البرمكي من اقناع العناصر الفارسيّة - الأعيان منهم خاصة - بأهمية التعاون مع الخليفة المنصور، ومساعدته على تنفيذ مشاريعه الحيويّة، كمشكلة ولاية العهد حتى يفوزوا بثقته ومن ثم يسهل عليهم الاستمرار في تحقيق طموحهم الشعوبي . أنظر: الطبري، تاريخ، ج ، ص 9 ، وابن الطقطقي، الفخري ص 155 - 156 . ابن الأثير، الكامل، ج5، ص22 وابن خلدون، العبر، ج3، ص 197، وحسن ابراهيم، تاريخ، ج2، ص 29 - 30، وسلمية توفيق، تطور، ص 5 ، 40 - 39 .

(2) الأربلي، خلاصة، ص 3 ، ابن الركيس، أحسن (مخطوط)، ورقة 111 أ، حسين نخلة المذور، حضارة، ص 69 .

يبدو أن "خالداً" بعد هذا النشاط قد أدرك أن الدور الذي كان يمثله في حياة المجتمع العباسي، ولذلك فإنه لم يتردد في توظيف "الشعر" لتعزيز مشاريعه الشعوبية (1)

ويظهر من بعض ما قيل فيه من قصائد أنه كان قد أحيا بعض التقاليد الفارسية كالاحتفالات بعيدي "المهرجان" و"النيروز" الفارسيين، حيث كانت الأسرة البرامكة تقدم الهدايا الثمينة لزوارها، وتتلقى منهم أيضاً.

---

(1) من المعروف أن الشعر في تلك الأيام كان أهم وسيلة دعائية ذات فعالية كبيرة في السيطرة على الرأي العام، فهو كان يقوم مقام الصحافة والإعلام في الوقت الحالي. المهرجان والنيروز: من أهم أعياد الفرس القديمة تحل فيهما مظاهر الفرح والترف أثناءهما، حيث كان الملك في هذه المناسبة يجلس في أبهة عالية ليستقبل رعاياه، فيهدونه تلك الهدايا الثمينة، ويرد عليهم شكراً ويعلن أسماء من رضي عنهم. ويعني "المهرجان" عند الفرس (محبة الروح) وكانوا يحتفلون به في أول يوم في آخر السنة. أما عيد "النيروز" فكانوا يحتفلون به في أول يوم من رأس السنة التي كانت تبدأ في نوروز مع مطلع فصل الربيع. وقد تعطلت هذه الأعياد بعد الفتح الإسلامي، واستمر الأمر كذلك حتى اعتلاء العباسيين عرش الخلافة، حيث صار الخلفاء يشاركون رعاياهم من الفرس في احتفالاتهم بهذين العيدين، وقد كان للبرامكة الدور الكبير في إحيائهما بالشكل الذي كانا عليه أيام "الأسرة" ملوك الفرس، وقد صارا مع مرور الزمن من الأعياد الرسمية في العصر العباسي الأول. أنظر:
البيروني، كتاب الآثار، ص 215 – 224، والثعالبي (أبو منصور عبد الملك)، تاريخ غرر السير، المعروف بكتاب أخبار الملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الأسدي، طهران 1963م، ص 13 وما بعدها، 37، 471. كريستنسن، إيران ص 153 – 15، حسن ابراهيم حسن، تاريخ ج2 ص 436 – 43.

ورغم ما يلاحظ على هذه التصرفات من مخالفة للتقاليد العربية والآداب العامة، إلا أن الخليفة العباسي "المهدي" (158هـ / 169هـ / 774م – 784م) لم يكن يعارض ذلك فيما يبدو، ربما لأن تلك المظاهر لم تتطور الى حدود المساس بأصول الدين (1)

ولعل سكوت "المهدي" على مثل هذه الظواهر يرجع الى تربيته ونشأته بين أحضان الفرس، فضلا عن اقراره بالجميل لأسرة البرامكة لما لها من ارتباط وثيق بحياته (2)

(1) حسبما تجمع لدي من روايات ألاحظ أن الخليفة المهدي كان أول خليفة في الدولة الاسلامية شاعت في عهده ظاهرة "الزندقة" وأنه أول من أنشأ لهم ادارة للبحث عنهم ومحاكمتهم، ثم محاولة تكوين هيئة علمية لمناظرتهم وتأليف الكتب للرد عليهم، أنظر، الطبري، تاريخ، ج 8، ص 165، و ابن كثير، البداية، ج 10، ص 151، السيوطي، تاريخ، ص 273، وأحمد أمين، ضحى، ج 1، ص 140.

(2) يلاحظ أن الخليفة "المهدي" قد كان أكثر من أي خليفة عباسي قبله ارتباطا بالفرس، فقد أشرف خالد البرمكي على تربيته، كما أنه كان على اتصال بيحيى البرمكي وملازمته قبل خلافته لتبادل الخبرات حول فنون الادارة وأساليبها، وفضلا عن ذلك فقد كانت زوجة المهدي – ريطة – العربية الهاشمية أختا من الرضاعة لأحدى بنات خالد) كما كانت زوجته الثانية – الخيزران – قد سلمت ابنها "هارون" لترضعه زوجة يحيى مع ابنها الفضل، أنظر، ما قبله

مع ذلك فقد أبدى استياءه من تصرفاتهم وكان مستعدا الى التضحية بهم حين أخذ خطرهم الشعوبي يزداد باستمرار (1)

لولا سلطة زوجته الخيزران " التى كانت حاجتها الى تأييد الشعوبيين ضرورية لأخذ مكانتها كسيدة للبلاط العباسي في مواجهة ضرتها ريطة الـتي كانت قيمتها في البلاط ليست محل جدل بمقتضى شرف نسبها الى البيت الهاشمي الحاكم . ويبدوا أن النساء البرمكيات قد كن على جانب كبير في فهم هذه المنافسة الحرفية ولذلك فقد كن أهم من غيرها في مؤازرة هذه الجارية المحظية ومساعدتها . شعورا منهن بالأهداف المشتركة والمصالح المتبادلة (2)

والظن أن الامتيازات الممنوحة للبرامكة بمقتضى هذا الدور لم تستغل لصالح المد الشعوبي فى الخلافة العباسية الآ بعد الاطمئنان على

---

(1) أنظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 151 ، 157 . ابن الوكيل ، أحسن (مخطوط) ، ورقة 55ب . عبد الرحمن العمري ، أثر الفرس ، ص 1 ، ريطة : بنت الخليفة العباسي الأول " أبي العباس السفاح " ، نشأت فى البلاط العباسي ، وتزوجت ابن عمها " المهدي " فزاد ذلك من مكانتها فى النظار الخاصة والعامة . أنظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 32 - 32 .

(2) رغم العلاقة القديمة التي كانت تربط زوجت المهدي (ريطة) بأسرة البرامكة منذ عهد الدولة ... سيما ... من روايات ـ أنه تعذر علي وجود مايفيد مساعدتها لهذه من قبل أسرة البرامكة موالــيها ... مايلاحظ بالنسبة لضرتها "الخيزران" رغم أنها كانت جارية دخيلة على البلاط العباسي مما يفسر وجود مؤامرة شعوبية بين "حريم" الخليفة وداخل قصره .

تثبيتها وارساء قواعدها بشكل مثير للاعجاب (1)

وحسبما تسنّى لدي من روايات ألا أن الخليفة الهادي (169هـ – 170هـ / 785 – 786م) ، لم تكن تربطه بالبرامكة علاقة جيّدة ويمكن تفسير ذلك من خلال ملاحظاتنا الدور الذي قاموا به لصالح الشعوبيّة وعلى الحكم من ذلك فيبدو أن هذا الخليفة قد كان يتنبّه للأهداف الخفيّة التي كان البرامكة يسعون اليها ، ولذلك فقد دخل في صراع ضد "يحيى البرمكي" الذي خلف أباه "خالدا" في زعامة الحزب الشعوبي من جهة ومن جهة أخرى ضدّ أمه الخيزران التي كانت أداتهم الناجحة في تنفيذ خططهم (2) .

ولعل هذا الموقف الصارم الذي وقفه الخليفة "الهادي" في طريق استمرار المشروع الشعوبي الذي كانت تقوم به أسرة البرامكة بمساعدة أمه الخيزران قد وجد فيه الروايات الشعوبيّة سببا للتحامل

---

(1) بذل البرامكة خلال عشرين سنة مجهودا كبيرا في تعزيزاتصالهم بالبيت الحاكم ، وذلك عن طريق الإشراف على تربية هرون الرشيد والتكفل بجميع أموره انظر ما سبق .

(2) انتهى الفصل الثالث من هذا البحث الى مبالغة المؤرخين القدماء في ذكر الدّور المشترك للبرامكة والخيزران في تعزيز مكانة هرون على حساب أخيه "الهادي" في خلافة أبيهما "المهدي" ثم في ذكر المضايقات التي تعرض لها "الهادي" من طرف هذا الحلف ، ولا يستبعد أن يكون مصدر هذه المبالغة من وضع الروايات الشعوبيّة لبيان مجهودات البرامكة تجاه "هرون"

على شخصية هذا الخليفة رغم أن حكمه لم يكن قد تجاوز سنة واحدة وبغض النظر عن سرنجاح البرامكة في هذه الصراع فان المؤكد أنهم صاروا يمثلون أعلى جهاز في الدولة في بداية خلافة الرشيد ابتداء من سنة 170هـ/786م بما كانت تسحة هذه المرحلة الدولة من رتعة جغرافية وتنذاك (2)

والملاحظ أن البرامكة في هذه المرحلة قد كانوا يحملون برنامجا واسعا لخدمة المد الشعوبي وقد أخذ يظهر تدريجيا في مختلف المجالات الحيوية للمجتمع العباسي .

ففي المجال السياسي لوحظ أنهم اهتموا اهتماما كبيرا بشؤون شرقي الخلافة خاصة المناطق كانت تسكنها أغلبية من العناصر الفارسية ، وذلك تمهيدا الى تحضيرها للانقلاب الشعوبي الذي كان هدف البرامكة في تسيرهم ... الحداء ... للعنصر العربي .

---

(1) أشاعت الروايات الشعوبية عن الخليفة "الهادي" بالظلم والتعسف وسوء التدبير ، أنظر الطبري ، تاريخ ... 214 — 229) المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 345 . ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ص 77 ... و ، السيوطي ، تاريخ ص 278 .

(2) — بلغت الخلافة في عهدهم أوج اتساعها ، وأهميتها من حيث ، التطور الحضاري والكثافة السكانية . حول تفاصيل حدود ها وأهم الأقاليم التي كانت تضمها أنظر عبد المنعم ماجد ، و . علي البنا ، الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1387هـ/1967م . الخريطة رقم . 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، أنظر ، الخريطة الملحقة بالبحث .

والواضح تماماً أن "الفضل" البرمكي(*) قد بذل في سبيل هذا الغرض قصارى جهده، مستخدماً في ذلك كل الصلاحيات التي أعطيت له بمقتضى تفويضه في شؤون المشرق (1)

ولئن كان بذل المال لاصطناع الرجال وشراء ذممهم أهم وسيلة يمكن الاعتماد عليهما في هذا المجال فإنّ الروايات التاريخيّة تبيّـــن

(*) كان الفضل البرمكي قد بدأ نشاطه نائباً لأبيه "يحيى" في الإدارة المركزية وتبدأ فترة تفويضه شؤون المشرق بعد تمكنه من حل مشكلة "يحيى بن عبد الله" الثائر العلوي في اقليم "الديلم"؛ ولذا فإنه لا يستبعد أن تكون هذه المشكلة مفتعلة دبّرها البرامكة بالتنسيق مع بعض سكان الأقاليم الشرقية لاخراج الجيش العباسي من العاصمة، وليثبتوا للخليفة قدرتهم على حل القضايا المستعصية بأيسر السبل هذا من جهة ومن جهة أخرى، ومحاولة ايجاد سند يعتمد عليه "الفضل البرمكي" في اكتساب ثقة الرأي العام لصالح الأعمال التي كان ينوي القيام بها: أنظر، الطبري، تاريخ، ج 8، ص 242 – 243؛ ، البيهقي، تاريخه، ص 440 – 441؛ والبغدادي، تاريخ بغداد، ج 12، ص 334؛ و، اليافعي، مرآة، ج 1، ص 430؛ ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 403؛ ، خواند امير، دستور، ص 47؛ و، خواند شاه، روضة الصفا، ص 135؛

(1) كان الخليفة هرون الرشيد قد عينه – بايعاز من يحيى البرمكي – على الولايات التالية: كور الجبال، الري، جرجان، طبرستان، قومس، دنباوند وغيرهم، وتمثل هذه الولايات مساحة شاسعة من شرقي الدولة، كما أن أغلب سكانها كانوا من العناصر الفارسيّة: أنظر، الطبري، تاريخ، ج 8، ص 242 وما بعدها؛ و، ياقوت الحموي، معجم البلدان، هنا وهناك، عبد المنعم ماجد، الأطلس، خريطة، رقم 5، 6، 7

بسبب اسرافه الشديد في استعماله . (1)

وفضلا عن ذلك فقد أقدم على انشاء مشاريع اقتصادية واجتماعية كانت كلها تهدف الى تزكية السمد الشعوبي واشارة فعاليته في الدولة (2)

والظن أن هذه الاساليب قد أثبتت للشعوبيين جدارة أسرة البرامكة في زعامة حزبهم ولذلك فقد كانوا لا يترددون في تمويل اقتراحاتهم أو تلبية طلباتهم . وتكاد تجمع المصادر التاريخية على أن الفضل البرمكي قد كان منهم سبيكا كبيرا رغم قصر المدة وقلة المجهود المبذول في محاولته تجنيدهم (3)

---

(1) تطنب مصادر التاريخ والأدب في الحديث عن اسراف "الفضل البرمكي" في تبذير الأموال واصطناع الرجال ، ومن المرجح أن يكونوا من العناصر الفارسية :
أنظر : الطبري ، تاريخ ، ج8 ، 25 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 191 ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، 271 ، الصولي ، الاوراق ، 19 — 21 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 151 — 152 ، البغدادي ، ج 12 ، ص 336 ، ابن الوكيل ، احسن المحاضرات ، ورقة 4 أ ، 4 ب .

(2) أنظر : المؤلف المجهول ، العيون ، ص 296 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 12 ، ص 336 ، الاربلي ، خلاصة ، 167 ، ابن الوكيل ، أحسن (المحاضرات) ، ورقة 3 ب ، أحمد مختار العبادي ، في التاريخ ، ص 33 — 34 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، 257 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 190 . ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 ، 99 — 100 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 172

لا شك في أن هذا الجيش الذي تبالغ الروايات في ضخامة عدده (1)

كان رهن اشارة البرامكة ، حيث كان الفضل قد أدخل جزءا منه الى بغداد وهي بادرة خطيرة لم ألاحظ سدرتها تبيّن هذا التاريخ (2)

وبمعزل عن أغراض الشعوبية وراء هذا المشروع فانه قد يمكن تفسير سبب تكوين هذا الجيش في محاولة من البرامكة اشباع رغبة الخليفة الرشيد الجامحة الى تشجيع حركة الجهاد التي كان يتزعمها بنفسه (3)

بيد أن طبيعة الأحداث وتتابعها لاتساعد على الاطمئنان الى هذا التفسير ، ذلك أن انشغال الخليفة الرشيد بهذا الجيش

---

(1) بلغ عدده خمسين ألف جندي حسب رواية المؤرخ الطبري وكان تحت قيادة الفضل ويسمون ألف جندي لم يدخلوا الحركة . فان تكن هذه الروايات صحيحة فانما يشير الى قدرة الشعوبية على احداث الانقلاب ضد السيادة العربية التي كان مستهدفة . أنظر الطبري ، تاريخ ، ج ، ص 242 ، 257 .

(2) يستثنى من ذلك وصية أمير آل محمد "أبو مسلم الخراساني" الذي كان أكبر قائد عسكري للثورة العباسية فقد بدا ذلك للخلفاء العباسيين الأوائل خطرا كبيرا يهدد سلطتهم فعملوا على ازالته بمختلف الوسائل .

أنظر الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 467 ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 303 . الجهشياري الوزراء ، ص 94 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 350 — 352 . ابن كثير البداية ، ج 10 ، ص 63 . المقريزي ، المقفى (مخطوط) ، ورقة 114 .

(3) توجد حركة تفاصيل الجهاد ضد الروم البيزنطيين التي كان الخليفة هرون الرشيد يخوضها في أغلب مصادر التاريخ الاسلامي . ابتداء من سنة 163هـ / 779م .

أنظر مثلا الطبري ، تاريخ ، ج ، ص 144 ، ابن الأثير الكامل ، ج 5 ، ص 63 . ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 145 ، أبو الفداء المختصر ، ج 2 ، ص 12 — 13 .

الضخم ، الذي أحدث دخوله ضجة كبيرة ، قد أكسب البرامكة وقتا ثمينا وفرصة مناسبة لا للضغط على قوة الحزب العربي فحسب بل لاحداث توازن عسكري بين القوة الشعوبية والقوة العربية في العاصمة بغداد .

ولعل السبب أن هذا التفسير هو أهم ما يساعد على فهم سياسة البرامكة التي أخذت تقوى بعد هذه الحادثة على حرب القيادة العربية بمختلف الوسائل (1)

وسواء أكان البرامكة قد رجحوا كفة الشعوبية في الدولة بوجود قوة عسكرية تساندهم أم لا . (2) فان الراجح أنهم حققوا تطورا هاما في مجال الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال العجمية التي كرّسوها في الخلافة العباسية خلال فترة نفوذهم فيها .

---

(1) رفع البرامكة وشاية للرشيد ضد قائد جيشه العربي (يزيد بن مزيد بن طريف) حيث اتهموه عن موقفه من حركة الشاري التي كان يتزعمها (الوليد بن طريف) حيث اتهموه بالممالأة في القضاء عليه حرمة لصلة الرحم والقرابة بينهما اذا كانا ينتسبان الى قبيلة "بني وائل" العربية . فاغتاظ الرشيد من تصرف قائده وبعث اليه رسالة جارحة يؤنبه فيها ويحثه على القتال . أنظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 97 .

(2) من الاتهامات التي رفعت للخليفة ضد وزرائه البرامكة ، محاولة الأمير "موسى بن يحيى البرمكي" تأليب سكان خراسان الفرس ضد الخلافة العباسية ، ودعوته اياهم للقيام بالثورة ضدها . أنظر : الطبري ، تاريخ ، ج 6 ، ص [illegible] ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 115 . [illegible] ، [illegible] ، الشعوبية ، ص 272 .

ويأتي في طليعة هذه الشعوبية العناصر الفارسية المثقفة التي وجدت في تبني البرامكة أفكارها حافزا قويا على الجهر باحياء التراث الفارسي والدعوة الى فرضه في المجتمع العباسي .

والذي يستثير الانتباه هو أن الظاهرة العناية بالتراث الفارسي قد نالت حظا كبيرا من اهتمام البرامكة تعريبا ودراسة ساعدهم على ذلك دخول العديد من الفرس في خدمتهم ممن يجيدون الفارسية والعربية معا وفي مقدمتهم "سهل ابن هرون" (1) أشهر الشعوبيين تطرفا ضد العرب ، الذي كتب عدة مؤلفات استخلص معظمها من تاريخ أمجاد الفرس (2) ولئن ضاع معظم كتبه فانّ أفكاره وبعض المأثور ـــــ ن

---

(1) سهل ابن هرون بن راهبون (ت 215هـ / 830م) لا يعرف تاريخ ميلاده ولكن الشائع أنه نشأ في البصرة ثم رحل الى بغداد حيث اتصل بالبرامكة واشتغل كاتبا في الادارة المركزية بالعاصمة ، ونبغ حتى اشتهر بلقب "بزرجمهر الاسلام" لبلاغته وحسن بيانه وكان لذلك محل اعجاب من عاصريه . أنظر: ابن قتيبة ، الامامة (منسوب اليه) ، ج2 ، ص200 - 201 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3 ، ص123 ؛ الكتبي ، الوافي ، ج16 ، ص101 ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج3 ، ص143 - 144 . محمد كرد علي ، سهل بن هرون ، مجلة (المجمع العلمي العربي) ، دمشق ، مجلد 7 ، سنة 1345هـ / 1927م ، ج1 ، ص5 .

(2) من مؤلفاته : كتاب "الاخوان" و"المسائل" "ثعلة وعفرة" و"تدبير الملك والسياسة" و"الوامق والعذراء" "والنمر والثعلب" وديوان الرسائل . قارن ابن النديم ، الفهرست ، ص174 ؛ كرد علي ، مجلة ، ج1 ، ص9 - 10 ، 15 - 21 ؛ أحمد أمين ، ضحى ، ج1 ، ص6 .

رسـائله بقيت محفوظة في بطون مصادر الادب العربي كرسالته في البخل التي اراد بها الرد على فضيلة الكرم التي كانت مفخرة العرب وميزتهم (1) .

ويعتبر " ابو سهل نوبخت " الفارسي الاصل كاتب البرامكة اهم من نقل افكار الفرس وحضارتهم عن طريق الترجمة ثم التأليف (2)

كما قدم " ابن اللاحقي " نماذج هامة من حضارة الفرس ، بتشجيع وعناية البرامكة حيث ترجم العديد من امهات الكتب الفارسية وهي اليوم تعد ما تلف منها من اهم مصادر التاريخ الفارسي ويرجع اليه الفضل في تسجيل مهمة تراث الكتب الفارسية المترجمة

(1) ـ اورد الرسالة كاملة محمد كرد علي في امراء البيان مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة 1356هـ / 1937م ج 1 ، ص 159 ـ 191 ، وحاول التعليق عن بعض ما جاء فيها من دراسة عن سهل بن هارون في مجلة المجمع العلمي ج 1 ، ص 21 . 27

(2) ـ جاء في قائمة مؤلفاته التي اوردها ابن النديم ما يلي ـ كتاب المنتحل في اقاويل المنجمين ، " المسائل والمواليد " ، " التشبيه والتمثيل " المولد " تحويل سني المواليد " وغيرها ، غير ان ابن النديم لا يذكر تعليقا عن هذه المؤلفات ولا عن مصيرها ، انظر ، الفهرست ص 233

(+) ـ ابن اللاحقي وهو ابان بن عبد الحميد بن لاحق من موالي اهل البصرة اكثر في مدح البرامكة وترجم لهم العديد من امهات كتب ملوك الفرس ونظمهم ، وقد بقي ابان في خدمة التراث الفارسي حتى وفاته عام 200هـ / 815م انظر ، ابن النديم ، الفهرست والزركلي ، الاعلام ، ج 1 ، ص 27 .

بتحويلها من النثر الى النظم بناء على طلب البرامكة حتى يسهل على ابنائهم حفظ حضارة ونظم احد الامم الفرس (1) .

ومن ذلك كتاب " سيرة انو شروان " اكبر شخصية تاريخية في الدولة الساسانية الفارسية (2) . يليه من حيث الاهمية كتاب " سيرة ارد شير " الذي يحوي هو الاخر سيرة احد كبار ملوك الفرس (3) . والقائمة طويلة بمؤلفات هذا الرجل الذي قدمها للحضارة العربية الاسلامية تحت رعاية البرامكة حول نماذج مختلفة من حضارة الفرس القيمة القديمة (4) .

(1) ـ يعتبر ابن المقفع ـ الفارسي الاصل ـ من رواد مترجمي التراث الفارسي وقد عني في ترجماته بالدراسة والنقد فكان لها الاثر على الحياة الفكرية منذ العصر العباسي الاول ، انظر ، ابن النديم الفهرست هنا وهناك ، صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، طبعة الاب شيخو بيروت ، 1331هـ / 1912م ، ص 49 وحول دراسة مؤلفات ابن المقفع واثرها في المجتمع انظر

-Sourdel,La Biographie d;Ibn Al-Mukaffa d'apres les sources anciennes.(Arabica),1954,PP 307-325

-Gabrieli,Ele.Art(Ibn Almukaffa).T3. P.907

(2) ـ اصل هذا الكتاب عنوانه " كتاب التاج " الذي ترجمه ابن المقفع ، وهو مختص اساسا بتاريخ هذا الملك كما يفهم من عنوانه انظر دراسة مفصلة عنه عند محمد محمدي الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى ، منشورات قسم اللغة الفارسية وادبها في الجامعة اللبنانية بيروت ، 1384هـ / 1964م ، ص 10 .

(3) ـ يعرف هذا الكتاب باسم " كارنامة اردشير " عثر على قسم منه بلغته الاصلية انظر محمد محمدي الترجمة ص 41

(4) ـ مثل ترجمته لكتاب " كليلة ودمنة " الشهير وكتاب سندباد " وكتاب " بلوهر بوداسف " وكتاب " الحيل والاحتكاك " ولعل هذا الاخير قد كان يقصد الاطلاع على نظائل الاسلام واحكامه واحتج المحل انظر الاوراق ص 3 ، ابن النديم الفهرست ، 1 ، 6 ، ميل نوالة المدرر عمارة ص 253 ، الزركلي الاعلام ج 1 ص 27

وحتى لا تنكشف مخططات البرامكة الشعوبية عمدوا الى ادخال بعض المثقفين العرب للتمويه على الرأي العام وصرفه عما يجري من مشاريع ترويج التراث الفارسي ريثما يطمأن الى بعثه ونشره حين تتوفر الشروط المساعدة •

ويأتي في مقدمة المثقفين العرب الذين كانوا على اتصال بالبرامكة راوية العرب وامام اللغة والشعر " الاصمعي [*] " • الذي سجل عنهم العديد من انماط معيشتهم ونشاطهم السياسي اعتبرتها بعض المصادر الادبية من اهم مايمكن الاعتماد عليه في الحديث عنهم (1) •

ويبدو ان الاصمعي قد كان صادقا النية في التعامل مع البرامكة قبل ان يكشف مخططاتهم الشعوبية والاهداف التي كانوا يسعون الى تحقيقها بدليل مدحه "جعفرا" في اخطار الادوار التي قام بها في شأن ولاية العهد للمأمون (2) التي اشرت اليها سابقا •

ومع ذلك فقد انسحب من حزبهم وحاول فيما بعد الرد باساليب عديدة اللهجة لاتدل على وعي عميق بخطورة مشاريعهم فحسب بل تدل ايضا على اصالة وعروبة رافضة للخضوع لرغبة الشعوبيين وطموحهم العنصري (3) •

---

(1) انظر القمي الكنى ، جـ2 ، ص 32ـ35 ، ابن المعتز ، طبقات ، ص 213 ـ214 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 28 أ

(*) ـ الاصمعي ، هو عبد الملك بن قريب الباهلي (122هـ ـ 216هـ / 740 ـ 831م) اكتسب شهرته الادبية من خلال اتصاله بالعرب البدو وتوثيق روايتهم واخبارهم في قصور الخلفاء والوزراء • وتآليفه عديدة والدراسات حوله كثيرة انظر ابن خلكان وفيات ، جـ 1 ص 228
B.Lewis.EIe,Art(AlASmai)E1 PP,439-740

(2) يروى ان الاصمعي قد مدح " جعفرا " البرمكي " في قصيدة جاء فيها (القصيدة من بحر مجزوء الوافر)

أتانا الى بيعة بيعته ، تمام بها الامر تسديده
بنو برمك استسوا ملكه ، وسدوا للوراثة عقده

انظر الجهشياري الوزراء ، ص 205 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 67 ب

(3) علل جعفر البرمكي اسباب تجاهله لمنحة الاصمعي بقوله ـ علي اي وجه اعطيه اذا كانت النعمة لم تظهر عنده ولم تتعلق النعمة بالشكر عنده • • •) انظر القمي ، الكنى ، جـ 2 ، ص 35 ، الجهشياري الوزراء ، ص 205 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 167 •

ويبدو أن انسحاب هذا الأديب من مجالس البرامكة قد أوجد مناخا مناسبا لمواصلة المد الشعوبي بازدياد عناصر متطرفة لم تقتصر على محاولة بعث تراثها بل هدفت الى المس بالشرف العربي في الصميم (1)

ومن الكتاب النشطين في التأليف تحت رعاية البرامكة الكاتب "علان الشعوبي" الفارسي الأصل الذي أشتهر بتضلعه في علم الأنساب لدرجة أنه لا يعرف عنه من مؤلفاته في غير هذا الاختصاص حيث كتب عن موضوع هدف منه الى المس والتجريح في الشرف والنسب العربي (2).

ويبدو أن البرامكة لم يقتصروا على تقريب كاتب واحد من هذا الاختصاص الشعوبي المقيت بل شجعوا العديد منهم من بينهم الكاتب

---

(1) تعرف مثل هذه المؤلفات في تاريخ الثقافة العربية بكتب " المثالب " وتعني " العيوب "، وهذه الكتب على ما يظهر عمدت الى شواذ ما صدر عن قبيلة عربية او ما يؤاخذ به احد العرب، فتقيدتها هذه المصنفات واذاعتها على انها ظاهرة اجتماعية في العرب عامة تشهيرا بهم وامعانا في تشويه سمعتهم التي عمت الآفاق. ويقابل كتب المثالب "المناقب" التي تعنى بذكر المفاخر وتروي مستحسن العادات، وهذا الصنف من المؤلفات عرف تداولا كبيرا على ايدي الشعوبيين حيث نسبوا كل مكرمة وكل فضل في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية الى الفرس وملوكهم، انظر، محمد بديع الشريف، الصراع بين الموالي والعرب، 46، 43، واحمد امين ضحى، ج 1، ص 69، 72 ـ 73، عبد العزيز الدوري، الجذور ص 54 ـ 55 وزهية قدورة، الشعوبية، ص 24 ـ 26

(+) ـ له كتاب " الميدان " في المثالب، يروي انه هتك فيه العرب واظهر عيوبها، فيه يحوي مثالب قريش ومثالب قبيلة تيم، ومثالب بني اسد، وغيرها من القبائل العربية اذ عددها هذا المؤلف وكر عيوبها، انظر، ابن النديم، الفهرست ص 113، واحمد امين، ضحى، ج 1، ص 69 عبد العزيز الدوري، الجذور، ص 55

(2) ـ يقول ابن النديم ان معظم كتاباته قد اندثرت لتفاهة مواضيعها انظر ابن النديم، الفهرست، ص 118.

الكاتب " ابوعبيدة " (+) الزعيم الروحي للحركة الشعوبية الذي يعد من اصحاب كتاب " المثالب " حيث كان ينسب من خلال كتاباته كل فضيلة ومكرمة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية الى الفرس ، وحتى تطور الادب العربي يرجعه هذا الشعوبي الى فضل ماترجم من امهات كتب الادب الفرسي (1) .

ومن الذين ساهموا في تزكية المد الشعوبي الذي رفع شعاره البرامكة " الهيثم بن عدي (+2) الذي وضع عدة كتب في المثالب ، منها كتاب " المثالب الكبير " وكتاب " المثالب الصغير " ، و " مثالب ربيعة " وكتاب " اسماء بغايا قريش في الجاهلية " وغير ذلك مما يدخل في هذه المؤلفات الرخيصة (2) . والقصد منها الدس ، تشويه النسب العربي الشريف الذي كان مفخرة العرب .

(+) — ابوعبيدة معمر بن المثنى (110 — 209هـ / 728 — 824م) اصله من يهود فارس ، نشأ في البصرة ونبغ في الادب واللغة العربية ويعد من ائمة البيان باعتراف معاصريه اتصل بالبرامكة ونال منهم تقديرا جيدا حيث كانوا من المعجبين به وبافكاره الشعوبية . اذ يعد هذا الاديب من انصار الشعوبيين لا لثقافته الواسعة وتعصبه الشديد ضد العرب فحسب بل لالتفاف معاصريه من الفرس حوله ، الى جانب مؤلفاته الكثيرة ككتاب " المثالب " و " مآثر العرب " و " ايام العرب " و القبائل " وغير ذلك واخبار هذا الشعوبي كثيرة في اغلب مصادر التاريخ والادب ويتعذر ايرادها هنا . انظر ، ابن خلكان ، وفيات ، جـ 2 ، ص 105 وما بعدها . احمد امين ، ضحى ، جـ 1 ، ص 69 ، 72 — 73 ، وزاهية قدورة ، الشعوبية ، ص 125 ،

(1) — محمد بيسديس الشريف ، الصراع ، ص 41 — 43 ، زاهية قدورة ، الشعوبية ، ص 125 واحمد امين ، ضحى ، جـ 1 ص 72 .

(+2) — هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعالبي (114 — 207هـ / 732 — 822) مؤرخ من رواد علم الانساب اصله من " منبج " ونشأ في الكوفة مركز الاشعاع الثقافي وتثقف وجالس كثيرا من الخلفاء العباسيين (المنصور ، المهدي ، الهادي واخيرا الرشيد) واغلب كتاباته اختصت بعلم الانساب ويعد في نظر المؤرخين من غير الثقات انظر ، الكتبي ، الوافي جـ 2 ص 203 ، الاربلي ، خلاصة ، جـ 2 ص 32 — 34 .

(2) — ينسب اليه المؤرخون المصنفات التالية ايضا — " بيوتات العرب " و " بيوتات قريش " و " نزول العرب خراسان " ، " السواد " تاريخ الاشراف " كبير " و " صغير " وغيرهم انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 120 ، واحمد امين ضحى ، جـ 1 ص 63 ، الزركلي ، الاعلام جـ 8 ص 104 — 105 .

والملاحظ ان هذا البعث الشعوبي الذي ساهم فيه هؤلاء الوزراء الفرس بقسط كبير قد كانت له اعراض خطيرة ليس على مستوي المساس بالشرف العربي ومحاولة النيل منه فحسب بل الى حد الشك في حضارة عريقة بجميع مقوماتها (1) . مما جعل ضرورة الرد عنه امرا يقتضيه الشرف وتمليه المصلحة العامة .

واظن ان نشاط البرامكة الشعوبي كان قد اعتمد على الحرية المطلقة التى نالوها بمقتضى الظروف الاستثنائية التى سبقت الاشارة اليها .، وان عدم اصطدامهم بمعارضة شديدة ومنظمة تجبرهم على محاولة مراجعة نشاطهم ،فضلا عن دخول عناصر متطرفة في عدائها للعرب والاسلام ضمن صفوف اعوانهم (2) ،قد جعل دورهم يكتسي بطابع آخر اكثر خطورة من اي مجال آخر .

ويتصل هذا الدور بمحاولة البرامكة تشجيع احياء المعتقدات الدينية من تراث الامم السالفة — الهندية والفارسية خاصة — ،وحتى لا يتحول دور البرامكة في هذا المجال الى مجرد اتهام يرميهم به حسادهم واعداؤهم للنيل منهم كما ورد في

---

(1) سأسبق الاحداث عندما اقول ان خطر هذا المد الشعوبي قد تسرب الى اغلب مقومات الحضارة العربية الاسلامية ،حيث كان اغلب الشعوبيين قد رموا كيدهم على العرب والاسلام معا ،فشوهوا وحدتهم الحضارية وحاولوا قطع استمراريتها .،كما انهم شككوا الامة في معتقداتها المقدسة انظر ، احمد امين ، ضحى ،ج1 ، ص 70—77،عبد العزيز الدوري ،الجذور ص54—66، هملتون جب ، دراسات ،ص 16،زهية قدورة ، الشعوبية ص127 وما بعدها ،صالح محمود سليمان ، الشعوبية ، ص 352— 403.

(2)— يدل على ذلك الظروف التى احاطت بشخصية " الفضل بن الربيع" المجوسي ، الذي ظل على ديانته زمنا طويلا وهو في خدمة ادارة البرامكة .،ولم يفكر في الاسلام — على مايظهر— الا بعد ان اشار له " يحى البرمكي " بما سيحصل عليه من امتيازات في الدولة حين يعلن اسلامه ،انظر ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 12 ،ص 399— 340، . ، ابن الاثير ، الكامل ،ج 6 ،ص256—257،المرزباني ، معجم ، 313،الزركلي الاعلام ،ج 5 ، ص 149 .

بعض الروايات التاريخية (1) . ارى من الضروري تتبع نشاطهم الديني وتقييمه ، ثم الحكم عليهم على ضوء الاستنتاجات المتوصل اليها .

واغلب الظن ان البرامكة لم يتركوا كتابات في مثل هذه المواضيع تمكن الباحثين من الوصول الى حقيقة أمرهم (2) ، ولكن الثابت حسبما تجمع لدي من روايات – ان موقفهم من قضايا الدين الاسلامي كان باهتا للغاية ، ولم أجد فيما بين يدي من نصوص ان احدا منهم قد حاول عقد مجلس للفقهاء واستشارتهم في المسائل التي كانت تطرح بجدية في عهدهم ، عكس ما هو مألوف لدى الخليفة " هرون الرشيد " الذي تصفه المصادر الجيدة بأنه كان على اتصال دائم بهم (3) .

(1) – تشير بعض المؤرخين الى ان اتهام البرامكة بالزندقة " والمروق عن الدين ، قد كانت احدى اسباب نكبتهم على يد الخليفة " هرون الرشيد " باعتباره امير للمؤمنين ومن اهم واجباته الدفاع عن دين أمته وصيانته من البدع انظر ما سيأتي ،

(2) – يمكن اعتبار انشغال البرامكة بتسيير دفة الحكم واهتمامهم بالدسائس والمنافسات السياسية قد عطلتهم عن ترك مصنفات تدل على اتجاهاتهم الفكرية و ميواهم العقائدية .، عكس ما كان مألوفا لدى كبار الاداريين والكتاب وقتذاك انظر ،

صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، طبعة لويس شيخو ، بيروت ، 1331هـ/ 1912م ص49 ، محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ط 1 ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنسر القاهرة 1326هـ/ 1908م ، ص173–210 ، محمد كرد علي ، (مجلة)(مجلد 7 ، جـ1 ، ص 21–27 .

(3) – انظر الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 247 ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 401 ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص 381 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 298 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 258– 259 ، احمد امين ، ضحى ، جـ1 ، ص 172 ،

وتجدر الاشارة الى أن الروايات التاريخية رغم ما تنسبه من مجد للبرامكة حيث تأتي في ذلك فضلهم على الدولة كما أشرت فانه لاتوجد عندي راوية صريحة يمكن الاطمئنان من خلالها الى حقيقة اهتمام البرامكة بشؤون الدين الاسلامي وهنا ملاحظتان اساسيتان تجعلان التشكك في مواقفهم تجاه هذه القضية أمرا واضحا وحقيقيا، أولاهما أنه لايوجد في قوائم أمراء مواسم الحج (1) اسم لأحد أفراد أسرة البرامكة رغم شيوع تدخلهم في كل مايمكن أن يكتسبوا من خلاله احترام الرعية

(1) امارة وفد الحجاج في كل موسم سنة جيدة أحيطت باحترام متزايد لدى المسلمين منذ تكوين دولتهم باديء ان الرسول (ص) كان أمير لموسم الحاج ولذلك فقد كان يعين اللأمر غالبا من كبار أعوان الخليفة المقربين وأحيانا كان يقوم بهذه المهمة الخلفاء أنفسهم كما حدث ذلك عدة مرات بالنسبة للخليفة هرون الرشيد ويفهم من الروايات التاريخية أن أبا مسلم الخراساني قد رغب في احدى مواسم الحاج بالأن الخليفة ان يمنحه الخليفة العباسي أبو العباس السفاح شرف امارة وفد الحاج الا أن الخليفة تحايل عن هذه الرغبة خوفا مما قد يترتب عنها من مكانة معنوية لهذا المؤ العموان في نفوس المسلمين أنظر الطبري تاريخ، ج 7، ص 468 ـ 469 اليعقوبي البلدان، ص 430 ـ 431، وابن الأثير، الكامل ج 4 ص 345 و،

- J. Jomier , Art (Amir Al Hadj): T.1. P 456 .

وثبت انهما يصحبهما ايضا ادراية تمتد دور البرامكة في مجال عالم الدين الاسلامي بالقياس الى ضخامة الروايات التي تطنب في ذكرهم عندما تتحدث عن الادوار الأخيرة التي قاموا بها كما وضحت سابقا . وعلى الرغم من مايلاحظ من اشارة بعض المصادر التاريخية (1) الى نية " يحيى البرمكي " في مجاورة الحرمين الشريفين قصد التعبد . الا أن هذه النية كانت متأخرة أي بعد أن تقدمت به السن وأصيبت سياسته بفشل كبير (2)

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج 3 ، ص 268 ، 273 — 274 .
ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 177) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 103 ، 113 .

(2) لم يرد فيما توفر لدي من روايات مايبين نية " يحيى البرمكي " في طلب الاستقالة من مناصبه قبل سنة 181هـ/ 717م .) وهي السنة التي يلاحظ فيها خروج بعض القضايا السياسية لهامة من يده نتيجة طموح ابنه " الفضل " وجعفر " لم يتمكن الشيخ من كبحها ، ولذلك استسلم الأمر الواقع .
قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج 3 ، ص 268 ، 293 ، ب ،
الجهشياري ، الوزراء ، ص 224 .

كما انه مــن المحتمل ان يكــون هذا البرمكــي قد شعر بتأنيب الضمير بعد نشاط ضخم مس به مستويات الدولة الاسلاميــة وفتن به جماعات من الامة (1)

ويأتي في طليعة الظواهر الغريبة التي اشــاعها البرامكــة فــي المجتمع العباسي ظاهرة التنجيم (+) التــي تتنافى مــع الشريعة الاسلامية (2)

ويروى ان "يحيى البرمكي" قد كان مــن المتضلعين في علم التنجيم واســراره (3) وقد تمــت برعايته ترجمات لبعض مصادر هــذا الفن ، يأتي في مقدمتها كتا ب

---

(1) — يدل على ذلك معجم الادعية التي وردت على لسانه استغفارا لله عن الذنوب التي اقترفها في حق الامة . انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 3 ، ص 292 + 293

(+) — تعني النظر الى النجوم والتنبوء بالاحداث قبل وقوعها . وعادة استعمال التنجيم والاعتماد عليه في اكثر الامور العامة عادة قديمة شاع استعمالها لدى ملوك الفرس وامرائهم ، وظهرت بوضوح في المجتمع العباسي خاصة في عهد نفوذ البرامكة ، حيث صارت وظيفة " المنجم " من الوظائف الرسمية في البلاط العباسي وقصور الوزراء والامراء ، كما صار " المنجم " يرافق رجال الدولة لاستشارته . . انظر ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 85 . ، ملتون جسب ، دراسات ، ص 84 ، كريستنس ، ايران ، ص 165 — 166 و انور الرفاعي ، الاسلام فــي حضارته ونظامه ط 2 ، دار الفكر ، دمشق 1402هـ / 1982م ص 659 — 661 عمر محمد سعيد فنان ص 134

(2) — روي عن ابي يوسف انه قال ، — ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة ، من طلب النجوم لا يسلم من الزندقة . ومن طلب الكيمياء لم يسلم من الفقر ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب . ، احمد امين ، فجر الاسلام ص 109 ، نقلا عن العقد الفريد ج 1 ، ص 199 .

(3) — ياقوت الحموي معجم البلدان ج 5 ، ص 308 ، الجهشياري الوزراء ، ص 248 — 249 .

المجسطي " (1)

والظاهر ان البرامكة قد اسرفوا في استعمال " الاسطرلاب" (+) واستشارته في اغلب اعمالهم وهي عادة غريبة عن المجتمع الاسلامي ، وعني بها في مجال البرامكة حيث عقدوا لها مجالس خاصة للتناظر والبحث حول حركة النجوم والكواكب متخذين آلة للرصد الفلكي تعرف ب " ذات الحلق " فكان يجتمع عندها المنجمون للخروج ببيانات يراعى احترامها والعمل على تطبيقها (2) .

---

(1) ـ اصل هذا الكتاب يوناني لرب بطليموس قلاوديوس او التلوذي " عاش في الاسكندرية في القرن الثاني الميلادي . ويعني عنوان كتابه باليونانية القديمة "مجال سنداكسيس" اي " النظام العظيم " وحسب الترجمة العربية لهذا الكتاب فانه يحوي ثلاثة عشرة مقالة في النجوم وحركات الكواكب . تناولها المسلمون بعد ذلك بالدراسة والتلخيص . وقد عرف هذا الكتاب عند الاوربيين بنفس الاسم الذي الحقه العرب عليه

وفي الحقيقة فان عملية ترجمة مثل هذه الكتب قد بدات قبل هذه الفترة ولكنها عرفت تطورا كبيرا في عهد البرامكة ، سواء كان ذلك في مجال التاليف والترجمة او في مجال استعمال هذا اللون من الفن في الحياة اليومية . انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 227 ، ينقل عنه جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج 3 ص 157 ، وابن جلجل ، تاريخ الاطباء ، ص 37 ، هامش رقم 6 . ، ابن كثير ، البداية ، ج . . = ، ص 175 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 5 ، ص 292 ، عمر محمد سعيد نظام ، ص 134

(+) ـ الاسطرلاب من اهم الادوات التي يستعملها المنجمون وهي عبارة عن آلة من آلات الرصد يرمز لعليها منجم يدعى " الاسطرلابي " ويروى ان اول من عمل به في تاريخ الدولة الاسلامية هو المنجم " محمد ابن ابراهيم الفزاري " انظر عمر محمد سعيد ، عهد نظام ، ص 134 . ،

×_ w, hrtner, EIe, Art(Asturlab), T1: . 744_749 .

وبأمر من البرامكة وصلت سفارة هندية الى بغداد من أهم أعضائها عالم شهير يدعى "مانكا"، الذي أحضر معه رسالة في الفلك تحمل عنوان "السندهانت" التي عربت فيما بعد بعنوان "السند هند" فكانت بذلك نواة لحركة التأليف في مثل هذا الموضوع في الحضارة العربية الاسلامية، ويستدل على ذلك بكتابات "ابراهيم الفزاري (1) الفلكية التي عثر عليها بعد ذلك في خزائن البرامكة.

---

(1) هو محمد بن ابراهيم بن محمد، عالم بالفلك وأول المترجمين لهذا العلم في التاريخ الدولة الاسلامية، ويروى انه اول من عمل "اسطرلابا" للنظر في النجوم، وكان يحيى البرمكي من المعجبين به ولا يستبعد أن يكون قد ألف كتبه تحت رعاية البرامكة التي كان منها كتاب "الزيج على سني العرب" "المقياس للزوال" و"العمل بالاسطرلاب المسطح" و"القصيدة في علم النجوم"، وهذه هي القصيدة التي يروى أنها وجدت عند البرامكة بعد نكبتهم.

قارن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص26، جميل نخلة المدور، حضارة، ص207، و، الزركلي، الاعلام، ج5، 293.

والذي يبدو أن البرامكة لم يقتصروا على المصادر المترفرة لديهم لاستخراج هذه المفاهيم المتناقضة من أصول الدين بل حاولوا ما يشير الى أنهم كانوا قد نشطوا في حركات البعثات الثقافية للاطلاع على أصول الديانات القديمة في الهند . ولا يستبعد أن يكون مشروع البرامكة قد كان يهدف الى اعادة الاعتبار الى ديانات أجدادهم واحياء الدور الذي كان يمثله معبد "النوبهار" في تاريخ الأمم السابقة للاسلام (2) وأرى أن مثل هذه المشاريع لم تكن تتم في الخفاء اذ هناك ما يبين صراحة أن البرامكة لم يترددوا في الجهر بما يخالج صدورهم من أفكار . واذا أمكن ادراج عقدهم مجالس اللهو والطرب والاسراف في مظاهر البذخ ضمن سياسة هدم مقومات الدين الاسلامي فان البرامكة قد بالغوا في ذلك وتجاوزوا حدود المعقول كما أشرت .

---

(1) يفهم من رواية ابن النديم أنه قد لاحظ في مقدمة أحد المؤلفات المهتمة بقضايا ملل الهند وأديانهم ما يفيد أن هذا أعمال قد تمت بايعاز من يحيى البرمكي انظر: ابن النديم ، الفهرست ص 409 .

(2) انظر ما سبق .

وفضلا عن ذلك فان هناك ما يبين ان مجالس الفكر والادب التى كانت تعقد باشرافهم غالبا ما تتحول الى منتديات منحطة وتسلك سبيل الزندقة والمروق عن الدين . (1) والملاحظ ان أغلب الشعراء الذين اتصلوا بهم قد كانوا من دعاة الإباحية والفجور ساعدهم فى ذلك تبني البرامكة لهم وشراء ذممهم بالأموال التى كانوا ينفقونها عليهم بدون حساب (2)

وبغض النظر عن تزكية هؤلاء الشعراء لسياسة البرامكة وترويجها فان الواضح انهم فقدوا كرامتهم وباعوا قرائحهم فى سبيل كسب مادي رخيص وذلك امالوحظ من تحول اتجاه الشعر

(1) انظر نموذجا من مجالس البرامكة عند المسعودي مروج جـ3 ص 331 – 379

(2) لا يستبعد أن يكون البرامكة قد شجعوا كتابهم على وضع مشاهد اللهو والطرب فى عهد الخليفة الرشيد رغبة منهم فى افساد أخلاق المجتمع العباسي عندما يسمع بأن الخليفة وحاشيته بلغوا الى هذا الحد من المجون والاستهتار بالقيم الأخلاقية . انظر أبو بكر بن العربي (المالكي) العواصم من القواصم تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة ، 1371هـ/1951م ص 251 .

الى الحد العباسي فيه الذي يجسد أعلى صور النفاق الـ[illegible]توري (1)

ومن المسائل التي أثارت [illegible] في المجتمع العباسي وزادت من الشك في نشاط البرامكة ضد الاسلام مسألة "[illegible]" التي أشاروا بتعليقها في الكعبة وغيرها من المساجد [illegible] على أنهم كانوا يهدفون الى محاولة استمالة المسلمين الى عبادة النار على طريقة الديانة المجوسية (2)

ولكن [illegible] بعض المؤرخين قد نفى اقدام البرامكة على هذا العمل على اعتبار أنه دعوة صريحة الى "المجوسية" لا يستطيعون [illegible] الاباحة بها في أشد الاماكن للمسلمين ،

---

(1) يكشف الدلالة [illegible] بعض ساقيل في مدح شخصية "الفضل البرمكي" الذي رفعه الشاعر أبو نواس "الى مقام لا يملك أحد من البشر" وذلك بقوله في قصيدة له من بحر ([illegible]) [illegible] في مطلعها :

أنت [illegible] الله [illegible] • [illegible] لأنك [illegible]

[illegible] على الله [illegible] • أن يجمع العالم في واحد

أنظر شوقي ضيف [illegible] الفن ، ص 162 ـ 163 نقلا عن ديوان الشاعر ، ص 146 .

سهيل زكار في مقدمته لكتاب العالم الاسلامي في العصر المغولي المشترك بارتول شبولر و دائرة المعارف الاسلامية مادة برامكة ، ج 1 ص 495 .

(2)- DOMINIQUE , OP . CIT. T1. P146.

الا انه بالقياس لحركة الزندقة التي شجعها البرامكة لايمكن
لاعتماد على هذا الرأي لتبرئة ساحتهم من الدور الهدام الذي مثلوه ،
ويبدو أن بعض المستنيرين ممن يمتلكون الجرأة الأدبية قد فطنوا الذلك
وحاولوا التصدي له ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفقيه الأديب محمد
بن الليث الخطيب (1) الذي كانت تربطه بالبرامكة علاقة جيدة
أن تكشف له الاحداث حقيقة أمرهم ، ويرى انه فى سبيل ايقاف زندقة
البرامكة كان قد عمل على اشعار الخليفة هرون الرشيد بخطورة
اهماله لشؤون رعيته بتركها بين أيدي وزارته البرامكة (2) ثم
أخذ فى محاصرة نشاط الزندقة

---

(1) كان البرامكة قد حاولوا التخلص من مضايقاته لهم فأدخلوه السجن سنوات حتى أطلقه الرشيد فيما بعد حين تبين له مسؤولية وزارته تجاه هذا الفقيه المسلم ، انظر ، الطبري ، تاريخ ج8 ، 283،

(2) أورد الطبري نص الرسالة التي وجهها محمد بن الليث الى الخليفة الرشيد ، يعاتبه فيها ويذكره بمسؤولياته تجاه الأمة ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 283 .

عن طريق الكتابة والتأليف (1)

وفي الحقيقة فانّه ما من شك في حدوث رد فعل عربي اسلامي كبير تجاه زندقة البرامكة ومحاولة نيلهم من الاسلام. ولسوء الحظ فانّ المصادر المتوفرة لدي نادرا ما تشير الى مثل هذه المواضيع، ولكن لدي مجموعة من القصائد تهاجم البرامكة هجوما عنيفا وتصفهم بالزنادقة الملحدين.

ففي القصيدة "الأصمعي" يشير الى أنهم كانوا من أتباع "مزدك" وأنهم يسعون الى بعث أفكاره في المجتمع العباسي المسلم.

---

(1) أورد "ابن النديم" قائمة بمؤلفاته ومنها كتاب يحمل عنوان "الرد على الزنادقة". أنظر ابن النديم، الفهرست، ص 134. مزدك: حركة دينية ظهرت في عهد الملك الفارسي قباذ حوالي سنة 487 م. وكان مزدك يدعو الى المذهب الثنائي القائل بأنّ العالم نشأ عن أصلين: النور والظلمة، وعن النور نشأ كل خير وعن الظلمة نشأ كل شر، وهذا المذهب كانت تدعو اليه أكثر من ديانة فارسية. على أنّ ما تميزت به تعاليم "مزدك" هي تعاليمه (الاشتراكية) بدعوته الى المساواة في المال والنساء على اعتبار انهما مصدر الشقاق بين الشعوب ولذلك طالب باباحتهما حتى تزول هذه الشرور. والملاحظ أنّ بعض مبادئه تشبه مبادئ الشيوعية المعاصرة ومن المرجح أن يكون هناك علاقة بينهما ومع أنّ مذبحة عام 523 م التي دبرها الملك قباذ لمزدك واتباعه تكاد تقضي على تعاليمه الخطيرة الا أنّ الملاحظ أنّها بقيت رائجة بين العناصر الفارسية لمدة طويلة. حول تفاصيل هذا الموضوع راجع الشهرستاني الملل، ج2، ص 86 - 87. الثعالبي غرر، ص 596 - 604. ابن الأثير الكامل ج1 ص 242، 255 - 256، ص 304، وأحمد أمين فجر، ص 109 - 111. كريستنسن، ايران، ص 247 - 302. محمد عبد السلام كفافي، في أدب الفرس، ص 227 - 229.

حيث قال فيهم، من البحر الوافر، البيتين التاليين: (1)

إذا ذكر الشريف في مجلس ، أضاءوا بنوء بني برمك
ولو تليت بينهم آية ، أتوا بالأحاديث من مزدك

وهناك قصيدة أخرى للشاعر، "الحميري" (2) يشير فيها الى دورهم في المجال الديني أيضا ، من (مجزوء الكامل)

تلك البرامكة التي ... أثارها أهل الخيار
آثار قوم السربيع ... متساجد ومنار
وقال يحي بيساع ... أشعاره السنوية بتهار
بيت يسود نسيه ... ويسند العجار
وبيت يسرى كفر ... يحيه تعظم النار

---

(1) ابن قتيبة ، المعارف، ص 382، والجهشياري ، الوزراء، ص 147،
(2) الحميري هو محمد بن وهيب، عربي الأصل نشأ في البصرة مركز الاشعاع الفكري، وقد ولد، وكان الشاعر بعد ذلك قد اتصل بالرشيد لقاء العباسيين ومدحهم حتى وفاته، في حوالي سنة 225هـ/ حوالي 840م،
أنظر ، المرزباني ، معجم الشعراء، ص 420، الزركلي الاعلام، ج 7 ، ص 134،
(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج 5، ص 308،

ونفس التهمة يوجهها عدو الشاعر العربي " ابو الشيص " (+) ، في قصيدة طويلة بالغة التجريح (1) . كما نص احدهم بان يحى البرمكي وابنائه كانوا يتمتعون عند سماعهم ذكر الزندقة ومذاهب الالحاد (2)

وفي الحقيقة فان هذه التهم لم تكن مبنية على مجرد عداء هؤلاء الشعراء البرامكة او محاولة النيل منهم كما يتبادر الى الذهن ، اذ هناك ما يثبت انهم ساهموا بطريقة مباشرة في تسهيل مهمة حفظ اخبار "مزدك " ومبادئه في المجالس الخاصة التي كانوا يعقدونها (3) .

والمهم ان هذا النقد الموجه لخطر شعوبية البرامكة وزندقتهم ، يدل دلالة واضحة على وعي حضاري جديد اخذ يفرض نفسه في حياة المجتمع العباسي (4) .

(+) — هو محمد بن علي بن عبد الله رزين (الخزاعي " ، نشأ في الكوفة ، واقام ببغداد ينافس شعرائها خاصة " ابا نواس وصريع الغواني " ، ولعل مصدر نقمة هذا الشاعر على البرامكة لا يرجع الى اعتزازه بعروبته فحسب بل يرجع كذلك الى الدور المشترك القائم بين البرامكة وهذين الشاعرين ، من اجل افساد اخلاق المجتمع بالدعوة الى اللهو والمجون .
انظر ، ابن المعتز ، طبقات ، ص 72 ، 83 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ص 233 ، و ، شادة " SCHADA " دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ابو الشيص ، ج 1 ، ص 259 — 260

(1) — نص القصيدة كاملة عند . ابن المعتز ، طبقات ، ص 33 — 36

(2) — البلاذري ، انساب ، (مخطوط) ورقة 1334 .

(3) — انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 186 ، جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 253 ، و ، الزركلي ، الاعلام ج 1 ، ص 27

(4) — انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 103 ، الصولي ، الاوراق ، ص 87 ، والجهشياري ، الوزراء ، ص 227 .

والملاحظ ان هذا الوعي والنقد سرعان ما تحول الى رد فعل عنيف وحاد ضد ابعد الاعتبار للدور الحضاري للعرب ، واثبت للشعوبيين زيف ما كانوا يدعون اليه (1) .

والظن ان هذا الوعي المتنامي تجاه مخاطر الشعوبية وزندقة البرامكة (2) ، قد كان له الاثر البالغ لا في الشك في اخلاصهم للدولة فحسب بل بل ادى الى الاطاحة بهم على يد الخليفة " هرون الرشيد " كما سأبين ذلك في الفصل التالي .

---

(1) — لعل المؤلفات التي كتبت باقلام عربية عقب هذه الفترة مباشرة ، ككتاب " الجاحظ " و " ابن قتيبة " خير دليل على تأكيد الاستمرار والوحدة في الثقافة العربية . انظر ، عبد العزيز الدوري ، الجذور ، ص 74

(2) — يدل على ذلك حديث الخليفة " هرون الرشيد " لاحد امرائه العرب الهاشميين حين اراد لفت انتباهه لخطر الشعوبية وزندقة البرامكة ، بقوله ، (..... اما والله لكاني انظر الى شؤبوبها قد همع وبارقها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد اورى نارا تسطع ، فاقلع عن براجم بلا معاصم ، ورؤوس بلا غلاصم فمهلا ، فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور اثناء ازمتها فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبط باليد لبوط بالرجل ....) ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 304

الفصل الثامن

نكبة أسرة البرامكة وآثارها

وذهب الشاعر "اشجع السلمي " الى ابعد من ذلك حين رثاهم بقصيدة اعتم
فيها ان فضيلة الكرم قد اختفت بذهاب البرامكة ، وذلك بقوله في مطلعها من "م

قَدْ سَارَ دَهْرٌ بَنِي بَرْمَكٍ + وَلَمْ يَدَعْ فِيهِمْ لَنَا بَقِـيَا
كَانُوا أُولِي الخَيْرِ وأَهْلِهِ + فَارْتَفَعَ الخَيْرُ عَنِ الدُّنْيَا (1) .

ويوشك هذا الشاعر ان يفقد الثقة فيمن سيخلفون البرامكة في تسيير الدولة لقلة كفاءتهم وعجزهم عن تحقيق السعادة للرعية (2) .

ويبدو ان البرامكة قد سلبوا عقول الشعراء حتى ظنوا ان الحياة لا تقوم الا بهم ، ويلمس ذلك من خلال ما قيل في رثائهم من قصائد ومنها قول الشاعر المنصور النميري ، في مطلع قصيدة له من بحر (مجزوء البسيط .)

أَنْدُبْ بَنِي بَرْمَكٍ لِلدُّنْيَا تَبْكِـي عَلَيْهِمْ بِكُلِّ وَادِ
كَانَتْ بِهِمْ بُرْهَةً عَرُوسًا فَأَصْبَحَتَ اليَوْمَ فِي حِـدَادِ (3) .

---

(1) المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 392 .
(2) جاء في مطلع احدى قصائده من بحر السريع ،
وَلِيَ عَلَى الدُّنْيَا بَنُو بَرْمَـكٍ فَلَمَّا تَوَلَّى عَلَى النَّاسِ مَا زَادَ
كَأَنَّمَا أَيَّامُهُـمْ كُلَّهَـا كَانَتْ لأَهْلِ الأَرْضِ أَعْيَادَ
انظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 392
(3) المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 391 ، وهناك رواية تفيد ان " امرأة جاءت الى جثة جعفر البرمكي " المصلوبة وتأملتها ثم انشدت قصيدة من بحر البسيط " جاء في مطلعها ،
العَيْشُ بَعْدَكَ مُرٌّ غَيْرُ مَحْبُوبِ وَمُذْ صُلِبْتَ وَمَقْتُنَا كُلُّ مَصْلُوبِ
أَرْجُو اللهَ ذَا الاِحْسَانِ إِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَيْنَا وَعَفْوًا غَيْرَ مَحْسُوبِ
انظر ، ابن الاربلي ، خلاصة ، ص 150 - 151 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 7 ، ص 159 ، ولهذه الشاعرة المجهولة ، وغيرها قصائد كثيرة في رثاء جعفر البرمكي ، انظر ، الاربلي ، تاريخ ، 151 - 152 ، والبغدادي ، تاريخ ، ج 7 ص 159 - 160

وبوازي الشاعر " الرقاشي " اسياده البرامكة بالعباسيين في رثائه لهم حيث قال (من بحر الطويل) ،

وَدُونَكَ سَيْفًا بَرْمَكِيًا مُهَنَّدًا ــ اُصِيبَ بِسَيْفٍ هَاشِمِي مُهَنَّدِ (1)

وقد بالغ هذا الشاعر في رثاء "جعفر البرمكي" مبالغة جعلته يفصح عما بداخله من نزعات "زندقة" تتعارض مع مقومات الدين الاسلامي (2)

ويلاحظ ان اغلب من رثوهم قد ركزوا على ظاهرة كرمهم غير المألوف ولذلك، فقد تحول رثاء هولاء الشعراء الى المدح ايضا (3) . وقد بالغ احدهم ، وهو الشاعر الملقب بالاعرابي الى الواحد انه وضعهم في صف الملوك الذين خانتهم الظروف وذلك بقوله في قصيدة له من "بحر الطويل "

لَقَدْ خَانَ هَذَا الدَّهْرُ اَبْنَاءَ بَرْمَكٍ + وَايُّ مُلُوكٍ لَمْ تَخُنْهَا دُهُورُهَا (4) .

---

(1) ــ اختلف المؤرخون والادباء في نسب هذه القصيدة ، فالجهشياري ، ينسبها الى " الرقاشي " ، في حين نسبها " المسعودي " الى الشاعر " اشجع السلمي " اما الطبري ، فبعد ان روى انها للرقاشي ، فقال انها تنسب لـ " ابي نواس " انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 236 ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص390 الطبري ، تاريخ ، ج10 ، ص87 ــ 88

(2) ــ جاء في احدى القصائد من بحر " الوافر " البيتان التاليان .

أمَا واللّهِ لَوْلاَ خَوْفُ وَاشٍ ± وعينٌ لِلْخَلِيفَةِ لاَ تَنَـامُ

لَطُفْنَا حَوْلَ جِزْعِكَ واسْتَلَمْنَا + كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتِلاَمُ

يقصد الطواف بجثة جعفر ، وتقبيلها تماما كما يفعل الحجاج المسلمون في بيت الله الحرام ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص236 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 4 ، ص 157 ــ 158 ، وينسب هذه القصيدة المؤرخ الطبري ، للشاعر المطوي ابي عبد الله الرحمان " ، انظر ، الطبري ، تاريخ ج 10 ، ص 88

(3) ــ من ذلك ما قاله الشاعر " سيف بن ابراهيم " في احدى قصائده من بحر الطويل " والتي جاء في مطلعها .

هَوَتْ اَنْجُمُ الجَدْوِيَ وَشُلَّتْ يَدُ النَّدَى + وَاَصْبَحَتْ بِحَارُ الجُودِ بَعْدَ البَرَامِكِ

هَوَتْ اَنْجُمٌ كَانَتْ لاَبْنَاءِ بَرْمَكٍ + بِهَا يَعْرِفُ الهَادِي طَرِيقَ المَسَالِكِ .

انظر ، الازدي ، تاريخ ، ص 305 ، الطبري ، تاريخ ، ج 10 ، ص88 ، في ينسبها المؤرخ المسعودي ،، للشاعر " سلم الخاسر " ، انظر ، مروج ج 3 ص ص 390 ــ 391

(4) ــ المسعودي ، مروج ، ج 3 ، 391

والمؤكد حسبما جاء في مصادر التاريخ والادب ان حجم مراثيهم كان كبيرا ، ويدل ذلك بوضوح على ما بلغته هذه الاسيرة من مكانة في الضمير الاجتماعي (1)

ويحتل الشاعر " الرقاشي " (2) الصف الاول من بين هؤلاء الشعراء ، حيث اعتبر نكبة البرامكة نهاية الحياة وملذاتها ، وظلت مظاهر التشاؤم تسيطر على قريحته في اغلب القصائد التي قالها في هذه المناسبة . ومنها قصيدة من "بحر الكامل " جاء

أيا سَبْتُ يا شَرَّ السُّبُوتِ صَبِيحَةً ... ويا صَفَرُ المَشْؤُومُ ما جِئْتَ أَشْأَمَا
أتى السَّبْتُ بِالأَمْرِ الذي هَدَّ رُكْنَنا ... وفي صَفَرٍ جاءَ البلاءُ مُصَمِّمَا (3)

وفي قصيدة اخرى له من "بحر الوافر " يرثيهم فيها بقوله ـ

عَلَى اللَّذَّاتِ والدُّنْيَا جَمِيعًا ... وَدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكِي السَّلَامُ
أُصِبْتُ بِسَادَةٍ كَانُوا نُجُومًا ... بِهِمْ نُسْقَى إِذَا انْقَطَعَ الغَمَامُ (4)

---

(1) ـ جاء على لسان احد الرواة (... ما اذكر اني نزلت مرة الى السوق الا ونظرت رقاع الاشعار معلقة على الحيطان في رثاء لجعفر وندبا له على الدنيا فيما لحق اهله ، انظر ، جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 353 .

(2) ـ عن تفاصيل حياته انظر ما سبق .

(3) ـ الطبري ، تاريخ ، ج 10 ، ص 87 ، سبت وجمعها الشاعر سبوت ويقصد بها يوم السبت من يوم شهر صفر ، اي اليوم الذي تمت فيه عملية قتل " جعفر البرمكي " كما اشرت سابقا .

(4) ـ الجهشياري ، الوزراء ، ص 236 ، الكتبي ، الوافي ، ج 3 ، ص 183 ، وجرجي زيدان ، تاريخ الادب ، ج 1 ص 388 ، وينسب صاحب العقد الفريد ، هذه القصيدة للشاعر " سليمان الاعمى " حيث اوردها كاملة في ثلاثين بيتا ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 70 ـ 71 ، اليافعي ، المرآة ، ج 1 ص 414 ـ 415 .

)

والوضح حسب ما تشير اليه الروايات ان الخليفة لم يعد يوكا جليل اعماله لغيره من الاعوان والكتاب رغم الظروف الصعبة التي نتجت عن سياسة : وزرائه البرامكة (1) وفي ذلك كان عليه ان يضحي بكل راحته ، ابتداء من عام 187هـ/ 802م (2) ، وذلك حين انشغل باخماد حركات الفتن والتمرد الذي كان يثيره سكان المناطق الشرقية من دولته (3)

وكان من عادة الشعراء تتبع من هذه الاحداث لتسجيل مظاهر البطولات في مثل هذه الاعمال الجليلة (4) ، غير ان شيئا من هذا لم يحدث نتيجة تاثير مفاجاة نكبة البرامكة وغيابهم على مسرح الاحداث على مايبدو •

ومن الصعوبة بمكان تصديق الاشاعة التي تزعم ان الرشيد قد امر بمنع الشعراء من رثاء وزرائه البرامكة بدليل استقباله لبعضهم بحفاوة ، واكرم بمثل ماكانوا يكرمون به من لدن البرامكة (5)

---

(1) ـ انظر ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ، 67ب ، وسامية توفيق ، الحياة السياسية ، ص243 • 246

(2) ـ عبر عن ذلك العباس بن الاحنف الذي كان ملازما للخليفة الرشيد في قصيدة من " بحر الخفيف " جاء فيها ـ

مَا أَنَخْنَا حَتَّى ارْتَحَلْنَا فَمَا نَفْرِقُ بَيْنَ المُنَاخِ والارْتِحَالِ
سَائِلُونَا عَنْ حَالِنَا اِذْ قَدِمْنَا فَقَرَنَّا وَدَاعَهُمْ بِالسُّؤَالِ

انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 121 ، أبو الفداء ، المختصر ، جـ 2 ص 17

(3) ـ اسرت في الفصل الخامس الى ان شرق الخلافة ـ في خراسان وماوراء النهر ـ قد كانت دائما تتمرد وقد عجز الفضل البرمكي عن اخمادها ومن غير المنطق ان يقبل تفسير هذا التمرد واثارة الفتن بعد نكبة البرامكة بانه كان تعبيرا عن سخط السكان لموقف الرشيد منهم ، انظر ، ابن الاثير ، الكامل جـ 5 ، ص127 ـ128 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص263 ، الذهبي ، تاريخ ، جـ1 ص94 ابن العبري ، مختصر ، ص130 ، السيوطي ، تاريخ ، ص 289 ، بلياييف ، العرب ، ص 267 ، دومنيك ، تاريخ ، ص 58 •

(4) ـ يلاحظ ذلك مثلا ، موقف الشعراء من اعمال البرامكة ، حيث كانوا قد خلدوا معظم اعمالهم في قصائد عدت اية في المديح ، انظر ، ما سبق

(5) ـ انظر ، الاصبهاني ، الاغاني جـ 8 ، ص 228 • ، البغدادي ، تاريخ ، جـ 3 ، ص157 ـ 158 ، ابن الطقطقي ، الفخري ص148 ـ 149 ، جرجي زيدان ، تاريخ الاداب ، جـ 2 ، ص 388 •

والمؤكد ان سقوط البرامكة ظل يحتل حيزا كبيرا من اهتمامات المؤرخين و يحظى باجتهاداتهم الكثيرة ،حتى وان كان بعضها غير مطابق للواقع (1) .

وبالاعتماد على المراسلات بين الخليفة الرشيد وسجينه "يحى البرمكي" نصل الى فكرة جوهرية لا مجال للنقد فيها وهي ان البرامكة قد اخطأوا فعلا وانهم دفعوا الثمن لذلك الخطأ (2) ومن ثم لم يعد هناك شك في ان الخليفة قد اقدم على مثل هذا الاجراء الخطير دون التفكير في ابعاده كما هو الشائع (3) .

ولئن كان هناك شك فلم يتعد كونه مجرد توزيع مشاعر الخليفة بين متطلبات السياسة ووازع الأخلاق القاضي بفضيلة الوفاء لهذه الاسرة التي تربطه بها علاقة حميمة منذ عهد الصبا . وذلك بدليل احتفاظه بذكراهم كأصدقاء وليس كرجال سياسة (4)

ومن الطبيعي ان تتغير العلاقة بين الخليفة الرشيد ورجال ادارته والا سيكون ذلك الاجراء ضد البرامكة لا معنى له .

ومما شك فيه ان الاشكال سيصيب الادارة المركزية بعد الفراغ المفاجيء الذي تركه اداريون اكفاء كالبرامكة ،لكن من الصعب تصديق الاشاعات التي تسبجل الاحداث التالية التالية الى السبب ذاته (5)

(1) ـ يقال ان احد الشيعة اتصل بالرشيد ليخبره يقول ابراهيم الامام زعيم الدعوة الدعوة العباسية من ان خامس الخلفاء بني العباس ـ وهو الرشيد ـ يغدر به كتابه " فان لم يقتلهم قتلوه " على حد تعبيره ،انظر ، ابن بدرون ،قصيدة ، ص234 .

(2) ـ انظر ،نموجا من المراسلات في الملحق ،رقم

(3) ـ تروج بعض الروايات الشعوبية ان الخليفة " هرون الرشيد " قد ندم على ما اقترفه من ذنب تجاه وزرائه البرامكة . انظر ،البيهقي ، تاريخ ،ص206 الاربلي ، خلاصة ،ص146ـ 148 .

(4) ـ انظر ،الاصبهاني ،الاغاني ،جـ 18 ،ص303 . ،

(5) ـ يروى ان الرشيد بعد موته ـ عام 193هـ/ 808م ،قد وجدت في خزانة قصره حوالي اربع الاف خريطة لم تفض . ،الجهشياري ،الوزراء ،ص265

واذا صحت الرواية فان هذا الاخير لا يرجع آثار البرامكة او الى الفراغ الاداري الذي تركوه في بلاط الرشيد ، بل يرجع الى انشغالات الرشيد بالاعمال السياسية خلال الست سنوات التي اعقبت نكبة البرامكة .

مثل ريع البرامكة على مـصالحهم ، ومن ثم عاشت دار الخلافة جوا محموما بالدسائس والمؤامرات اغلبها تدين البرامكة وتغري الرشيد على الاطاحة بهم (1) .

واصابع الاتهام تكاد تتجه صوب شخص واحد هو "الفضل بن الربيع" يتحمله اغلب ـــ بشقاء البرامكـــة . ومن الصعوبة بمكان تفسير سبب تركيز المؤرخين على هذا الشخص رغم وجود عناصر اخرى لوحظ عنها عدم ارتياحها لسياسة البرامكـة وتملك وسائل التأثير على الخليفة اكثر منه (2)

والمهم ان حجم السعاية ضد البرامكة كان كبيرا ومن غير المنطق ان نحملها لشخص واحد ، بدليل ورود تقارير سرية الى دار الخلافة من عناصر مجهولة (3)

ومع ذلك فان هذه المحاولات لم تفسر عن اية نتيجة ، حيث لم يكن الخليـفة الرشيد مندفعا وتغريه الدسائس ليتخذ اهم قرار خطير قبل سبر الاحداث وترصد الظروف الملائمة (4) .

---

(1) ـ انظر ، اليافعي ، مرآة ، ج 1 ، ص 411 ، ابن بدرون ، قصيدة ، ص 246 .

(2) ـ مثل زوجة الخليفة الرشيد ـ زبيدة ـ التي كانت تمقت سياسة البرامكة خاصة جعفر الذي أهان ابنها "الامين" امام وجهاء وكبار رجال الدولة وذلك اثناء تأديته يمين الوفاء لأخيه المأمون عندما بايعه المسلمين على ولاية العهد ، انظر ، ما سبق ،

(3) ـ انظر ، اليافعي ، المرآة ، ج 1 ص 411 ، ابن عبد ربه ، ج 5 ص 71 ـ 72

(4) ـ عبر عن استيائه هولاء السعاة احد الشعراء المجهولين بقوله في قصيدة من بحـــر "الرمل" جاء في مطلعها ـ

لَيْتَ هِنْدا انجَزَتْنَا مَاتَـــعِدْ + وَشَـــفَتْ . . . انْفُسَنا مِمّا تَجِـدْ

وَاسْتَبَدَّتْ مَـــرَّةً وَاحِـــدَةً + اِنَّمَا العَاجِـــزُ مَنْ لَايَسْتَبِـــدْ

تقول الرواية انها دست لأحد المغنيين ، ليسمعها الرشيد ، فيزيد حقده على وزرائه البرامكة ، انظر ، شلبي ، تاريخ ، ص 228 ، اعتمادا على احمد امين ، هارون ص 221 .

ولعل استمرار البرامكة في هذا الاتجاه هو ماحدا ببعض المؤرخين الـــى القول بأن عملية الاستغناء عن خدماتهم لم تكن قد بدأت بقتل " جعفرالبرمكي " عام 187هـ/802م ،وانما كانت ارهاصات التفكير فيها ترجع الى سنوات قبل ذلك (1) •

وبناء على ما تجمع لدي من روايات أرى وضوح موقف الرشيد يتحدد باستمرار تجاه وزرائه في أكثر من مناسبة ،وذلك حين كان قد حرمهم من امتياز الدخول عليه بغير اذن كما أمرغلمانه بعدم الوقوف للبرامكة كدليل على الانتقاص من شأنهم (2)

ولعل اهم حدث يمكن الاستعانة به لتفسير أسباب تطور الشك في سياسة البرامكة هو قضية "جيش البرامكة" الذي كونه الفضل في فترة وجيزة أثناء ولايته على اقليم خراسان (3) والذي لوحظ انه لم يكن غرض تكوينه من اجل الدفاع عن الدولة بل كان بمثابة احداث توازن استراتيجي في حلبة الصراع القائم بين اسرة البرامكة ومعارضيهم والذين فطنوا الى خطر

---

(1) ـ ترجع اعراض ذلك الى سنة 180هـ/796م عندما أخذ الرشيد يباشر اعماله دون سابق استشارة لوزرائه البرامكة ،وغالبا ماكانت تهدف تصرفاته الى محاولات تمهدية للحد من سيطرتهم ،مثل تعيين الرشيد جعفرا " على خراسان ثم عزله بعد عشرين يوما فقط ،وتعيين بدله عدوهم " علي بن عيسى " ليعمل على ضرب مصالحهم هنالك في الاقاليم الفارسية الموالية لسياسة البرامكة • انظر،
الطبري ،تاريخ ،ج8،ص262ـ267 ،ابن خياط ،تاريخه ج2 ،ص499 ،
البيهقي ،تاريخه ،ص441 ،ابن الاثير،الكامل ،ج5 ص102 ـ 103 ،
ابن التغري بردي ،النجوم ،ج 2 ، ص 99 •

(2) ـ انظر،الطبري ،تاريخ ،ج 8،ص 287ـ288 ،الاربلي ،خلاصة ص 145ـ146 وهناك من الروايات مايفيد ان يحى البرمكي قد صار يتردد في الدخول على الرشيد لازدياد مخاوفه منه ،انظر،الجهشياري ،الوزراء ص 227

(3) ـ انظر تفاصيل الاحداث التي احاطت بتكوين هذا الجيش في الفصل الرابع من هذا البحث •

وكان اسراف البرامكة في استغلال بيت المال والحرية المطلقة في تصريف الارزاق على النحو الذي سبق ذكره (١) مثار استنكار العامة والخاصة على السواء (٢) هذا فضلا عن صعوبة وجود توازن منطقي بين مظاهر الاسراف التي كان يعيشونها وبين التطور الاقتصادي للدولة عهد نفوذهم حيث لا يوجد تفسير لذلك غير اجتهاد البرامكة في جمع الضرائب بمختلف الوسائل دون مراعاة المصلحة العامة الشيء الذي ترتب عنه استنكار كبير ضد سياستهم من طرف كثير من العناصر المستنيرة في الدولة ممن كانوا يتمتعون بضمير حي لصالح خدمة العروبة والاسلام (٣).

ولئن كان عيب سياسة الرشيد اظهار موافقته على تصرفاتهم حياء منهم وحفاظا على حرمة العلاقة التي كانت بينه وبينهم ، فانه كان من الطبيعي ان يتلقى البرامكة انتقادات من المخلصين ممن تربطهم بهم روابط مصلحية.

بيد انه من الصعب تفسير رفض البرامكة مقترحات اصدقائهم فيما لو استبدت فكرة شعورهم المتزايد بقوة الدور الذي كانوا يمثلونه (٤).

---

(١)– انظر ، الفصل الخامس ، دور البرامكة الاقتصادي ،

(٢)– انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٧– البيهقي ، تاريخه ، ص ٧٢٢ ، ابن الوكيل احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٥٢ب ، ٥٢ب ٥٥ ا ، ابن خلدون ، المقدمة ج ١ ، ص ٤٤–٤٥.

(٣)– عبر عن شعور الرأي العام احد فقهاء بغداد – محمد بن الليث الخطيب برسالة وعظ وتحذير بعثها للرشيد ، يذكره فيها عواقب تركه المسؤولية رعاياهم بين يد وزرائه البرامكة – ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج ٢٠ ص ٨٠–

(٤)– عنف جعفر احد اصدقائه حين اقترح عليه تحويل شيء من اموال البرامكة الى بيت المال ، حيث قال (... والله ما اكل الخبز ابن عمك – يقصد الرشيد ... الا بفضلي و لاقامت هذه الدولة الا بنا والله لئن سالني شيئا من ذلك وبالا عليه سريعا ...) ، انظر ، الاتليدي ، اعلام ، ص ١٠٧ ، وما يشبه هذه الاجابة رواها بعض المؤرخين على لسان "يحي البرمكي" " ايضا ، انظر ، المسعودي ، مروج ج ٣ ، ص ٢٦٢ ، الجهشياري ، الوزراء ص ٢٢٧ .

والمتتبع لتاريخ الخلافة العباسية يرى بوضوح ان جل الأعوان والمستخدمين الاداريين الذين تسميهم بعض المصادر تجاوزا لـ باسم " الوزراء " غالبا ما اختيروا من الموالي (1) ،حتى يسهل على الخلفاء التخلص منهم او التنكر لخدماتهم اذا ما لمسوا منهم تدخلا او اعتداء على سلطتهم (2) . وتبعا لهذا الاختيار فقد ضاعت هيكلة الوزارة ولم تتطور كمؤسسة ذات قواعد ثابتة في تاريخ الخلافة العباسية .

وبالنظر الى الظروف الاستثنائية التى اوصلت البرامكة الى السلطة فان المؤكد حتى الآن انهم بالغوا فيما وصلوا اليه مستغلين كل الظروف لصالحهم ،حتي في الوقت الذي ابدى فيه الخليفة الرشيد استعداده الكامل لـ لأخذ زمام الحكم بنفسه (3) .

ولم يتوقف البرامكة عن مساعدة مواليهم والعناصر المشكوك فيها وفي ولائها للدولة في وقت كان التطور الحضاري للخلافة العباسية يفرض وجود من هم اهل لتلك المناصب من غير مواليهم ،ولذلك عمل هؤلاء على الانتقام منهم بمختلف الوسائل (4)

---

(1) ± انظر ما سبق

(2) _ مثلما حدث للوزير " ابي سلمة الخلال " في عهد الخليفة العباسي الاول " ابو العباس " وابو مسلم الخراساني في عهد الخليفة الثاني " ابي جعفر " ، ويعقوب بن داود " في عهد الخليفة الثالث " المهدي " ،انظر ،تفاصيل اخبارهم في الفصل الثاني

(3) _ انظر ،ابن الطقطقي ،الفخري ،ص156 ،اليافعي ،المرآة ،ج 1 ص410 ،

(4) _ ابسط مايلاحظ من وسائل الانتقام ضد ادارة البرامكة عزوفهم عن الاستمرار في خدمة الدولة ومحاولة اظهار عدم التعاون مع الخليفة الرشيد فيما يبقي الوضع كما هو عليه بيد هؤلاء الوزراء ،انظر ، ابن قتيبة ، الامامة ،ص195 _ 196 .

ومـــن الصعوبة بمكان تصديق الوشاية التي وصلت الى الخليفة الرشيد ضد عبد الملك التي تتهمه بالطموح الى منصب الخلافة ومساعدة البرامكة له ، وذلك لسببين أحداهما ندرة الكلام عن هذا الموضوع خارج تفسير المؤرخين اسباب سقوط البرامكة ، وثانيهما الزعم بان هذه الوشاية نقلت الى الرشيد عن طريق ابن "عبد الملك" وأميـــره (1) .

وتجب الاشارة ان مشكلة هذا الامير وتخوف الرشيد منه لم تطرح الا بعد ان كان الخليفة الرشيد قد نفذ خطته في تصفية وزرائه البرامكة ، ويدل على ذلك حجـــم المراسلات القائمة بينه وبين "يحى البرامكي" حول هذا الموضوع (2) وعلى ذلك يمكن القول ان هذه القضية مازالت تحتاج الى ما يدعمها حتى تقبل آخذ كاحدى بواعث تفسير تخلي البرامكة الخليفة الرشيد عن وزرائه البرامكة (3) .

وأظن ان الاستمرار في سرد اهم الروايات التي فسر بها المؤرخون اسباب نكبة البرامكة لا يقود الا الى استنتاجات سطحية ومتناقضة ايضا (4) .

ويبدو لي ان مناقشة هذا الموضوع لا تكون جادة ، الا عن طريق محاولة وضع الحادثة ضمن سياق الاحداث وتطور طبيعتها وتقدمها ، حيث ان مكانة اسرة البرامكة في نظر العباسيين وعلى رأسهم الخليفة الرشيد لا تتجاوز ان تكون نظرة السيد لمواليه الذين كان عليهم تقديم فروض الطاعة و الاخلاص المتفاني في خدمته .

---

(1) ـ اليعقوبي ، تاريخه ، ج2 ، ص424 ، الاتليدي ، اعلام الناس ص103 .

(2) ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 62 ب

(3) ـ هناك رواية مفادها ان الخليفة الرشيد قد حاول الافراج عنه عند سماعه تقرير رئيس شرطته حول موقف الامير "عبد الملك" منه ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج10 ، ص90 .

(4) ـ انظر الطبري ، تاريخ ج8 ، ص294ـ296 ، المسعودي ، مروج ج3 ص286ـ388 ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص114ـ 116 ، اليافعي ، مرآة ، ج1 ، ص409 الاتليدي ، اعلام ، ص 106ـ 107 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج2 ، ص115 ، محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية ، ص217ـ220 ، جاسم آل كلكاوي العلاقات ، ص12ـ13 ، محمد برانق ، البرامكة ، ص144ـ145

-Quatremere,op;cit;pp106-107, Bouvat,op;cit;p94.

Nikitta ,op;cit;pp135-136 .

ووصفها بأنها ذهبت ضحية موقف شريف هو مناصرة آل البيت من نسل علي بن ابي طالب وليس ضحية أخطائهم التي ارتكبوها في حق الدولة والمجتمع العباسي ، وقد فسر بعض المؤرخين سبب نكبتهم بالعلاقة التي كانت بينهم وبين الامير العباسي " عبد الملك بن صالح (1) رغم غموضها وعدم ثبوت صحتها عند اول محاولة لانتقادها (2)

فالأمير العباسي "عبد الملك" لم تصل به الحاجة الى هذه الدرجة من الانحطاط التي افقدته عزته وكرامته . كما انه لم يكن عاجزا عن اخذ حقوقه وبدون وساطة احد (2) . وفضلا عن ذلك فان الروايات التاريخية لا تشير الى اية علاقة بين البرامكة وبين هذا الامير خارج تفسيرها لأسباب النكبة ، مما يثبت عدم صدقها من جهة ومن جهة اخرى وضوح شعوبية بعض المؤرخين تقصد الحط من قيمة الامراء العرب العباسيين والتنويه بفضل البرامكة عنهم ، وكأنهم أولياء نعمتهم (3)

---

(1) ـ توفي عام 196هـ/811م ، وكان قد ولاه الخليفة الهادي ولاية الموصل عام 169هـ 785م وعزل عنها سنة 171هـ/ 787م ، وقد ارتبط تاريخ نشاطه في الحملات التي كان يرؤسها ضد البيزنطيين على الحدود الشمالية للدولة حتى عام 187هـ/ 802م حيث سجن بأمر من الرشيد لدوران الشك حوله ، انظر ، اليعقوبي ، البلدان ، ص423ـ 424 ، الأعلام ، جـ 4 ، ص 159

(2) ـ تتحدث بعض المصادر ان الامير عبد الملك لم تمنعه منزلته وتقواه من الدخول الى مجلس لهو وشرب " جعفر البرمكي " والجلوس اليه ليساعده على قضاء دين كان عليه والوساطة له عند الرشيد في توظيف ابنه على احدى الامارات وتزويجه باحدى بنات الخليفة ويروى ان "جعفر" قد لبى لمجميع المطالب بدون الرجوع الى الخليفة الرشيد . انظر ،
الجهشياري ، الوزراء ص212ـ 213 ، الاتليدي ، اعلام النساء ، ص 102 103 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 46 والياقعي ، مرآة جـ 1 ص405 ـ 406

(2) ـ انظر الازدي ، تاريخ ، ص264

(4) ـ نسبت قصة الامير " عبد الملك " الهاشمي مع اسرة البرامكة الى الفضل البرمكي ايضا مما يبين انها من وضع الرواة ولا أساس لها من الصحة ، انظر ، الازدي تاريخ ، ص262ـ 263 .

وتبالغ بعض الروايات في الحديث عن هذا الموضوع لدرجة زعمها انهم كانوا يجتمعون بهم في مناسبات كثيرة ، وان صلتهم بهم كانت قوية (1) .

وفي الحقيقة فإنه من الصعوبة بمكان تفسير موقف البرامكة من العلويين فيما لو استبعدت محاولتهم اتباع سياسة توفيقية تجاه التنافس الدائم بين الحزب العلوي والعباسي (2) .

ومن غير المنطق ان تفسير تقارب البرامكة من الحزب العلوي بطموحهم الى نيل شيء منهم حالة نجاح العلويين في نقل الامامة اليهم بدل العباسيين قياسا لما وصل اليه البرامكة من سلطة في عهد الرشيد : وهناك من الشواهد مايبين صراحة معاداتهم للحزب العلوي في اكثر من مناسبة ، وقد كان البرامكة على صواب حين كانوا يعتبرون خلافة الرشيد هي دولتهم وعز نفوذهم (3) ، ولذلك فانه من الصعب قبول فكرة مناصرة البرامكة للحزب العلوي ، وربما يكون مصدر هذا الاتهام محاولة بعض الشعوبيين تمجيد اسرة البرامكة (3) .

---

(1) — انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص 195 — 197 ، لمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ورقة 40 ظ ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، جـ 4 ، ص 160 — 161 ، ضيف الله بطانية ، العلاقات ، ص 344 — 348 ،

(2) — سمح البرامكة للشيعة والعلويين بمناقشة مواضيع حساسة في مجالسهم ، وقد اشرت سابقا الى ان احدهم كان رئيس المجالس البرامكة ، انظر ما سبق .

(3) — هناك مايفيد ان البرامكة قد حاولوا في بداية حكمهم عام 171 هـ / 787 م ، نفي اغلب العلويين من بغداد وتسريدهم ، وتتهمهم بعض الروايات انهم كانوا من المشاركين في قتل الزعيم العلوي في المغرب " موسى الكاظم " وتسميم " ادريس " اخ عبدالله العلوي في المغرب الاقصى . ، كما انهم كانوا يسمحون لشاعرهم " مروان بن ابي حفصة " هجاء العلويين في قصائد بالغة التجريح . ، انظر الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص 487 — 491 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 227 ، جاسم آل كالكاوي ، البرامكة ، ص 12 — 13 ، محمد برانق ، البرامكة ، ص 1441 — 202 ، وسهيل زكار ، تاريخ ، ص 51 — 52 ، رونيه باسيت ، دائرة المعارف الاسلامية مادة " ادريس " ، جـ 1 ، ص 544 — 545 .

والظاهر ان تحليلا كهذا لا يقتصر على الاعتماد على كرامة مؤرخ نابه كـ" ابن خلدون " فحسب بل يتجاوز الى محاولة انكار فعالية العادات والاعراف العربية التي كانت مقوسة وقتئذ (1) .

والمهم ان قصة " العباسة " وعلاقتها بـ" جعفر البرمكي " لا يمكن الاعتماد عليها لتفسير اسباب استنكار الخليفة الرشيد سياسة البرامكة ونكبتهم (2) ، ومن الاسباب التي شاعت لتفسير سقوط البرامكة ميلهم للحزب العلوي سرا ومساعدتهم على التمكن من دولة الرشيد (3) .

---

(1) — من بين اهم الاخطاء التي عدها الخليفة الرشيد العباسي " المنصور " عن ابي مسلم الخراساني اميره على خراسان ، وكانت احدى اهم اسباب غضبه عليه ، طلب ابي مسلم يد احدى الاميرات العباسيات . انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 6 ، ص 425 — 426 ، جـ 7 ص 491 ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ 4 ، ص 355 ، والخضري (محمد بك) ، تاريخ الامم ، ص 128 .

(2) — يدل على ذلك اختلافات المؤرخين ، وابداء شكهم فيما عندما يتعرضون لهذه المشكلة ، انظر الجهشياري ، الوزراء ص 243 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، جـ 3 ص 307 .

(3) تتناقض الروايات التاريخية عندما تشير الى ان " يحى البرمكي " كان يساند ثورة "عبد الله العلوي " في الديلم — التي اشرت اليها — ثم يكلف ابنه "الفضل بالقضاء عليه حين ارسله على راس اكبر حملة في تاريخ الخلافة العباسية ، وحسبما تجمع لدي من روايات الاحظ ان قضية يحى العلوي " هذه لا اساس لها من الصحة ويدل على ذلك اختلاف الروايات اختلافا بينا ، فهناك من يشير الى ان الرشيد قد اطلق سراحه بعد مناقشة طويلة معه . في حين يذكر بعضهم ان الخليفة قد عقد مجلسا خاصا للفقهاء وناظرهم في امكانية انتقاض عهد الامان الذي منحه لهذا العلوي بمقتضى الصلح الذي كان بينهما . وبعضهم ينسب اطلاقه من السجن الى الفضل البرمكي ، وليس الى جعفر كما شاع ذلك عند غيرهم والظاهر ان مصدر هذه الاختلافات لم يكن سوى محاولة هؤلاء المؤرخين ايجاد مبرر موضوعي لتفسير نكبة الرشيد للبرامكة ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 244 — 247 ، 251 . الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ص 471 — 472 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 144 ، ابن كثير ، الكامل ، جـ 10 167 — 168 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 26 ب .

وحسبما تجمع لدي من روايات فان أول من افصح على رأيه بوضوح في هــذه القضية هو المؤرخ ابن خلدون ،حين رفض القصة وفند الروايات ،اعتمادا على الاســس الاخلاقية والاعراف العربية وقتذاك وأقر صراحة ان تصديق صحة هذه القصة دليل على غياب روح النقد والتبصر لدى الرواة والمؤرخين الذين سبقوه (1) .

ويظهر ان هذا الرأي المتواضع من جانب مؤرخ يؤمن بفعالية الدين الاسلامي والتقاليد العربية الاصيلة في صيانة كرامة الشخصية هي التي اثارت حفيظة المستشرقــ كاتريمير Quatremere (2) ،حين كتب موضوعا ينتقد فيه حجج ابن خلدون ويتهمه بالتعصب والسفسطائية بدعوى انه مثقف ، نعم ولكنه لا يعرف قلوب الناس (3) ويمل بعد محاولات الى تصديق القصة اعتمادا على افكار جاهزة استوحاها من تاريخ المجتمع الاوربي (4) وانتهى بعد ذلك الى ان فكرة زواج اخت الرشيد من " جعفر البرمكي " لا يمكنه ازعاج اللياقة و الاداب في المشرق ،وان الاميرة العباسة لا يمكن ان تحس بأن سعادتها ... وكرامتها قد جرحت نتيجة هذا الاختيار (5) .

---

(1)ـ قال ابن خلدون بعد ان سرد موجز القصة " وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده ، ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها ...) ابن خلدون ،المقدمة ،جـ1 ، 43ـ44

(3)ـ حين اراد هذا المستشرق الاستدلال بأمثلة لهذه الزيجات عند المسلمين اعتمد على من عاصروه من باشوات الامبراطورية العثمانية في عهد انحلال حكامها وسيطرة النساء علـــى قراراتهـــم
-Quatremere,op;cit;pp106-107.

(4)ـ جاراه في هذا الراي بعض المستشرقين ممن تستهويهم شواذ الروايات للاعتماد عليها في الدس وتشويه اعلام الدولة العربية الاسلامية وقادتها انظر ،
-Qatremere, op; cit; p 106;

فضلا عن ذلك فانه من الصعوبة بمكان وجود رواية تتحدث عن فكرة الزواج الصوري في تاريخ الخلافة العباسة خارج تفسير المؤرخين اسباب نكبة البرامكة • وحتى ولو قبل ذلك فانه من غير المنطق الا يلاحظ الرشيد آثار الحمل على اخته وهي تجالسه باستمرار كما هو الزعم •

ولذلك فانه من الصعب اعطاء قيمة تاريخية لهذه القصة لدوران الشك حولها لدى كبار مؤرخي التاريخ الاسلامي (1) ،فضلا عن رفضها من جانب بعض من كانوا معاصرين للاحداث حيث اعتبره ذلك من افكار العامة السذج (2)

واغلب الظن ان مصدر هذه الرواية لم يكن سوى من وضع احد المجان من اصدقاء البرامكة اراد هو الآخر مشاركة الراي العام تفكيره في الاحداث والمناقشات القائمة في دار الخلافة (3)

---

(1) ـ اليعقوبي ،صاحب كتاب البلدان ،و ،التاريخ ، والبلاذري في كتابه انساب الاشراف لم تنل قصة العباسة اهتماما لديهما ،ولمؤلف مجهول في كتابه العيون يبدي كثيرا من الشك عند ايراده لمختصر القصة • ،اما الطبري فقد اوجز ذكرها استنادا على غيره كعادته •

(2) ـ سئل احدهم عن الاسباب التي جعلت الخليفة الرشيد يقدم على مثل هذا العمل [• • •كانك تريد ما تقوله العامة فيما دعوه من امر المراة ،لا والله مالشيء من هذا اصل • •) الرواية لعبيد الله بن يحى بن خاقان حين سال "مسرورا "الخادم ايام الخليفة المتوكل ،انظر الجهشياري ،الوزراء ، ص254 • •

(3) ـ لعل سوء حظ العباسة في موت من تزوجها في بداية شبابها اوجد فكرة تشاؤم العامة منها • • ،ومن ثم نسبوا بسبب موت " جعفر البرمكي " الى زواجه بالعباسة بدليل قول ابي نواس

لَا تَقْتُلْـــــهُ بالسَّيْـفِ + وَزَوِّجْـــــهُ بِالعَبَّاسَة

انظر ، عمر فاروق ، ابو نواس جـ 2 ص 32

وتنتهي تفاصيل المشدة عند وقوف الرشيد على حقيقة الامر المزعوم ، وتذمره من خيانة مولاه "جعفر البرمكي " لشرف العائلة الهاشمية الحاكمة ومن خيانة اخته العباسة التي داست التقاليد العربية وقضت على حرمتها (1) .

والملاحظ ان هذه الروايات لا تتفق مع الاحداث التاريخية ويرفضها الواقع جملة وتفصيلا . فالعباسة كانت متزوجة باحد وجهاء العائلة الهاشمية وهو " محمد بن سليمان " امير البصرة ، وحتى عام 173هـ/ 789م وهي السنة التي توفي فيها هذا الامير كانت العباسة " قد تزوجت بعده بأمير آخر من بني العباس وهو " العباس بن صالح بن علي " (2) .

ولم تكن اخت الرشيد هذه من المكانة العلمية وسعة الثقافة ما يجعل الخليفة لا يستغني عن مجالستها (2) وقد يكون ذلك صحيحا فيما لو نسبت القصة لاخته الثانية علية " ذات النشاط الثقافي الهام بين حريم قصر الخلافة (3)

---

(1) — تزعم بعض الروايات ان الخليفة الرشيد قد تظاهر بقضاء فريضة الحج لموسم عام 187هـ/ 802م فقصد مكة ليتحقق فيما حكت له زوجته زبيدة في امر ابناء العباسة التي ارسلتهم الى حاضنة هناك . فوجد الموضوع صحيحا ومن ثمة اظهر العداوة للبرامكة وامر بقتل جعفر البرمكي كما اشرت سابقا ، اما العباسة فكان مصيرها الاعدام حرقا . ، " النار والعار " حسب تعبير احدى الروايات . انظر الطبري ، تاريخ جـ 8 صـ 294 ، المقدسي ، البدء ، ص 105 ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 114 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 156 . ، ابن التغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ص 115 ، ابو الفداء ، مختصر ، جـ 2 ، ص16 . ، خاوند شاه ، روضة ، ص136 ،

(2) — انظر ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص380 .

(3) — الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني ، المهتم بكل كبيرة وصغيرة حول مثل هذه المواضيع لم تنل العباسة شيئا من الاهتمام عنده . كما ان فكرة مجالسة الرشيد ومناداته النساء غير واردة في كثير من المصادر التي اعتمدت عليها .

(4) علية (160 — 210هـ/ 777 — 825م) وقع هناك خلط بين العباسة وعلية اختها . ، في بعض المصادر التي حسبت الاسمين لمسمى واحد . ، والوقع فانهما اسمان لبنات المهدي ، وان " العباسة " ليست " علية " لورود الاسمين ضمن جملة بنات المهدي في المصادر الاساسية . ، انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون جـ 3 281 . ، الاربلي ، خلاصة ص 91 . ، وقد كانت علية على خلاف العباسة ، شاعرة ولها ديوان شعر ابدعت فيه ، كما كانت تحسن الغناء وتعلمه لغيرها من حريم البلاط العباسي ، الزركلي ، الاعلام ، جـ5 ، ص 35 .

التي زادت من حيرة المؤرخين الذين راحوا يبحثون عـــن الاسباب التي جعلت الرشيد يسلـــك هذا المسلك، وقد ادرك بعضهم الصواب ،واخفق منهم من كان يحمل افكارا مسبقة عن الخليفة ودولته فظلت تفسيراتهم سطحية ومثيرة للدهشة في آن واحـــــد

وقد احتلت العلاقة المزعومة بين " اخت الرشيد " وجعفر البرمكي " طليعة اسباب تفسير نكبتهم ،بدعوى ان الخليفة لم يكن يصبر على غياب احدهما في مجلســـه وانه في سبيل الوصول الى حل ذلك اثر تزويجهما زواجا صوريا لا يحل منه غير نظر كـل منهما الآخر . ،وتتمادى الروايات في سرد القصة لتصل الى ان عملية الاتصال بينهما قد كانت تتم سرا وبمجهود من " العباسة " نفسها حتى انجبت منه (1)

وحدث ان اضمرت " زبيدة " ـ زوجة الرشيد ـ العداوة ل " جعفرالبرمكي " فكشفت لزوجها تفاصيل العلاقة بينهما ،وطلبت منه التأكد بنفسه حين ابدى رفضه الكامل للموضـــــــــوع.

---

(1) ــ تزعم الروايات ان "ام جعفر" كانت تدخل عليه كل ليلة جارية ،فاتصلت بها العباسة واقنعتها بضرورة ادخالها عليه متنكرة في زي احدى الجواري ،وانه حين افاق جعفر من سكره ،وكشفت له العباسة حقيقة امرها ،امتعض " جعفر " وانب امـه ويبدو ان مثل هذه الروايات صعبة التصديق ولعل القصد منها محاولة بعض الرواة الشعوبيين تلفيق القصص للمس بشخصية العباسة اخت الرشيد ،انظر، المسعودي ،مروج ،ج 3 ،ص364ــ 387
الطبري ،تاريخ ج 8 ،ص 294 ، ابن الاثير ، الكامل ،ج 5 ،ص114 ،
اليافعي ،مراة ج 1 ،ص408ــ 409
الاتليدي ،اعلام الناس ص105ــ 107و ، لموءلف مجهول ، مختصر ، ورقة 49 ،خواندا مسير ،حبيب السير ،ص806 ،

ومهما يكن فا لشائع ان "يحي البرمكي" قد توفي عام 190هـ / 805م عن عمر يناهـز السبعين سنة نتيجة مرض اصيب به خلافا لما تدعيه بعض الروايات الشعوبية من انه مات بتاثير السم الذي وضع له في السجـن (1) .

واظن ان موقف الرشيد اتجاه وزرائه وعزمه التخلص منهم ثم سكوته عن تقديم مبررات موضوعية عن ذلك (2) ، قد كانت من اهم العوامل

---

(1) ـ ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 66 ـ 68 ، ابن بدرون قصيدة ، ص 238 و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 162 ،

(2) ـ تزعم بعض الروايات ان الخليفة الرشيد قد تعرض لعدة استفسارات عن سبب نكبته لوزرائه البرامكة من طرف عدد كبير من المقربين اليه فكان يتهرب من ذلك بقوله (... لو علمت ان قميصي يعلم السبب لمزقته ..) انظر ، ابن بدرون ، قصيدة ، ص 235 ، اليافعي ، مرآة ، ج 1 ص 411 ، والا ربلي ، خلاصة ، ص 146 . ، وحسبما تجمع لدي من الروايات الآخذ ان موقف الرشيد قد كان واضحا وان قراره بخصوص وزرائه كان حاسما لا رجعة فيه بدليل بقاء يحي البرمكي حتى آخر ايامه متشبثا بالحياة على امل الافراج عنه كما تؤكد ذلك العديد من الرسائل بينه وبين الخليفة ، مما يبين حدة المشكلة وصرامة الخليفة في حلها . انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 252 ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج 4 ، ص 60 ، 213 ، 215 ، ج 5 ، ص 60 ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق ، ص 198 ـ 201 ، حسن خطاب الوكيل ، عبرة في ايام الرشيد ، ص ص 58 ـ 67 .

وفي الحقيقة فان ذلك لم يكن سوى ترويج دعائي لا اساس له من الصحة فلا السجون وقتذاك كان بامكانها ان تستوعب هذا الحشد المبالغ فيه ، ولا الدولة كانت تشرف على مثل هذه المؤسسات الاجتماعية حيث كانت لا تتجاوز مأوى غير منظمة يفرض على اهل السجين رعاية سجينهم (1)

وفضلا عن ذلك فانه من الصعوبة بمكان وجود رواية صريحة تتحدث عن استمرار وجود شخص من البرامكة عدا الفضل " وابيه " يحى " وعلى العكس من ذلك فان المصادر الموثوق بها عندما تتحدث عن هذين الشخصين تبين انهما عوملا معاملة حسنة بالسماح لاقاربهما ومواليهما بزيارتهما ، فضلا عن اتصال الشعراء والندماء لخدمتهما والترفيه عنهما (2) .

وهناك ما يثبت أن "يحى البرمكي " لم يسجن بقرار من الخليفة الرشيد وانما وضع تحت الاقامة الجبرية في منزله ، وانه بناء على طلبه امر على دخوله السجن بجانب ابنه " الفضل " بعد اخذه تعهدا من الخليفة بأن لا يمس بضرر (3)

(1) _ انظر هادي علوي ، السياسة الاسلامية (الفكر والممارسة) ، دار الطليعة بيروت ، 1394هـ / 1974م ، ص150 ،

(2) _ ابن المعتز ، طبقات ، ص256_ 257 ، والطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 296 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص115 ، والاربلي ، خلاصة ، ص147_148 ابو الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص 16 ، 6

(3) _ انظر الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 296 ، و ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص115 الجهشياري ، الوزراء ، ص 240 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 143

ويروى انه حين وصلت اليه اخبار الحادثة بادر في تدبير خطة لم تفصح المصادر التاريخية عن غايتها وذلك حين روت خبر اعلانه عن اجتماع طارئ لاغلب افراد العائلة (2)

ولعل هذا الموقف من جانب البرامكة كان سببا في اعتقال بعضهم خشية اثارة البلبلة في اوساط العامة (3)

ومن الصعوبة بمكان تصديق الروايات التي تضخم الحادثة حين تتحدث من حشد البرامكة ومواليهم في السجون • وتصور معاناتهم فيها نتيجة المعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها على ايدي السجانين (3) •

---

(1) - يستفاد من الروايات ان عدد البرامكة المجتمعين قد بلغ 25 نفرا ،عدا جعفر الذي كان قد اعدم ،قارن ،ابن قتيبة ،الامامة ،ص 200 ، و ابن عبد ربه العقد ،ج 5 ، ص59- 60 •

(2) - انظر ،الطبري تاريخ ، ج 8 ، ص 296 ،و ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص306 • ابن خلدون ، كتاب العبر ،ج 3 ، ص223 •

(3) - انظر ،المسعودي ، مروج ،ج 3 ، ص 393- 394 • ، لمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ، ورقة 49ب ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص111 ، ابن بدرون ، قصيدة ،ص 231- 232 ، اليافعي ، مرآة ،ج 1 ،ص412 •
وتبالغ بعض الروايات في الحديث عنهم الى حد رواية بعض القصائد نسبوها اليهم خطأ ،ومنها القصيدة التي جاء في مطلعها من بحر " الطويل "

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ اَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الاحْيَاءِ فِيهَا وَلَا المَوْتَى

والواقع ان القصيدة للشاعر اسمه " مطيع بن اياس " قالها حين سجن في عهد المهدي ، قارن ،الجهشياري ، الوزراء ،ص 260 ، ب المسعودي ،مروج ج 3 ،ص392 و ب المرتضي، امالي ، ج 1 ،ص145 ،

خطيرة عن امن اقليم خراسان التي تعتبر من الوجهة النظـــرية تحت ادارة ومسؤوليـــة "جعفر" (1) .

ويروى ان "جعفرا" حين اكتشف المؤامرة كان الوقت قد فات ولم يعـد بوسعه سبيل للنجاة غير محاولته اليائسة لاقناع الخادم بمراجعة سيده . وبصرف النظر عن وجود هذه المحاولة ام لا ، فالثابت ان عملية الاعدام قد نفذت فعلا وان الخليفة لم يتردد في ذلك قـط (2) .

واظن ان هذا القرار غير المتوقع قد احدث ضجة كبيرة في اوساط بغـداد قبل ان يصل خبره الى شيخ البرامكة "يحى" الذي كان قد ركن الى الراحة في بيته (3)

---

(1) — انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 115 — 117 . ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 109 ، و ، ابن بدرون ، قصيدة ، ص 232 — 234

(2) — توضح الروايات التاريخية ان "جعفرا" البرمكي قد تودد للخادم "مسرور" واخذ يمينه بالجاه والمال ليراجع الخليفة الرشيد في قراره . وقد حاول هذا الخادم تنفيذ ما اقترح عليه "جعفر" دون جدوى ، للمزيد عن هذا الموضوع راجع ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 295 — 296
المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 287 — 234
ابو الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص 16
ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 61 . ،
ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 197
لمؤلف مجهول ، مختصر ، (مخطوط) ، ورقة 149
ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 3 ، ص 223

(3) — تقول الرواية ان "يحى" بعد سماعه الخبر اغتاض غيضا شديدا وقال ، (... هكذا تقوم الساعة " انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 309 ، ولنفس الكاتب الامامة ، ص 200 ، والطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 299

من الملاحظ ان البرامكة قد بلغوا من الجاه والسلطان ما أمكن تسميته بـ" دولة داخل دولة " ، وكانت الاحداث تسير نحو تثبيت هذه الفكرة لولا ظهور حادثة مفاجئة غيرت مفهوم هذا الاتجاه تغييرا جذريا .

ويتمثل ذلك في الانقلاب غير المتوقع من طرف الرشيد ضد وزرائه البرامكة الذي قرر دون تردد تنفيذ عملية قتل "جعفر البرمكي" (1)

وبغض النظر عن الظروف التي احاطت بعملية الاغتيال هذه (2) فان المرجح انها نفذت في سرية تامة ، مما أثار فضول الكثير من المؤرخين ، فنسجوا حول الموضوع قصصا يصعب تصديقها لاختلاط الخيال بالواقع (3) ومن ذلك ان "جعفرا" قد استدعي ليلا الى قصر الرشيد بعد ان جرد من حرسه الخاص بدعوى ورود تقارير

---

(1) — نفذ ذلك على يد احد خدام الرشيد "مسرور" او " ياسر" على اختلاف الروايات ، وكان ذلك يوم السبت من مستهل شهر صفر عام 187هـ/ 802م ، ويروى ان خادمه قد اندهش لأوامر سيده ، وارتبك لولا جدية الرشيد وموقفه الصارم ، انظر التفاصيل عند ،
ابن قتيبة ، العيون ، ج 3 ، ص306 ، الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص294 — 296 الجهشياري الوزراء ، ص235 — 236 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص115 ، 127 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 7 ص160 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص157 ، ميرخا وند شاه ، روضة الصفا ، ص 177 .

(2) تصور الروايات ان جعفرا البرمكي كان ساهرا في حفلة غناء مع مغنيه ، ابو زكار الاعمى ، الذي كان ينشده البيت التالي من بحر " الوافر " —

فَلاَ تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتىً سَيَأتِي عَلَيْهِ المَوتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي

وان جعفرا قد حاول مماطلة الامتثال لاستدعاء الخليفة له ، لولا اصرار الخادم المكلف باحضاره . انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 117 ، الاصبهاني الاغاني ، ج 7 ، ص227 — 228 ، ولمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ، ورقة 149 .

(3) — انظر الاتليدي ، اعلام الناس ، ص109 — 110 .

ونفس الفكرة صرح بها أحد الشعراء المجهولين ممن انطقه كرم البرامكة ، دون أن يكون مؤهلا لقول الشعر على ما يظهر (1) ، كما يلاحظ ذلك من خلال مطلع القصيدة التالية (من بحر الطويل) ،

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ جَنْدَلَ جَعْفَراً   وَنَادَى مُنَادِي الخَلِيفَةِ يَا يَحْيَى
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأَسُّفِي   عَلَيْهِم وَقُلْتُ لانَ لاَ تَنْفَعُ الدُّنْيَا (2) .

وهناك قصائد لشعراء غير معروفين ، تجاوزا تجاوبوا مع مأساة البرامكة ونكبتهم ، وظلت قصائدهم متداولة بين العامة وهي لا تخلو من جودة وفائدة (3) .

وممن استحسن شعرهم في رثاء البرامكة شاعر غير معروف جاء في مطلع احدى قصائده من بحر الكامل

ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي اكْنَافِهِمْ   وَبقِي الذِينَ حَيَاتُهم لاَ تَنْفَعُ (4)

---

(1) — جاء في مطلع قصيدته من (مجزوء الخفيف) ما يلي ،

يَا بَنِي بَرْمَكٍ وَاهًا لَكُمْ   وَلاَ يَامِكُمُ المُقْتَبِلَة
كَانَتِ الدُّنْيَا عَرُوسًا بِكُمْ   وَهِيَ اليَوْمَ ثَكُولٌ أَرْمَلَة

وردت القصيدة دون تحديد اسم قائلها عند كل من ،

المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 391 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 140

(2) — الازدي ، تاريخ ، ص 311 ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 122 .

(3) — قال احدهم ، (من مجزوء البسيط) ،

إِنَّ المَسَاكِينَ بَنُو بَرْمَكٍ   صُبَّتْ عَلَيْهِم غِيَرُ الدَّهْرِ

انظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 389 .

(4) — القصيدة طويلة تقول الرواية انها وجدت معلقة على احدى جدران ابنية البرامكة انظر ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 13 ، وقد تكون هذه القصيدة قد نظمت لنكبة البرامكة على نسج قصيدة للشاعر " لبيد بن ربيعة " الذي يقول في مطلع قصيدة له ، من " بحر الخفيف " ،

ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أكْنَافِهِمْ   وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً   وَيُعَابُ قَائِلُهُم وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

انظر ، الجاحظ ، البيان ، ج 1 ، ص 180 .

وتبعا لفعالية نكبة البرامكة وآثارها في نفسية الشاعر "ابي حزرة الاعرابي" (1)، تنبأ بضياع مستقبل "آل الربيع" وكأنه يحملهم تبعية مالحق بالبرامكة حيث قال ،

مَا رَمَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكٍ لَمَّا ... انْ رَمَى مُلْكَهُمْ بأمرٍ بَدِيعِ

انَ دَهْراً لم يَرْعَ حَقًا لِيحْى ... غَيرُ رَاعٍ حَقًا لِآلِ الرَّبِيعِ (2)

وتجاوزت المبالغة في تصوير حال البرامكة بعد النكبة الى درجة جعلت من الشاعرة "عريب البرمكية" (3)، تزعم انها وصلتها من اشعارهم ما يبين حالهم في السجن حيث قالت "من بحر الخفيف" ،

سَألُونا أنْ كَيفَ نَحْنُ فَقُلْنَا ... مَنْ هَوَى نَجْمُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ

نَحْنُ قَومٌ أصَابَنَا عَنَتُ الدَّهْرِ ... فَظلنا لريبه نستكين (4) .

---

(2) ـ المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص393 .

(3) ـ حول هذه الشاعرة الماجنة والمغنية الحاذقة ، انظر الفصل السادس من من هذا البحث ، ص

(4) ـ لم يكن هذان البيتان لاحد من البرامكة بل هما جزء من قصيدة كاملة للشاعر "الحسين بن الضحاك" يرثي بها الخليفة العباسي "الامين" بن هرون للرشيد" انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 21، ص 60ـ 61 .

وما ينسب لهذه الشاعرة قولها في احفاد البرامكة مطلع القصيدة التالية "من البحر البسيط"

كَأَنَّهُمْ وَبَنُو الغَوْغَاءِ حَوْلَهُمْ دُرٌّ وَمُشَخْلَبٌ فِي الأَرْضِ مَنْثُورُ (1) •

وخرج الشاعر "ابو العتاهية" (2) عما سار فيه معاصروه من الشعراء الذين ظلوا مستمرين في رثاء البرامكة والحصر على فراقهم فجعل من هذه الحادثة عبرة (3) لمن تستهويه ملذات الدنيا عن ذكر ربه عندما قال في مطلع احدى قصائده "من بحر البسيط"

قُولاَ لِمَنْ يَرْتَجِي الحَيَاةَ أَمَا فِي جُعْفَرٍ عِبْرَةٌ وَيَحْيَاهُ

كَانَ وَزِيرَيْ خَلِيفَةِ اللّهِ هَارُونَ هُمَا مَا هُمَا خَلِيلاَهُ •

وفي آخر القصيدة له يقول "من بحر المتقارب" ،

فَطُوبَى لِمَنْ تَابَ بَعْدَ غِرَّةٍ فَتَابَ قَبْلَ المَمَاتِ طُوبَاهُ (4)

---

(1) ــ مشخلب ، مفردها مشخلبة وهو خرز ابيض يشاكل اللؤلؤ ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 241 ،

(2) ــ ابو العتاهية اسحق اسماعيل (130 ــ 211 هـ / 747 ــ 826 م) من فحول الشعراء في العصر العباسي الاول نشأ في الكوفة ثم رحل الى بغداد حيث اشتهر فيها وكانت علاقته جيدة بالخلفاء العباسيين منذ عهد الخليفة المهدي ، ويروى انه تعفف وزهد في الدنيا في عهد الرشيد لما لاحظه من مظاهر الاسراف واللهو اللذين شجعهما البرامكة في البلاط العباسي وفي المجتمع العباسي •
انظر ، اويستروب Oestrup دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، ابو العتاهية ، جـ 1 = ص 377 ــ 378 •

(3) ــ حاول بعضهم اتخاذ قضية البرامكة ونكبتهم محورا لنسج القصص وتنظيم القصائد و نسبها اليهم لتكون عبرة يستدل بها في الحياة •• انظر الاربلي ، خلاصة ، ص 163 ، و ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 83 ب •

(4) ــ الازدي ، تاريخ ، ص 306 ، الطبري ، تاريخ ، جـ 10 ، ص 87 ــ 89

وفي نفس الغرض نظم الشاعر " علي بن ابي معاذ " رايته الشهيرة في العبرة والموعظة حين قال (من بحر الطويل) ،

يا أيُّها المُغتَرُّ بالدَّهرِ   والدَّهرُ ذُو صَرفٍ وذُو غَدرِ
إذا كُنتَ ذا جَهلٍ بتَصرِيفِهِ   فانظُرْ إلى المَصلُوبِ بالجِسرِ
فإنَّ فِيهِ عِبرةً فاعتَبِرْ   يا ذا الحِجا والعَقلِ والفِكرِ (1)

كما استغلت حادثة نكبة البرامكة لوعظ المسؤولين وقتئذ حتى يقوموا سلطانهم ويكفوا عن ظلم الناس (2) .

واذا كان هؤلاء الشعراء قد ظلوا على ولائهم وآثارهم عن بقية الوزراء حتى وصلوا بهم الى اكثر مما يستحقون (3) ،فانه على العكس من ذلك بالنسبة لطبقة اخرى من الشعراء الذين كانوا يعتبرون حادثة نكبتهم جزاء لخيانتهم وغدرهم بالدولة التي وضعت كل ثقتها فيهم (4)

---

(1) ـ القصيدة طويلة تصور البرامكة في نفس شاعري مؤثر ، انظر
المسعودي ،مروج ،ج 3 ،ص 389ـ390 .

(2) ـ جاء في احدى القصائد الشاعر ـ غير معروف ـ البيت التالي ،(من بحر السريع)
كانَ لنا في أمرِهِم عِبرةٌ   فليَعتَبِرْ ساكِنُ ذا القَصرِ ،
تقول الرواية انها وجدت امام باب القصر ـ علي بن عيسى بن ماهان ـ احد كبار رجال الدولة في عهد الرشيد ،في نفس اليوم الذي قتل فيه جعفر البرمكي انظر ،
المسعودي ، مروج ،ج 3 ، ص 389 ، .
بن بدرون ،قصيدة ، ص 234 .

(3) ـ يتعذر وجود شخص او اكثر في تاريخ الدولة الاسلامسة ،نال من اهتمام الشعراء والادباء ما ناله البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية ، .

(4) ـ انظر ،نماذجا من هذه القصائد ، عند كل من ،ابن المعتز ، طبقات ،ص72 83ـ86، الجهشياري ، الوزراء ،ص 47 ،ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 308 .

والملاحظ ان اغلب الشعراء الذين ردوا على مراثي البرامكة كانوا قد عاتبوا هذه الاسرة على موقفها من الدين الاسلامي خاصة (1) ، وذلك بسبب ما بذله هؤلاء من مجهود في حماية مظاهر الترف والبذخ المؤدية الى المس بمقومات الدين والاخلاق العامة ، فضلا عن اجتهادهم في احياء تراث الامم القديمة الديني الذي يتعارض مع الاسلام (2) .

ولم تكن آثار نكبة البرامكة قاصرة على الشعر وحده بل هناك الكثير من القصص والروايات المنسوجة عنهم وردت اغلبها في مصادر الادب .

وتجب الاشارة الى ان هذه الروايات اخذت طابع الاساطير الخيالية والتي ظلت متداولة على مر الزمن وحتى هذا العصر ، وذلك بسبب اهتمام بعض الرواة الشعوبيين بشواذ القصص المثيرة للدهشة والتعجب في نفسية السامعين امعانا منهم في تشويه تاريخ الدولة الاسلامية وسمعة القادة العرب (3)

---

(1) — قال امام اللغة العربية وراوية العرب " الاصمعي " قصيدة من بحر " السريع "

اِذَا ذُكِـرَ الشِّرْكُ فِي مَجْلِسٍ اَضَاءَتْ وُجُوهُ بَنِي بَرْمَكِ
وَلَوْ تُلِيَتْ بَيْنَهُمْ آيَـةٌ اَتَوا بِالأَحَادِيثِ عَنْ مَزْدَكِ

الجهشياري ، الوزراء ، ص 47 .

(2) — انظر ، ما سبق .

(3) — مثلما هو الحال بالنسبة للخليفة (هرون الرشيد) ، الذي ظلت الروايات الشعوبية توصم جبينه بالعار لموقفه الصارم من وزرائه البرامكة . انظر مثلا الرواية المنسوبة الى الرشيد حين نكبهم ، انه قال " ... لا آمن والله من اغراني بقتل البرامكة ما رأيت رخاء بعدهم ولا وجدت لذة ... وودت والله لو شطرت عمري وغرمت نصف مالي وملكي واني تركت البرامكة على امرهم ..) انظر الاربلي ، خلاصة ، ص 148 .

والملاحظ ان خيال هؤلاء الرواة قد ذهب الى ابعد حد في نسج الاخبار عن هذه الاسرة وقد اتخذ منحنى خطيرا في تاريخ الخلافة العباسية ، يتضح اصاحا كبيرا في محاولة تمجيد دور البرامكة في التاريخ وتخليد ذكرهم بكل الصفات الحميدة وتصويرهم على انهم ذهبوا ضحية التعصب العربي (1) .

وبغض النظر عن الامثلة التى يتعذر احصاءها (2) فان اي بحث في مثل هذه المواضيع لا يعتمد على النقد العلمي البناء لتراث البرامكة ، فانه لا يوصل الباحثين الا الى استنتاجات سطحية وبعيدة كل البعد عن الموضوعية التاريخية (3) .

وليس من المنطق اعتبار نكبة البرامكة سببا لكثير من الاحداث التى توالت على الخلافة العباسية بعدهم حيث لا يمكن الجمع بين فساد ادارة الرشيد بعد البرامكة كما هو الشائع وبين انتصاراته في اغلب الاحداث التى خاضها (4) .

---

(1) — انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص205
البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 132
ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 62—65
الاربلي ، خلاصة ، ص163
محمد احمد برانق ، البرامكة ، ص 283— 286 .

(2) — انظر على سبيل المثال ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 39 ب
الجهشياري ، الوزراء ، ص242— 243 .

(3) — حاولت قدر الامكان ان لا اعتمد الروايات عن البرامكة قبل مقارنتها ببعضها وعرضها على غيرها خلال تتبعي لدور البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية .

(4) — اشاع بعض المؤرخين أن اغلب حركات الفتن التى وقعت في اواخر عهد الرشيد ترجع الى سبب تخليه عن وزرائه البرامكة ، وفي الحقيقة فان لهذه الحركات كثورة "رافع بن الليث" و "الثورة الخرامية" بأذربيجان ، اهدافها ولا علاقة لها بنكبة البرامكة . انظره الطبري ، تاريخ ج 8 ، ص 314 . 319— 320 و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 120 ، 122 ، 127 .

والمؤكد ان " الفضل بن الربيع" عدو البرامكة كما يوصف عادة " قد اصبح على رأس الادارة المركزية بعد نكبة البرامكة ، ولا يعني ذلك ان الرشيد قد استغنى عن الاداريين ذوي الخبرة ممن كانوا في خدمة البرامكة ، اذ هناك ما يثبت انه استعان حتى باخلص اصدقائهم وهو "سهل بن هارون " الفارسي الاصل مما يوضح سماحة هذا الخليفة وحسن نيته ويفند مزاعم الشعوبية التي تتهمه بالتعصب العربي ضد الفرس (1) .

كما ان ذالك يخفف من اتهام الروايات لـ "الفضل بن الربيع " وتساعد على الفهم الجيد لأسباب تحامل المؤرخين عليه (2) .

ويبدو ان البرامكة قد تركوا في نفس الخليفة المأمون " 198 — 218هـ / 812 — 833م) ، ذكريات حسنة حيث كان يتحدث عنهم في مجالسه باحترام واعجاب (3) .

ولا يستبعد ان يكون لوزيره " الفضل بن سهل " صنيعة البرامكة دورا في رعاية مصالح بقية اسرة البرامكة وهم الذين كانوا سببا في رفعه الى المقام الاول ضمن صفوف الاداريين (4)

---

(1) — جاء على لسان "سهل بن هرون الرواية التالية : ... وبعث الي" الرشيد ، فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر في تجفيف ريقي ، فقال ، ياسهلا من غمط نعمتي وجانب موافقتي اعجلته عقوبتي ، اذهب فقد احللتك محل "يحى بن خالد " ابن قتيبة و الامامة ، ص 201 — 200

(2) — لعل مرجع تحامل المؤرخين على الفضل بن الربيع يرجع الى تحميله سبب اشعال الفتنة بين الخليفة "الامين " واخيه "المأمون " ولا صلة لها بموقفه تجاه البرامكة وما يبين شعوبية بعض هؤلاء المؤرخين اهمالهم للدور الذي مثله الفضل بن سهل في تزكية هذه الحرب ، وذلك حين كان يحرض المأمون ويغريه بالثورة ضد الامين وهو اغراء بالغ الحدة لا يتكافىء مع ما قام به الفضل بن الربيع ، انظر :
الطبري ، تاريخ ، جـ8 ، ص 364 وما بعدها
ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 134 ، 138 ، 50
صالح محمود سليمان ، الشعوبية ، ص 171 ،
امينة بيطار ، تاريخ ، ص 100 — 106

(3) — البغدادي تاريخ ، جـ 14 ، ص 130 ، ابن الركيل ، احسن المسالك ، ورقة 134

(4) — عن نشاط هذا الوزير راجع ، البيهقي ، تاريخ ، ص 190 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 165 ، القمي ، الكني ، 231 ، سرور ، الحياة ، ص 222
صالح محمود ، الشعوبية ، ص 171 — 172 ، سامية ، الحياة ، ص 246

والدلائل تشير الى ان هناك اسماء لافراد من اسرة البرامكة قاموا بادوار في احـــداث الفتنة بين الاخوين " الامين والمامون " في السنوات ما بين عام (190- 198هـ/ 809 -813م) (1)، كما ورد اسم " موسى بن يحيي البرمكي " كوال على احدى الثغور الشرقية الهامة، وان ابنه "عمران " قد خلفه على الولاية بعد وفاته عام 221هـ / 835م (2).

وهناك اسماء لبعض افراد اسرة البرامكة ومواليهم لعبوا ادوارا مهمة في خلافة المامون قبل ان يقدم هو الاخر على نكبة وزيره الطموح " الفضل بن الربيع" (3).

والملاحظ ان الخليفة المامون قد اتعظ من تجربة ابيه الرشيد المريرة مع وزرائه البرامكة، ولذلك فانه لم يعد يسمح لاحد من اعوانه حمل لقب " الوزير" كما انه لم يعتمد عليهم في اكثر المسائل حيوية (4) . تجنبا لما قد يترتب عن ذلك من تزيد سلطة هؤلاء الاعوان فتكرر عملية نكبتهم عند ما يحس الخلفاء بتعارض سلطتهم مع نشاط كتابهم .

---

(1)- انظر، الجهشياري، الوزراء، ص 227، 290، و،
سامية توفيق عبد الله، الحياة، ص 236- 281.

(2)- انظر، البلاذري، فتوح، 625-626
البغدادي، تاريخ، ج 14، ص 130، اليافعي، المرآة، ج1، ص 426.
ابن الوكيل، احسن غلمسالك " (مخطوط)، ورقة 67 ب - 168

(3)- انظر، الطبري، تاريخه، ج 8، ص 564- 565
ابن الاثير، الكامل، ج 5، ص 150 - 191

(4)- عرضت وظيفة الوزارة على احد اعوان الخليفة " المامون " بعد مقتل " الفضل بن الربيع " فرفض هذا العرض متعللا بقوله " .. لم ار احد تعرض للوزارة وسلمت حاله "
انظر، احمد امين، ضحـــى، ج 1، ص 130، نقلا عن ابن طيفور، المنظـــوم والمنثـــور، ص 1125 .

وأرجح ان تكون لنكبة البرامكة ثم "آل سهل " من بعدهم الاثر الكبير في غموض العلاقة بين الخلفاء واعوانهم من الاداريين والكتاب ،فضلا على انها كانت سببا في زهد الكثير منهم في هذه الوظيفة (1) ، كما كانت سببا في ضياع هيبة الوزارة والوزراء عبر الاجيال التالية في تاريخ الخلافة العباسية وغيرها • حتى صار موضوع نكبة هؤلاء الكتاب الاشقياء موضوع حديث الخاصة والعامة (2) •

ولم تصبح عملية رفض هذه الوظيفة من طرف الكتاب شائعة فحسب ،بل صارت مثار سخرية وتهكم لدى المجتمع الاسلامي بعد ذلك بكثير (3) •

---

(1) — قارن الجاحظ ،البيان ، ج 2 ، ص 74ب ، احمد امين ، ضحى ، ج 1 ، ص 130 ،و ب ، محمد كفاني ،في ادب الفرس ،ص 36—37 ، 248—249•

(2) — عبر عن ذلك ساعر مجهول ،في قصيدة من بحر الطويل جاء فيها /

اسرك انّي نلت ما نال جعفر   من الملك او نال يحي بن خالد
دعيني تجيني منيتي مطمئنة   ولم اتكلف هول تلك الموارد

وفي هذا المعني يقول الشاعر " ابوجبيبات " شاعر اهل الكوفة (من مجزوء البسيط)

اسواْ العالمين لديهم   من تسمى بكاتب او وزير

انظار ، ابن النديم ، الفهرست ، 134— 135 •

(3) — بلغ من استهتار الغامة بها اللقب ،الى درجة انه كلن يعرض في الساحة العامة ببغداد "قرد مدرب" يعرض عليه صاحبه مختلف الوظائف فيقبلها ،عدا وظيفة " الوزير" اذ يومي القرد بالرفض والاستنكار ،ويصيح بين يدي صاحبه فيضحك المتفرجون ، انظر ، التنوخي (ت 373هـ / 983م) ت شوار المحاضرة ، ج ، 1 ،ص 114• واحمد امين ، ضحى ، ج 2 ،ص43،وهذا الازدراء لوظيفة الوزير نجدها في ادب الفرس ايضا ،وهذا بعد سلسلة النكبات التي حلت بالوزراء في تاريخ الخلافة العباسية • ، انظر ،محمد كفاني ،في ادب الفرس وحضاراتهم ، ص 36—37 النص الفارسي و ،ص 248—249 ، ترجميته العربية•

ومهما يكن من أمر ما وصلت اليه حالة الوزراء ، فان فكرة نكبتهم على يد الخلفاء قد استمرت معالمها واضحة لا في تاريخ الخلافة العباسية فحسب بل في تاريخ الخلافة الاموية في الاندلس ايضا ، مثلما حدث لأسرتي " بني سراج " (1) و " بني المصحفي " في الاندلس (2) ، فضلا عن ما وقع لكثير من كبار الاداريين والكتاب في بلاد المغرب العربي (3) .

---

(1) - اسرة بني سراج / احدى الاسر الهامة ذات النفوذ السياسي الواسع .. حيث شغل بعض افرادها حجابة ووزارة في دولة " بني عباد " الذين استغلوا بدولتهم في اشبيلية فيما بين (414هـ 484هـ / 1023 - 1091) ، ونافسوا قرطبة حضاريا ونازعوها الدور القيادي في الاندلس ، وقد نكبت هذه الاسرة ، على يد احد ملوك دولة بني عباد ، وكانت اشبه بنكبة البرامكة ، انظر -
المقري (احمد بن محمد) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج1 ص 414-415 ، ج 2 ، ص116 ، 164 ، ابراهيم بيضون ، ، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، 1980 ، ص380 ، العبادي ، في التاريخ ، ص 465 ، 467 ، سيبولد ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، بني سراج ، ج 11 ، ص333
(2) - بنو المصحفي ، اشتغل كبير العائلة " المصحفي " ، حاجبا ورئيسا لوزراء الخليفة الاموي بالاندلس " الحكم الثاني المستنصر بالله (350- 366هـ / 961- 976م) وفي بداية عهد ابنه هشام المؤيد حيث كان " المصحفي " من الاوصياء على الخليفة هشام الطفل ؛ الى جانب رئيس الشرطة الشاب الطموح " محمد بن ابي عامر " الذي عمل على ازالة الوزير المصحفي بمساعدة " صبح " ام الخليفة ؛ وكانت التهمة الموجهة الى الوزير هي استغلاله لاموال الدولة في شؤونه الخاصة وانتهى به الامر الى نكبته وحبسه في السجن عام 372هـ / 982م ومتابعة ابنائه بالتصفية ومصادرة الاموال ، اسبه بما وقع للبرامكة بالمشرق ، وقد رثاهم الشعراء لما لحادثة نكبتهم من مفاجئة حيث قال احدهم (من بحر الخفيف)

قف قليلا بالمصحفية واندب مقلا اصبحت بلا اناس
ولكم حذر الردى فصمملنا لا امان لصاحب السلطان

انظر ، المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 379 - ج2 ، ص 17-18 ، 124-126 و ، ابراهيم بيضون ، الدولة ، ص341 - 349 .
(3) - انظر ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 7 ، ص 258 ، 325 ، 351 ، 360 .

وحتى ما بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) غالبا ما كان الوزير ينكب ويخضع لمعاملة مهينة ، وقد أخذ شان الوزارة في الانحطاط عندما اضطر الخلفاء الى تسليم سلطاتهم الى الامراء المتغلبين الذين كانوا قد وظفوا كتابا حملوا في بعض الاحيان لقــــب " الوزير " (1) .

ومن غير المستبعد ان يكون لنكبة البرامكة وغيرهم من الوزراء في العصور التالية الاثر الواضح على المنظرين السياسيين في تاريخ الدولة الاسلامية ، فالماوردي (ت 450هـ 1058م) الذي يعتبر لحد الآن أول من وصلت كتاباته في مثل هذا الموضوع يلاحظ من خلال حديثه عن الوزير المفوض تاثير دور " يحى البرمكي " في القوانين والنظريات التي وضعها هذا الكاتب لشخصية الوزير ومهامه (2) .

وفي سبيل تجنب الصراع الماسوي لهؤلاء الوزراء مع الخلفاء والسلاطين حاول الكاتب " الماوردي " تحديد سلطة الوزير وحقوقه على الخليفة آخذا بعين الاعتبار جل الاراء التي حددت كتفسير لاسباب نكبة البرامكة (3) .

ومن الصعوبة بمكان الاستمرار في محاولة تتبع آثار البرامكـــــة في سياسة الدولة الاسلامية ، على ان المؤكد لدي ان ذكرياتهـــم استمرت ماثلة في الحياة الاجتماعية لسكان العالم الاسلامي خلال العصور التالية وقد حمل لواء ذكراهم كثيـــر ممن كانوا ينتسبون اليهـــم (4) وعلى رأسهــــــــــــــــ

(1) — انظر ، الاربلي ، خلاصة ، ص 100 ، دومينيك ، الحضارة ، ص 192 ، محمد صفر الزهراني ، نظام الوزارة في الدولة العباسية ، مؤسســـة الرسالـــة الرياض ، 1400هـ / 1980 ، ص 7 ، محمد فائق نجم ، طبقات ، ص 88 — 89 .

(2) — الماوردي ، قوانين الوزارة (سياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ط 1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1391هـ / 1971م ، ص 173 — 175 .

(3) — الماوردي ، قوانيـــــن ، ص 175 — 177 .

(4) — السمعاني ، (عبد الكريم بن محمد) كتاب الانساب ، نشـــر مرغليوث ، مطبعة المشرق ، طبعة حجرية ، لندن ، 1331هـ / 1912م ، ص 75 — 76 .

النـــــديم المشهــــور " جحضـــــة " (1) • والمؤرخ الكبيـــر "ابـــن خلكان (2)؛ وفضلا عن ذلك فان المصلر المصادر المعتمة بتاريخ الثقافة في البـــلاد ألاسلامية قد ظلت تطلق اسم " زمن البرامكة " و " ايام البرامكة " على كل ما هـــو جـــيد ومرغوب فيه (3) كما نسب اليهم المؤرخون اجود انواع الثياب واغلاها ، وقـــد حمل اسم البرامكة نوعا من البخور والعطر العربيين (4) [illegible]

[illegible]

(1) ـ هو احمد بن جعفر بن موسى بن يحى البرمكي (224 ـ 324هـ / 839 ـ 936 نديم ومغن واديب ،من اهل بغداد ،كان راوية للاخبار ،نغدم نادم الخليفة [illegible] العباسي المعتز والمعتمد ،وله كتبا عديدة اغلبها في التنجيم والموسيقى ،كما كان من كبار شعراء عصره واليه تنسب القصيدة التي جاء في مطلعها (من بحر الطويل)

انا ابن اناس مولى الناس جودهـم   فاضحوا حديثــا بالنوالي المشهر
فلم يخلومن احسانهم لفظ مخبـــر   ولم يخلو من تقريضهـــم بطن دفتر

انظر ،تفاصيل اخباره عند ،ابن خلكان ،وفيات ، ج 1 ، ص 41 ومابعدها • القالي (ابوعلي) كتاب ذيل الامالي والنوادر ،الكا المكتب التجاري ،بيروت ، بت ، ص 99، المرزباني ، معجم ،ص 455 ، ابن الاثير ،الكامل ،ج 6 ، ص 256، الزركلي ،الاعلام ، ج 1 ص 107•

(2) ـ ابن خلكان ، (احمد بن محمد البرمكي) ، (608 ـ 681هـ/ 1211 ـ 1281م) ولد في بلدة اربل ودرس في حلب ثم في دمشق ،عمل نائبا لقاضي قضاة القاهرة عام 336هـ / 1238م ، ثم عين قاضي قضاة دمشق ، وولي التدريس في كثير من مدرسها ،ويعد كتابه " وفيات الاغيان وانباء ابناء الزمان ، من اهم المصادر في التراجم والاخبار ،وقد نال البرامكة ـ اجداده ـ حظا وافرا ،وكان من اهم مصادري عنهـــم ، ولذلك فقد ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات اجنبية لاعتماده على مصادر هامة لا يزال بعضها يعد من المفقودات ،انظر ، بروكلمان ، دائرة المارف الاسلامية ،مادة " ابن خلكان " ج 1 ص157ـ158 الزركلي ،الاعلام ،ج 1 ،ص 220• و

(3) ـ انظر ،ابن النديم ،الفهرست ،ص 136 ، 170 ، 304 ، ابن الوكيـــــل احيين المسالك ، (مخطوط) ،ورقـــــة 165 ،محمد فائق نججم ، طبقات ، ص67ـ 69 •

(4) ـ (4)-Quatremere, op.CIT.P119.

ويقول هذا المستشرق انه اطلع على مخطوطتين تحمل الاولى عنوانا " البخور البرمكيات تحت رقم (mss arabe,1036.Fol.176 R°) والثانية بعنوان " برمكيـــة رفيعة تحت رقم (Fol.117 R°) بيدا انه لم يشر الى اي المكتبات تنتمي هذه المخطوطات •

كما ظلت كثير من المحلات والاحياء تحمل اسم البرامكـــة تخليدا لذكراهم فـــــــي تاريـــــخ الدولة الاسلاميـــــــة (1) •

ففي بغداد مثلا ظلت احدى اسواقها تحمل اسم " سوق يحى " وكذلك كان اسمه يطلق على احد ابولب مدينة " بلخ " لفترة طويلـــــة) (2) ، كما بقيت آثار ابنيتهم القوية ماثلة حتى مطلع هذا القرن (3)

واليوم في بلاد الشام لا يزال اسم " البرامكة " يطلق على احد الاحياء الهامة من مدينة دمشق ، وقد ارتبط اسمهم هناك بفضيلة الكرم ، ويدل اسم " جعفر البرمكي " في الجزائر على من يستاثر برايه ويحاول فرضه بالقوة ، اما في مصر فان مصطلح " تبرمكت" تعني في الاوساط الشعبية والسياسيةة استناد الامور الى غير اهلها •

وتجاوز ذكر البرامكة حدود البلاد الاسلامية ليصبح ذائع الصيت بفضل السمعة التى احرزوها من خلال كتاب " الف ليلة وليلة " (4) ، وقد الف لا " لا هارب مسرحية عن البرامكة عرضت في المسرح الفرنسي عام 1778 (5)

---

(1) ـ قـــارن ،
السمعانـــــي ، كتاب الانســـاب ، ص 76 • ب ،
ابـــو حيان ، الامـــــــتاع ، ج3 ، ص 153 •

(2) ـ انظر الاصطخري ، المسالك ، ص 155 •

(3) ـ قام احد الباحثين "الاب الكرملي" بدراسة اثرية عن منطقة "السن" لبغداد واكتشف ان هناك بعض آثار قصور البرامكة لا تزال شاهدة عليهم ، انظر ، الكرملي ، السن ، (مجلة) ، ص 304 •

(4) ـ تاليف ضخم في عدة مجلدات يتضمن العديد من القصص والحكايات اغلبها خيالية و تستند الى واقع تاريخي ز انظر ،

-EI.LITTMAN, EIe, art(AlfLayla waLayla) ,T2.PP369-375.

(ويبدو ان معلومات هذا الروائي المسرحي قد صارت من المراجع الاساسية لبعض المؤرخين الاوربيين الذين كتبوا بعده ، انظر ،

-BOUVAT,OP;ciT;p 130.

ومن الطريف ان الانكليزيين عندما يريدون التعبير عن مظاهر الابهة والجلال في حفلاتهم يقولون "مأدبة برمكية" انظر

-GABRIEL ,op,ciT.P 61 .

ونالت قصة العباسة اعجاب بعض الروائيين الاوربيين فكتبوا عنها بمختلف لغاتهم (1) .

والملاحظ ان هذه القصة قد تطورت متخذة شكلا روائيا خياليا لا في الاداب الاجنبية فحسب بل في الادب العربي ايضا رغم اقتناع مؤلفي هذه الروايات بعدم صحة هذه القصة (2) .

---

(1) —
-Quatremere,op;cit; p119, Gabriel,op;cit;p61
-Bouvat,op;cit;p22, Varsy,G.(Djaafar le Barmacide),Revueorientale et americaine) ; 3(1860),pp75-90., Dixmerie,contes philosophiques et moraux,londres,1766?t2.PP178-190.
-Giron Aime et Tozz Albert,les nuits de Baghdad,(roman), Paris, 1905.

ويركز فيه على قصة العباسة وعلاقتها بجعفر البرمكي .

(2) — وقفت لحد الآن على ثلاثة ادباء عرب اولوا عنايتهم بالموضوع حيث خصص كل منهم عنوان كتابه بـ " العباسة " جرجي زيدان ، عدنان مردم بك ، عزيز اباظة ، ويلاحظ تاثر هؤلاء جميعا بالاداب الغربية حيث يعتبر كل من " عدنان " و " عزيز " من رواد الكتاب العرب في موضوعات الشعر المسرحي في تاريخ الادب العربي

الخاتمة

(الخاتمـــــــــــــــــة)

من خـــلال ماسبق اتضح ان اسرة البرامكة في الخلافة العباسية قـــــــد نالت من الجـــاه والسلطان ما لم يكن متوقعا ،وذلك بالمقارنــــة لما هوعليــــه الحال بالنسبـــة للتطور العام للمجتمـــع العباسي .

ففي الوقت الذي ما زالت فيه طبقـــة الموالي تحاول كسب ثقـــة الرأي العام لتأخذ مكانها ضمن عملية الاحتكاك البشري في المجتمع العباسي الناشئ ،كـــانت اسرة البرامكة قد وصلت الى قمة النفوذ ،على الرغم من ان قيمتها الاجتماعية لم تكـــن تتجاوز - بمنظور ذلك العصر - قيمـــة خدام الخليفة الساهرين على راحته والمتفانين في خـــدمته والاخـــلاص له .

والمـــلاحظ ان اسرة البرامكة كانت حديثة عـــهد بالاسلام ،وقد بينـــت محاولة بعض الروايات تمجيد علاقة هذه الاسرة بالدولة الاسلامية حين ربطت علاقتهـــا بالاســـلام منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان .

وعند نظري الى طبيعة الاحداث اتضح لي انهم بقوا على دينهـــم حتى اواخـــر العهد الاموي ،كما لاحظت انهـــم كانوا سببا في اثارة كثير من مظاهر الفتـــن والاضطرابات التي شاعت في منطقة " بلخ " ضد السلطة الامويـــــة .

واستنتجت ان خالد الترمكي " وحده ،نهو اول "برمكي " يمكـــن الاطمئنان الـــى صحة بعض ما روى عن دوره في الدولة ،وذلك لاتفاق معظم المصادر التاريخية حول ذلك .

وقد لاحظت ان كثيرا من الروايات قد حاولت وضعه في المقام الاول مـــن بين قادة الثورة العباسية ، وبينت ان مصدر ذلك كان ناتجا عن تعصبهم تجاه القادة العرب للانتقاص مـــن شانهم في مثل هذه الاعمال السياسيـــة الرائـــدة من جهـــة ومـــن جهة اخرى تعاطفهم مع هذه الاسرة للدور الذي مثلتـــه خـــلال المراحـــل التاليـــة من تاريخ الخلافة العباسيـــة .

وعند محاولتي تقييم دور " خالد " لاحظت انه كان قد اتبع اسلوبين حكيمين ساعداه على المضي في تنفيذ خطته للرفع من مكانة الاسرة البرمكية .

اولهما سلوكه المحافظ تجاه الخلفاء العباسيين الثلاثة الاوائل تفاديا للاصطدام بسلطتهم مثلما وقع لمعاصره من كبار الوزراء والامراء والتي ادت في نهاية الامر الى سقوطهم وثانيهما ،حظه الكبير في اكتسابه ثقة البيت العباسي الحاكم ،فيه وفي اسرة ايضا وذلك حين عمل الخلفاء على ربط ابنائهم بابناء هذه الاسرة الموالية برابطة اخوة الرضاعة

واتضح لي ان هذين الاسلوبين قد كانا كفيلين بغض الطرف عن الكثير من تصرفاتهم حتى وان كانت تبدو غريبة ومثيرة للشك احيانا .

ومنها السلطة المطلقة التي مارسوها خلال فترة حكم الرشيد والتي وضحت فيها ان البرامكة قد تجاوزا حدود سلطتهم حين وضعوا انفسهم في المقام الاول في اغلب المؤسسات الحكومية ،وقاموا بادوار خطيرة في جميع المجالات حتى ظن انهم هم " الدولة " بل كانوا يشعرون بذلك في كثير من الاحيان كما اشرت الى ذلك خلال بحثي عن ادوارهم في كل من الفصلين الرابع والخامس .

وبينت ان احتكارهم للمناصب الادارية العليا قد ترتب عنه زيادة ملحوظة لعناصر انتهازية اعتمدت على مكانة لبرامكة وسلطتهم في تسخير امكانيات الدولة لمصلحتهم الخاصة ،وحماية افكارهم الشعوبية وتطرفهم الديني المنافي للاسلام تحضيرا للانقلاب المقيت الذي كانوا يحلمون فيه بارجاع الدولة العربية الاسلامية الى كسروية شعوبية ضد من ساسوهم باحسان وهدوهم الى سواء السبيل .

ووضحت بأن الدور المشرف الذي قام به المخلصون لهذه الدولة وحرصهم على بقاء الاسلام والعروبة في التاريخ ضد اتجاه مخطط البرامكة الشعوبي ومواليهم ،قد اثار حفيظة الرواة من الشعوبين فحاولوا تشويه سمعة العناصر العربية وتلطيخها وعلى رأسهم الخليفة

" هرون الرشيد " ،وذلك بنسجهم للروايات الكاذبة ووضع القصص والاساطير الخرافية كقصة علاقة " العباسة ـ العربية الهاشمية بمولاها جعفر البرمكي " ،وقصص كرم البرامكة الذي فاق الكرم العربي ،وقصائد المدح التي تجاوزت كل انواع المدح ،والتي وصحت انها لا تستند الى واقع تاريخي . وانما كانت من وضع الرواة والقصاصين السذج ، بدليل حسن نية الرشيد وغيره من الخلفاء الذين تولوا بعده تجاه بقية البرامكة وكبار اعوانهم ،حيث بينت انهم قد نالوا من المكانة والجاه حسب قدراتهم على النشاط وحسبما كانت تسمح به امكانيات الدولة).

ولاحظت انه على الرغم من ذلك فقد بقيت مشكلة البرامكة قائمة ،وقد تناول المؤرخون قضيتهم باعجاب متزايد من جهة ومن جهة اخرى فقد تعاطفوا معها دون مراعات للمعطيات المساهمة في وجود قضيتهم او الملابسات التي ادت الى نكبتهم .

وقد حاولت توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التي توصلت اليها اثناء بحثي وتقييمي للدور الذي مثلته هذه الاسرة في الخلافة العباسية ،حيث تبين لي ان مرد ذلك يرجع الى ،

اولا ان الخلفاء العباسيين قد كانوا اوفياء لمبادئ ثورتهم وحريصين على تحويلها الى واقع ملموس في ادارة دولتهم ،وبذلك يكونون قد وفقوا في تنظيم عملية الامتزاج البشري في مجتمعهم ووصلوا به الى ابعد ما يمكن ،وهي العملية التي لوحظ عجز الامويين عن تحقيقها . وقد كانت احدى الاسباب الهامة التي عجلت بسقوطهم .

ثانيا مفاجاة التخلص من اسرة البرامكة التي حدثت بشكل غير متوقع وقتذاك على يد الخليفة ،" هرون الرشيد " عام 187هـ/802م ،وهي في عز سلطانها تجعل الاطمئنان الى مثل هذه الاستنتاجات امرا صعبا ،ولذلك فقد كان لابد من محاولة تفسير طبيعة هذا التطور الذي عاشته بعض الشرائح الاجتماعية في المجتمع العباسي الاول والظرف الذي كانت سببا في بلورته وتنظيمه .

ويتضح ان هذه العلاقة قد ارتبطت بالعديد من الجوانب الحضارية ،وبات من العسير تفسير اية ظاهرة بمعزل عن الاخرى لتشابكهما في سياق الاحداث التاريخية التي واكبت تطور المجتمع العباسي الناشيء ،ويبدو ان مرد ذلك يرجع الى اعتلاء العباسيين العرش ،الذي يعد نقطة تحول في تاريخ نظام الخلافة حيث شاع عليهم بناء ادعائهم الحكم على الحق في قرابتهم من الرسول (ص) ،وكان جوهر شعاراتهم قائما على اساس ديني حتى اوحوا بأن سلطتهم تستند على حقي الهي •

ثالثا وبالاستناد الى هذه السلطة ابتدع العباسيون منصب " الوزير " وهو مصطلح ماخوذ ماخوذ من القرآن ،يدل على موازرة الحاكم ولم يكن معروفا بهذه الصورة قبل هذه الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية وفي سبيل اعطاء هذا الاجراء صبغة شرعية عمد العباسيون الى تقريب الموالي من دورهم وبيوتهم ،وارتبطوا ببعضهم برابطة الاخوة من الرضاعة •

ان وضعية هؤلاء الموالي — ومنهم البرامكة — التي شكل مميزاتها الخلفاء العباسيون قد لعبت دورا هاما في بلورة مؤسسة الوزراء وتطوير مهام وشخصية الوزير •

رابعا نتج عن هذه الوضعية خضوع هذه المؤسسة لرغبة الخليفة من جهة ومن جهة اخرى سهولة الاستغناء عند ما يحس الخليفة بان وجود ما يشكل قيدا على سلطته •

خامسا لماذا لم تاخذ قضية الوزراء غير البرامكة حقها من اهتمامات المؤرخين الجواب يرجع الى ما كانت عليه اسرة البرامكة من المكانة في الدولة وايضا الى الامال التي كانت معقودة عليها في تقريب وجهات النظر في الاصلاح الاجتماعي وسط العناصر المكونة للمجتمع العباسي الناشيء •

سادسا لم تتمكن اسرة البرامكة من فهم الدور الحقيقي الذي كان عليها ان تمثله في الدولة ،وذلك حين تمادت في استغلال الصلاحيات المعطاة لها لمصلحتها ومصلحة المد الشعوبي المقيت مما اثار الشكوك حولها وهو الذي ادى في نهاية الامر الى الاطاحة •

سابعا نتـــج عن نكبة برامكـــة وفشلهم تعطيل كبير لمشروع تحقيق الانسجـــــام الاجتماعي في الخلافة العباسية ،وما صاحب ذلك من تأخر ملحوظ في عملية التطور الحضاري للمجتمع العباسي •

ثامنا يستنتج ان الخلفاء العباسيين كانوا يريدون من وزرائهم الموالاة التامة لاشخاصهم والتفاني والتفكير في خدمتهم دون ان يكون لهم برنامج مستقل يعملون على تطبيقه •

تاسعا ان الحرية التى تمتع بها البرامكة لم تكن سوى ثمرة ظروف استثنائية ولا علاقة لها بالدور الخاص لاساليب حكم الخلفاء العباسيين •

تم بحمـــــد الله وتوفيقـــــــــه

= = = = = = = = = = = = = = = = = = = =
= = = = = = = = = = = = = =

الملاحق

أولا : التعريف بمحتويات الملاحق :-

الملحق رقم (1) :

عبارة عن وثيقة تصدر عن ادارة البرامكة تبين رغبتهم في استمالة الرأي العام ، ودعوته الى تأييد سلطاتهم ، وذلك بالجهود المضنية والتحذير الشديد من عواقب اثارة الفتن أو عدم دفع الضرائب ،

الملحق رقم (2)

عبارة عن جدول يحصي مداخيل بيت المال لسنة 130هـ/796م ويعد الجدول وثيقة هامة الاقتصاد الدولة يتعذر وجود نظير في التاريخ الخلافة العباسية، فضلا على أنه يحدد بوضوح سياسية البرامكة المالية التي كانت قائمة باستيراد المواد الكمالية التي تخدم استهلاك الطبقة الحاكمة دون النظر الى الغذاء الأساسي للسكان .

المحلق رقم (3) : خطابة لجعفر البرمكي ، بين يدي الرشيد تبين رغبته في البقاء في قصر الخليفة نديما ، وعجز عن مواجهة القضايا الصعبة في الميدان ، كما توضح أسلوب التملق الذي كان يمارسه هذا البرمكي مع الرشيد

الملحق رقم (4)

رسالة أحمد المستالسمين الى يحيى البرمكي وتوضح مكانة البرامكة في الادارة العباسية ، وهيبتها في نظر الرأي العام ،

الملحق رقم 5 ،

مراسلة تؤكد فساد ادارة البرامكة ،وتلاعب بعض افرادها باقتصاد الدولة وتواطئهم مع بعض السكان ،والتي كانت من ضمن اسباب نكبتهم على يد الخليفة الرشيد .

الملحق رقم 6 ،

نماذج من المكتشفات الاثرية لبعض المسكوكات المضروبة باسم بعض من افراد اسرة البرامكة ،وا لمحفوظة في بعض المتاحف العالمية .

الملحق رقم 7 ،

رسالة من "يحي البرمكي" الى الخليفة الرشيد يستعطفه فيها للافراج عنه ،ويعترف له فيها تجاوزات واخطاء ابنه "جعفر" التي استحق عنها العقوبة الكافية .

ثانيا : نص الملاحق :

ملحق رقم 1 : سياسة البرامكة .

... بعد الحمد لله عزّ وجل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ان الله بمنّه ولطفه منّ عليهم معشر أهل بيت نبيه بيت الخلافة ومعدن الرسالة ... فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة واحذروا أن تغيّروا فيغيّر بكم . وان الله جلّ وعزّ استأثر بخليفته موسى الهادي الامام فقبضه اليه وولّى بعده رشيدا مرضيا أمير المؤمنين رؤوفا بكم رحيما ، من محسنكم قبولا وعلى مسيئكم بالعفو عطوفا . وهو أمتعه الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه اياه من أمر الأمة ، وتولاه بما تولى به أولياءه ، وأهل طاعته ، يعدكم من نفسه الرأفة بكم والرحمة لكم . وقسم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ... غير مقاصّ لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم ، وحامل باقي ذلك للدفع عن حريمكم ، وما لعلّه أن يحدث في النواحي والأقطار من العصاة المارقين الى بيوت الأموال ، حتى تعود الأموال الى جمامها وكثرتها ... فاحمدوا الله وجدّدوا شكرا يوجب لكم المزيد من احسانه اليكم بما جدّد لكم من رأي أمير المؤمنين ، وتفضّل به عليكم . وارغبوا الى الله في البقاء ... واعطوا صفقة ايمانكم ، وقوموا الى بيعتكم حاطكم الله وحاط عليكم وأصلح بكم وعلى أيديكم وتولاكم ولاية عباده الصالحين ....))

(4) كتب هذا البيان صديق البرامكة يوسف بن القاسم : وأرسل الى أغلب الولايات ليتلى على مسامع المسلمين من على المنابر . أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 230 - 231 .

نص ملحق رقم (2)

قائمـــة لخراج الدولـة في عهد البرامكـــة (1)

الاقاليم	مقدار الجباية	الامتعة والعروض
السواد	14 800 000 درهم	الحلل النجرانية
ابواب المال	= 80 780 00	الطين للختم ، 240 رطلا
كســـكر	= 11 6 00 000	
كوردجلـــة	= 20 800 000	
حلوان	= 4 800 000	
الاهـــواز	= 25 000 000	السكر ، 30 الف رطلا
فارس	= 27 000 000	ماء الزبيب الاسود ، 20 الف رطلا ، الرمان والسفرجل 250 الف ، ماء الورد ، 30 الف قرورة ، الانباجات 15 الف رطلا ، السيرافي 50 الف رطلا ، الزبيب بالكر الهاشمي ، 3 اكرار .
كرمـــــان	= 4 200 000	المتاع اليمني 500 ثوب ، التمر 20 الف ، الكمون ، 100 رطـــلا .
مكـــرا ن	= 400 000	
السند وما يليها	= 11 500 000	الطعام بالقفيز ، ملبون قفيز ، الفيلة ، 3 ، الثياب الخشنة ، 1000 ثوب ، الفوط 4000 ، العود الهندي ، 150 منا ومن سائر اصناف العود ، 150 منا ، النعال ، الفا زوج ،
سجستـــــان	= 4 600 000	الثياب المعينة 300 ثوب ، الفنيذ 20 الف رطلا
خرســـــان	= 28 000 000	نقر الفضة 2000 نقرة ، البراذين 4000 ، الرقيـــق 1000 رأس ، المتاع 27 الف ثوب ، الاهليج 300
جرجـــــان	= 6 300 000	الابراسيـــــم 1000 منا
قومـــــس	= 1 500 000	نقر الفضة ، 1000 ، الاكسية 200 ، الثياب الرمان 40 الف رمانة ،

(1) — ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص 477 — 482 نقلا عن الجهشياري ، الوزراء ، ص 282 — 285

الاقاليم	مقدار الجباية	الامتعة والعروض
طبرستان الرويان دنبوند		الفرش الطبري 600 قطعة ، الاكسية 200 ، الثياب 500 ، المناديل 300 ، الجمات 600 جام ،
الري	120 000 000 =	الرمان ، مائة مليون ، الخوخ 1000 رطلا ،
اصفهان	11 000 000 =	العسل 20 الف رطلا ، الشمع 20 الف رطلا الرمان والروب 100 منا ، العسل 20 رطلا
همدان	11 800 000 =	
البصرة والكوفة	20 700 000 =	العسل الابيض 20 الف رطلا ،
شهرزور	24 000 000 =	
الموصل ومايليها	24 000 000 =	
الجزيرة والفرات	3 000 000 =	
اذربيجان	4 000000 =	
موقان وكرخ	300 000 =	
جيلان		من الرقيق ، 100 راس والطيلسات من العسل 12 زقا ، ومن البزاة ، عشر بزاة ، ومن الاكسية 20 كساء .
ارمينية	13 000 000 =	البسط 20 بساط ، الرقم 850 قطعة ، الملح 10 الف رطلا ، الطريخ 10 الف رطلا ، البزاة 30 بازيا ، البغال 200 بغلا
قنسرين والعواصم	490 000 دينار	
حمص	320 000 =	الزبيب ، الف راحلة .
دمشق	420 000 =	
الارد ن	96 000 =	
فلسطين	320 000 =	ومن جميع اجناد الشام من الزبيب 300 الف رطلا
مصر سوى بعض المقاطعات	920 000 =	
برقة	1 000 000 درهم	من البساط ، 12 بساطا .
أفريقية	13000 000 =	
اليمن	878 000 دينار	
الحجاز	300 000 =	

ملحق رقم (3) : كتابة لجعفر البرمكي ،

... الحمد لله بأمير المؤمنين الذي آنس وحشتي وأجاب دعوتي ورحم تضرعي وأنسأ في أجلي حتى حتى أراني وجه سيدي وأكرمني بقربه وامتنّ علي بتقبيل يده وردني الى خدمته ، فوالله ان كنت لاذكر غيبتي عنه وخروجي والمقادير التي أزعجتني فأعلم أنها كانت بمعاص استحقتني وخطايا أحاطت بي ولو طال مقامي عنك يا أمير المؤمنين — جعلني الله فداك — لخفت أن يذهب عقلي اشفاقا على قربك وأسفا على فراقك وأن يعجل بي عن اذنك الاستيحاش الى رؤيتك والحمد لله الذي عصمني في حال الغيبة ومتعني بالعافية وعرّفني الاجابة ومسكني بالطاعة وحال بيني وبين استعمال المعصية فلم أشخص الا حين رأيتك ولم أقدم الا أن اذنت وأمرت والله يا أمير المؤمنين ... لقد عاينت مالو تعرض لي الدنيا كلها لاخترت قربك ولما رأيتها عوضا عن المقام معك ......

وفارقت يا أمير المؤمنين كور الشام وهم منقادون لأمرك نادمون على ما فرط منهم من معصيتهم لك متمسكون بحبلك نازلون على حكمك ... والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت اليهم الا بوصيتك وما عاملتهم الا بأمرك ... والله ما انقادوا الا لدعوتك وتوحد الله بالصنع لك وتخوفهم من سطواتك وان كنت

• بذلت جهدي وبلغت مجهودي قاضيا بعض حقك علي ، بل ما ازدادت نعمتك علي عظما الا ازدادت عن شكرك عجزا وضعفا . وما خلق الله أحدا من رعيتك أبعد من أن يطمع نفسه في قضاء حقك مني ، وما ذلك الا أن اكون باذلا مهجتي في طاعتك وكل ما يقرب الى موافقتك ولكني أعرف من أياديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري ...

وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له اذا كان الشكر مقصرا عن بلوغ تأدية بعضه بل دون شقص من عشرى عشيره ، أن يتولى مكافأتك عني بما هو أوسع له ، وأقدر عليه ، وأن يقضي عني حقك ، وجليل منتك ، فان ذلك بيده وهو القادر عليه ...[1]))

---

(1) — الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص263 — 265 .

نص ملحق (4) ، رسالة يحيى البرمكي ، (1)

«... للسيد الجواد ، الولي الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل الأشم الباذل ، اللباب الصلاح ، من المستكين المستجير البائس الضرير . فإني أحمد الله ذا العزة القدير السميع البصير الصغير والكبير ، بالرحمة الشاملة والبركة المستدامة ، أما بعد فافهم واسلم ، واعلم ان كنت تعلم ، انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ، ومن يحسن يغنم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق الي تسخطك علي واطراحك لي ، وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست بذي الحياة صحيحا ولا بالميت مستريحا ، فررت بعد الله منك اليك ، وتحملت بك عليك ، ولذلك قلت : (2)

أسأت بني جنينا السيئات ... فأنت سامحت بمذنب في رجائي

رافعا راحتيه بالتوبة ... منه اعفوا عنه وقل عفاء

ولست مثل ما من أصر ومن تاب ... مقرا بذنبه بسواء

فان رأيت جعلني الله فداك أن تحسن وأبقاك في خير ، الا تزهد فيما ترى من تضرعي وتخشعي وتذللي وتضعفي ، فان ذلك ليس مني بخيرة ولا بدعة ولكنه تذلل وتضرع ... الا من لدن المتضرع له عز رفعة الشرف ...»

(1) ـ رسالة من ابرهيم بن سيابة ، يقول عنها الجاحظ : « وبلغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام ...» الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 173 ـ 179 .

(2) القصيدة من بحر الخفيف .

نص ملحق رقم 5 .

سوء ادارة البرامكة

((... قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها وسوق السعاية بحمد الله في أيامنا كاسدة وألسنة السعاة في أيامنا كليلة خاسئة . فإذا قرأت كتابي هذا فاحمل الناس على قوانينك وخذهم بما في دواوينك فإنا لم نولك الناحية لتتبع الرسوم العافية ولا لإحياء الأعلام الداثرة ، وجنبني وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق : (من بحر الوافر) .

وَكُنْتَ إذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ . . رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا

وأجر أمورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا ، واعلم أنها مدة تنتهي وأيام تنقضي ، فأما ذكر جميل وأما خزي طويل ...)) (1)

(1) رسالة جوابية من محمد بن يحيى البرمكي الى أحمد عامله في أرمينية) حين لفت انتباهه الى تلاعب بعض السكان هناك باقتصاد الدولة . أنظر ، ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الاول ، ص 96 ، نقلا عن الحصري القيرواني ، زهر الاداب ، ج 1 ، ص 303 .

ملحق رقم (6)

تسهيلا عرض المسكوكات يستحسن الاستعانة بالنموذج التالي

الوجه	الظهر
	

بسم الله ضرب هذه الدنيا سنة سبعين ومائة ، محمد رسول الله
أرسله بالهدى والدين الحق
ليظهره على الدين كله

والمسكوكات المعروفة موجودة في المتاحف التالية:

ـ م ع = المتحف العراقي ـ بغداد

ـ م ق = المتحف الخديوي القاهرة

م ب = المتحف البريطاني لندن BRITISH MUSEUM LONDON

ـ م و ب = متحف المكتبة الوطنية باريس MUSEE BIBLIOTHEQUE NATIONAL PARIS

ـ م ج ف = متحف جامعة فلادلفيا أمريكا UNIVERSITE MUSEUM PHILADELPHIA USA

كل المجلات المعروضة في الملحق منسوبة باسم جعفر البرمكي ،،

1) —

2) —

3) —

(1) دينار ، مضروب سنة 176هـ/ 792م .

موجود في : م.ع ،لوح 3،رقم 95 ب ،وفي ، م . خ .

أنظر ، النقشبندي ،الدينار،ص 100 ،108 ،

2) دينار مضروب سنة 178 هـ/ 794م .

محفوظة ، في ،م . ج . لوح 3 ،رقم 96 ب، وفي م . خ ،

وفي . م . ج . ف ،أنظر النقشبندي . الدينار،ص 100 ،108 .

3) دينار مضروب سنة 182 هـ/ 778م .

وهو محفوظ في المتاحف التالية ،

م . ع . لوح 3 ،رقم 97 ،وفي ،م . ب .

وفي م . ج . ف ، : نظر ،النقشبندي ،الدينار ،ص 100 . 108 .

- (4

- (5

- (6

- (7

(4) دينار ، مضروب سنة 183هـ/ 799م .
موجود في م . ع ، لوح 3، رقم 98أ .
(5) دينار ، مضروب سنة 184هـ/ 800م) وهو محفوظ في المتاحف التالية :)
م . ع ، لوح 3، رقم 100 ج ،
وفي م . ج . ف ، وفي م . ب . انظر ، النقشبندي ، الدينار ص 102 ،
108 و ، - STANLEY LANHE BOO LE ? CATALOGUE? T.1 N° 152
(6) دينار مضروب سنة 185 هـ/ 801م . وهو محفوظ في المتاحف التالية
لوح 3 ، رقم 102 أ)
في م . ع ، وفي م . ب ،
وفي م . ج . ف ، انظر النقشبندي ، الدينار ، ص 102 : 108 .

(7) دينار ، مضروب سنة 186هـ / 802م ، م . ع . لوح 3 ، رقم 103أ
أ نظر النقشبندي ، الدينار ص 103 ، 108 .

_(9 _(8

_(10

---

(8) درهم مضروب باسم جعفر سنة 173هـ/ 789م .
محفوظ في المتحف البريطاني ،
أنظر، 193 N: Stanley Lane Poole, Catalogue Tome1

(9) درهم مضروب باسم جعفر ، سنة 177هـ/ 793م . محفوظ في المتحف
البريطاني ، أنظر، 212 Stanley Lane Poole .op.cit.T.1 N°

(10) درهم مضروب باسم جعفر ، سنة 181هـ/ 797م ، محفوظ في المتحف
البريطاني ، أنظر، 197 N° Stanley(L.P.) op.cit. Tome1

درهم مزيف ، مضروب سنة 179هـ/ 795م ، يحمل اسم جعفر البرمكي ، يختلف نظام ضربه عن ما سبق (1) حيث يوجد في الوجه ،

الطوق ، بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة تسع وسبعين ومئة

المركز ، لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

وفي القفا ، الطوق ، محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

المركز ، محمد رسول الله
مما امر به الامير الامين
محمد بن أمير المؤمنين
جعفر

---

(1) - انظر ، عبد العزيز حميد ، المسكوكات المزيفة في العصر العباسي ، (مجلة كلية الآداب) ، عدد 22 (1398هـ/1978م) ، بغداد ، ص 334 - 335 .

نص ملحق رقم 7، نكبة البرامكة، (1)

بسم الله الرحمن الرحيم،

الى أمير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين

من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وخانه

الزمان وأناخ عليه الحدثان ...

يا أمير المؤمنين قد أصابتني مصيبتان المال والحال، أما المال فان ذلك

منك ولك وان في يدي عارية منك ولا بأس برد العواري الى أهلها

وأما المصيبة بجعفر بجرمه وجراءته وعاقبته بما أستحق، من أمره وان جزاؤه

فوق ما استحقه وأنا الفقير، فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي

وهن قوتي وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة واست أعتذر

ولكني أقر وحسبي أن أفوز برضاك فستقبل عذري وصدق نيتي وظاهر

طاعتي وتأويلي حجتي ففي ذلك ما يكتفي به أمير المؤمنين ويرى الحقيقة

فيه ويبلغ المراد منه،

وكتب اليه في أسفل الرسالة قصيدة طويلة، مطلعها (2)

قُلْ للخَليفَةِ ذي الـ ــصَنيعَةِ والعَطايا الفاشِيَة

وابْنَ الخَلائِفِ مِنْ قُـ ــرَيْشٍ والمُلوكِ العالِيَة

إنّ البَرامِكَةَ الـ ــذينَ رُمُوا لَدَيْكَ بِداهِيَة

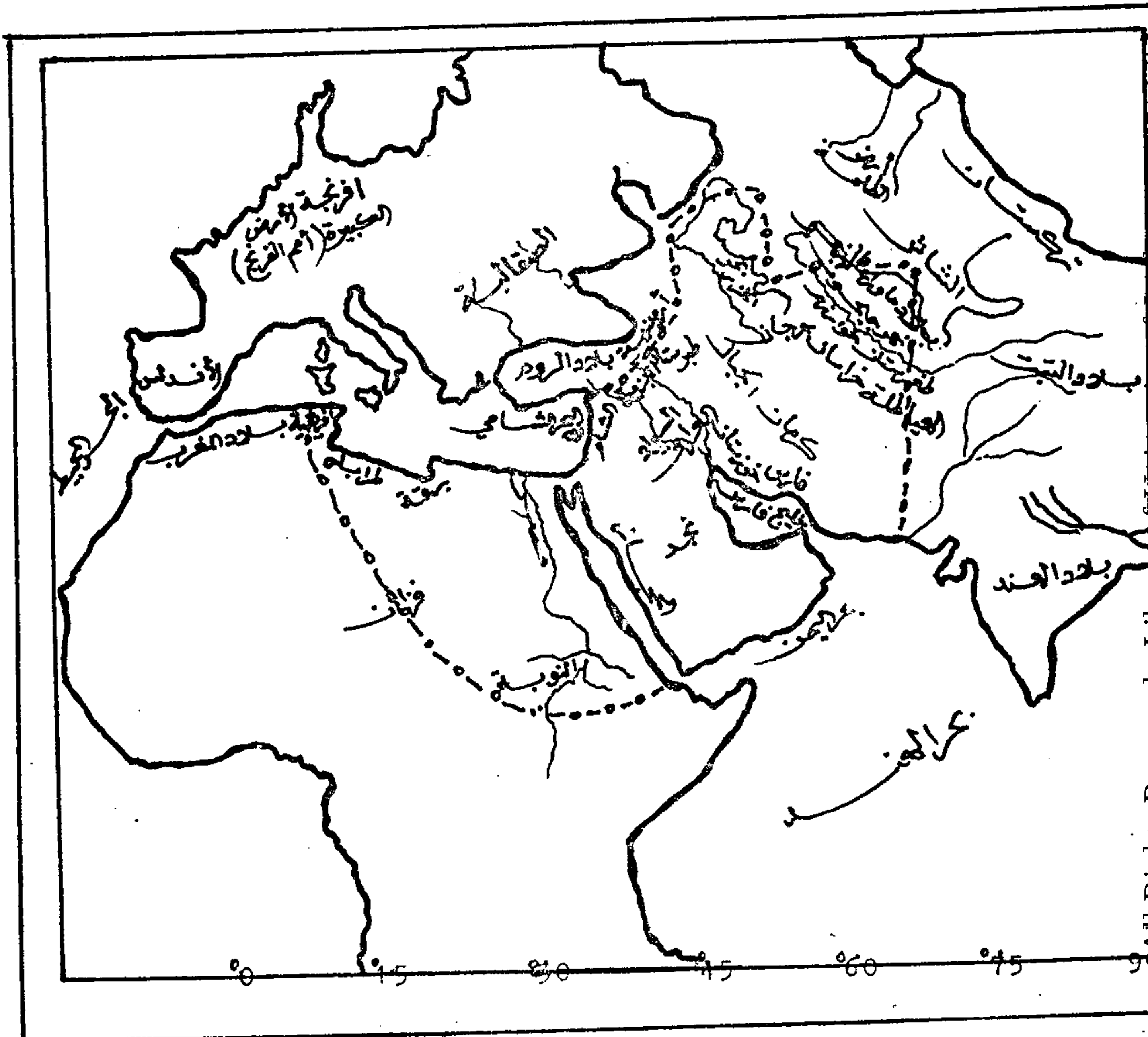
صُفْرُ الوُجوهِ عَلَيْهِمُ خِلَعُ المَذَلَّةِ بادِيَة،

(1) الاتليدي، اعلام الناس، ص 111 ـ 112، ورد الرسالة مع بعض الاختلاف، عند كل من، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص 68 ـ 69، وابن بدرون، شرح قصيدة، ص 239 ـ 241،

(2) الابيات من مجزوء الكامل،

خريطة توضح حدود الخلافة العباسية

في عهد الخليفة "هرون الرشيد" عصر نفوذ البرامكة - (1)



(1) - انظر، عبد المنعم ماجد، وعلي البنا، الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1387 هـ/ 1967م، رقم 16.

(ــ٥ــ٥ــ٥ــ) حدود الخلافة العباسية.

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المـــــــــصادر

(1)ـ ابن ابي اصيبعة (موفق الدين ابي العباس احمد) ، ت 668هـ/1270م .
عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيـــــــروت ، 1385هـ/ 1965م .
(2)ـ ابن الاثير (ابو الحسن علي) ت 630هـ/ 1222م .
الكامـــــل في التاريخ ، ط 4 ، دار الكتاب العـــــربي ، بيروت ، 1403 هـ 1983م .
(3)ـ الاتليدي (محمد بن ذياب) ، ت 1100هـ / 1628م .
اعـــلام الناس بما وقـــــع للبرامكـة مع بني العباس ، مصـــر ، 1361هـ/1942
(4)ـ الاربلـــي (عبد الرحمـــن سنبط) ، ت 718هـ / 1318م .
خلاصة الذهـــب المسبـــوك مختصر من سيرة الملـــوك ، تصحيـــــــــح مكـــــي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريـــخ .
(5)ـ الأزدي (ابو زكـــــريا يـــــزيد) ، ت 334هـ / 945م .
تـــــاريخ الموصـل ، تحقيـــق ، د ، علي حبيبــــــة ، القاهرة 1387/1967
(6)ـ الأصبهـــــاني (ابو الفرج علـــــي) ، ت 356هـ / 966م
ـ كتاب الاغاني ، مؤسسة جمال ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ، بيروت (ب ت)
ـ مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1368هـ/ 1949م .
(7)ـ الاصطخري (ابو اسحق ابراهيم الكرخي) ، ت 346هـ / 957م .
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، دالا القلم ، بيروت 1381هـ / 1961م .
(8)ـ الاصفهاني (ابو عبد الله حمزة) ، ت 360هـ / 970م
تاريـــخ سني ملوك الارض والانبياء ، بدون اشارة لمكان الطبع وتاريخــــــــه

(9) - ابن بـــدرون (عبد الملك بن عبد الله) ت 608هـ / 1211م .

شـــرح قصيـــدة ابن عبدون ، تصحيح رينهارت دوزي ، مطبعة الاخوين لختمانس ، ليدن ، 1263هـ / 1846م .

(10) - البغدادي (ابو بكر احمد بن علي الخطيب) ت 463هـ / 1080م

تاريخ بغداد او مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

(11) - البغدادي (عبد القاهر البغدادي) ت 429هـ / 1037م .

الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، ط 4 ، منشـــورات دار الآفاق ، بيروت ، 1400هـ / 1980م .

(11) - ابو بكر بن العربـــي (القاضي) ت 543هـ / 1148م .

العـــواصم من القواصـــم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعـــة السلفية ، القاهرة ، 1371هـ / 1951م .

(12) - البـــلاذري (ابو العباس احمد بن يحى) ت 279هـ / 892م .

- فتـــوح البلدان ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، وعمر انيس الطبـــاع دار النشر للجامعيين ، بيروت ، 1377هـ / 1957م .

- انساب الاشـــراف ، مخطوط ، نسخة مصورة عن المخطوط الاصلـــي ، مكتبـــة الدكتور سهيل زكار الخاصة ، دمشـــق .

(13) - البيهـــقي (ابو الفضل) ت 470هـ / 1077م .

تاريـــخ البيهقي ، ترجمة يحى الخشاب وصادق نشأة ، مكتبة الانجلو المصرية ، دار الطباعـــة الحديثة ، بدون تاريـــخ .

(14) - ابن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن) ت 874هـ / 1469م .

النجـــوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(15) التنـــوخي (ابوعلي الحسن بن علي) ، ت 373هـ/ 983م .

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ،بلا مكان النشر ، 1391

(16) ـ الثعالبي (ابو المنصور عبد الملك) ، ت 429هـ/1027م .

تاريـــخ غرر السير المعروف بكتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيـــرهم ، نشر وترجمة زوتنبورغ ،مكتبة الأزدي ، طهران ،1383هـ/ 1963م .

(17) ـ الجـــاحظ (ابوعثمان عمرو بن بحر) ،ت 255هـ/ 886م .

البيان والتبييـــن ،دار احياء التراث العربي ، بيروت ،1388هـ/ 1968م .

(18) ـ ابن جلجـــل (ابو داود بن سليمان) ،ت بعد 384هـ/بعد 993م 0

طبقات الاطباء والحكمـــاء ،تحقيق فؤاد سيد ،مطبعـــة المعهـــد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ، القاهرة ، 1375هـ/ 1955م .

(19) ـ الجهشياري ، (ابوعبد الله محمد بن عبدوس) ، ت 331هـ/ 942م .

كـــتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط 1 ،مطبعـــــــة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1357هـ / 1938م .

(20) ـ ابن حـــزم (علي ابن محمد) ، ت 456هـ/ 1063م .

الفصل في الملل والنحـــل ،القاهرة ،1317هـ/ 1899م .

(21) ـ الحصري القيرواني (ابو اسحق ابراهيم) ، ت 453هـ/ 1061م .

ـ زهر الاداب وثمر الألباب ،تحقيق زكي مبارك ،ط4 ،دار الجيـــل بيروت،1392هـ

ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر او ذيل زهر الاداب ، تحقيق علي محمد البجـــاوي دار احياء الكتـــب العربية ، القاهرة ،1373هـ/ 1953م .

(22) ـ الحميـــري (محمد عبد المنعم) ت 456هـ/ 1063م .

الروض المعطار في خبر الاقطار ،تحقيق احسان عباس ،مكـــــتبة لبنـــا ن بيروت ، 1395هـ/ 1975م .

(23) — ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس) ،حوالي 403هـ/ حوالي 1012
كتاب الامـــــتاع والمؤانســـــة ، تحقيق احمد امين واحمد الزين ،
منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ، بدون تاريخ ،
(24) — خاوند ميـر (غياث الدين همام الدين) ،ت 914هـ/ 1507م •
— دستور الوزراء ، طبعـــــة حجريــــــة ، بدون تاريـــــخ
حبيب السير ،منسوب اليه ،طبعة حجرية ،استانبول 1271هـ/ 1854م •
(25) — خـــرداذبة (عبيد اللهبن عبد الله) ت 280هـ/ 893م •
المســـالك والممالك ،تحقيق دي جويه ،ليدن ، 1306هـ/ 1889م •
(26) — ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ،ت 808هـ/ 1405م •
العبر وديوان المبتداء والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأكبر ،منشورات مؤسسة الاعلمي ،بيروت ، 1391هـ/ 1971م
المقــــدمة ،دار الفكر ،بيروت ، (ب ت) وط2 ،الدار التونسيــــــة
للنشر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1404هـ/ 1984م •
(27) — ابن خلكان (شمس الدين احمد) ،ت 681هـ/ 1282م •
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر ، بيروت
1398هـ / 1978م •
28) — خليفة بن خياط (الليثي) ت حوالي 240هـ/ حوالي 855م •
كتاب التاريـــــخ ، دمشق ، 1387ه / 1967م •
(29) — الدينوري ، (ابو حنيفة احمد بن داود) ، ت 282هـ/ 895م •
الاخبار الطوال ،تحقيق عبد المنعم عامر ،ط 1 ،القاهرة ، 1380هـ 1360م
(30) — الذهبي (شمس الدين ابوعبد الله) ت 746هـ/ 1345م •
العبر في خبر من غبر ،تحقيق صـــــلاح الدين المنجـــــد " سلســـــلة
التراث العربي " الكويت ، 1380هـ/ 1960م •

(31)ـ ابن الساعي (تاج الدين ابن ابي طالب) ت 674هـ/ 1271م •
نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والائماء ، تحقيق مصطفى جواد ، دار المارف بمصر ، القاهرة ، ب ت •

(32)ـ السمعاني (عبد الكريم بن محمد) ، ت 562هـ/ 1167م •
كتاب الانساب ، نشر وتقديم مرغليوث ز مطبعة المشرق ، طبعة حجرية ، لندن ، 1331هـ/ 1912م •

(33)ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) ، ت 911هـ/ 1505م •
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين غبد الحميد ، ط 2 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1378هـ/ 1959م •

(34)ـ الشهرستاني (ابو الفتح محمد بن غبد الكريم) ، ت 548هـ/ 1153م •
الملل والنحل ، ط 2 دار المعرفة بيروت ، 1395هـ/ 1975م •

(35)ـ الصولي ، (ابو بكر محود بن يحي) ت 335هـ/ 946م •
الاوراق ، ط 1 مطبعة الصاوي ، مصر ، 1353هـ/ 1934م •
أدب الكاتب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، المكتبة العربية ـ بغداد ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1341هـ/ 1922م •

(36)ـ الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) ، ت 310هـ/ 967م •
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد الفضل بن ابراهيم ، ط 3 ، دار المعارف بمصر ، 1399هـ/ 1979م • وط 1 ، المطبعة الحسينية ، القاهرة 1318هـ/ 1900م • (ج 10) •

(37)ـ ابن الطقطقي (محمد علي بم طباطبا) ، ت 709هـ/ 1309م •
الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، المطبعة الرحمانية مصر ، 1345هـ/ 1927م •

(38)— ابن طيفور (ابو الفضل احمد بن ابي طاهر)، ت 280هـ/ 893م.
بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المثنى، بغداد، 1388هـ/ 1968م.

(39)— ابن عبد ربه (ابو عمر احمد بن محمد)، ت 328هـ/ 940م.
العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402هـ/ 2982م.

(40)— ابن العبري (غريغوريوس) ت 685هـ/ 1286م.
تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، بدون تاريخ

(41)— ابن عساكر (ابو القاسم علي بن الحسين)، ت 571هـ/ 1064م.
التاريخ الكبير، تحقيق عبد القادر افندي بدران مطبعة الشام، 1330هـ/ 1911م.

(42)— ابن العماد (ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي)، ت 1089هـ/ 1678م.
شذرات الذهب، في اخبار من ذهب، تحقيق لجنة احياء التراث العربي دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الافاق بيروت، بدون تاريخ.

(43)— الغزولي (علاء الدين علي)، ت 815هـ/ 1412م.
مطالع البدور في منازل السرور، ط 1، مطبعة ادارة الوطن القاهرة 1300هـ

(44)— ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل)، ت 732هـ/ 1331م.
المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(45)— الفردوسي (ابو القاسم)، ت 411هـ/ 1020م.
الشاهنامة، ترجمة الفتح بن علي البنداري، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1350هـ/ 1932م.

(46)— ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني)، ت ؟
- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ/ 1885م.
- بغداد مدينة السلام، تحقيق صالح احمد العلي، ط 1، بغداد، دار الطليعة للطباعة والنشر باريس 1397هـ/ 1977م.

(47)— القالي (ابو علي)، ت 356هـ/ 967م.
كتاب ذيل الامالي والنوادر، المكتب التجاري بيروت، بدون تاريخ.

(48) ـ ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) ت 276هـ/889م •
ـ عيون الاخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، نسخة مصورة عن الطبعة دار الكتب المصرية ، 1393هـ/ 1925م •
ـ المعارف ، تحقيق ثروة عكاشة ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة 1388هـ/1969
ـ الشعر والشعراء ، وقيل طبقات الشعراء ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1320هـ/1902
ـ ادب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين ، ط4 ، مطبعة السعادة ، مصر 1382هـ / 1963م •
ـ الامامة والسياسة ، (منسوب اليه) ، ط3 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ، 1382هـ/ 1963م •
(49) ـ القزويني (زكريا بن محمد) ، ت 682هـ/ 1283م •
كتاب آثار البلاد ، نشر فرديناند وستنفلدن ، بريل ، 1368هـ/1948م •
(50) ـ القلقشندي (احمد بن علي) ، ت 82هـ/ 1417م •
ـ مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار الفراج ، ط 2 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1400هـ/ 1980م •
ـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة ، القاهرة ، 1383هـ/ 1963م •
(51) ـ القمي (الشيخ عباس القمي) ، ت ؟ ،
الكنى والالقاب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1376هـ/ 1956م •
(52) ـ الكتبي (محمد بن شاكر بن احمد) ، ت 764هـ/ 1355م •
فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1393هـ/ 1973م •
(53) ـ ابن كثير (عماد الدين ابو الفداء) ، ت 774هـ/ 1372م •
البداية والنهاية ، ط 1 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، والرياض ، 1386/ هـ
(54) ـ الماوردي ، (ابو الحسن علي بن محمد) ، ت 450هـ/ 1058م •
ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398/ هـ
ـ قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، ط 1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1399هـ/ 1979م •

(55) — المبرد (ابو العباس محمد بن زيد) ، ت 286هـ/ 899م .

— كتاب الفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، دار النهضة ، 1371هـ/ 1956م .

— كتاب الكامل في الادب ، تحقيق محمد ابو الفضل ، والسيد شحاتة ، دار النهضة ، مصر ، بدون تاريخ .

(56) — لمؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي) .

تاريخ الخلفاء ، نسخة مصورة عن مخطوطة وحيدة في موسكو ، سلسلة آثار الاداب الشرقية ، دار النشر "العلم" ، موسكو ، 1387هـ/ 1967م .

(57) — لمؤلف مجهول

العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1288هـ/ 1871م .

(58) — المرتضى (الشريف علي بن الحسين) ، ت 436هـ/ 1044م .

امالي المرتضى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1387هـ/ 1967م .

(59) — المرزباني (ابوعبد الله محمد) ، ت 384هـ/ 993م .

معجم الشعراء ، تحقيق كرنكو ، مكتبة القدس ، القاهرة ، 1354هـ/1935م .

(60) — المسعودي ، (ابو الحسن علي) ، ت 346هـ/ 1054م .

— مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط 3 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1377هـ/ 1958م .

— التنبيه والاشراف ، لجنة تحقيق التراث ، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت ، 1401هـ/ 1981م .

— اخبار الزمان ، ط 2 ، دار الاندلس ، بيروت ، 1386هـ/ 1966م .

(61) — ابن المعتز (عبد الله ابو محمد المعتز بالله) ، ت 296هـ/ 909م .

طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار الفراج ، ط 3 ، دار المعارف مصر ، 1375هـ/ 1966م .

(62) - المقدسي (المطهر بن طاهر) ، 507هـ / 1113م .
البدأ والتاريخ ، ط 2 ، مكتبة الازدي ، طهران ، 1386هـ / 1966م .
(63) - المقدسي (المعروف بالبشاري) ، ت 380هـ / 990م .
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق ديجويه ، ط 2 ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1324هـ / 1906م .
(64) - المقريزي (احمد بن علي) ت 845هـ / 1442م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير القاهرة ، بت ،
- المقفى . مخطوط ، نسخة مصورة ، مكتبة دكتور سهيل زكار ، الخاصة .
(65) - المقري (احمد بن محمد) ، ت 1041هـ / 1631م .
نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
(66) - ميرخاوند (محمد بن خاوند شاه) ، ت 903هـ / 1497م .
تاريخ روضة الصفا ، بالفارسية ، طبعة حجرية ، استانبول ، 1271هـ / 1854
(67) - ابن النديم ، (ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب) ت 236هـ / 850م .
كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، 1391هـ / 1971م .
(68) - النويري (شهاب الدين احمد) ت 733هـ / 1333م .
نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1375هـ / 1955م
(69) - وكيع (محمد بن خلف) ، ت 306هـ / 918م .
اخبار القضاة ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، ط 1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1366هـ / 1947م .
(70) - ابن الوكيل (يوسف بن محمد) ، بعد 1144هـ / بعد 1722م .
احسن المسالك لأخبار البرامك ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، قسم المخطوطات العربية ، رقم 2107 .
(71) - اليافعي ، (ابو محمد بن عبد الله) ، ت 768هـ / 1366م .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط 2 ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1390هـ / 1970.

(72) ـياقوت الحموي (شهاب الدين ابي عبد الله) ،ت628هـ/1144م .
معجم البلدان ،دار صادر ، بيروت ،1399هـ/1979م .
(73) ـ يحي بن آدم (القرشي) ،ت 203 هـ/818م .
كتاب الخراج ،تحقيق احمد محمد شاكر ،المكتبة العلمية ،بكستان
لاهور ،1395 هـ/1975م .
(74) ـ اليعقوبي (احمد بن اسحق ،ت 284 هـ/897م .
ـ كتاب البلدان ،مطبعة بريل ،ليدن ،1309هـ/1891م .
ـ مشاكلة الناس لزمانهم ،تحقيق وليم ميلورد ، ط2،
دار الكتاب الجديد ،بيروت ،1400هـ /1980م .
ـ تاريخ اليعقوبي ،دار صادر ،دار بيروت ،1379هـ /1960م .
(75) ـ ابو يوسف (ابو يعقوب بن ابراهيم) ،ت 182هـ /798م .
كتاب الخراج ،ط3، المطبعة السلفية ،القاهرة
1382هـ /1962م .

ثانيا: المراجع :

(1) — ابراهيم علي طرخان ،

نظام الاقطاع الاسلامي في العصور الوسطى الى نهاية العصر الايوبي ، رسالة جامعية قدمت لكلية الاداب ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1369هـ/1949م .

(2) — ادوارد بروو ،

تاريخ الحضارات ، ط5 ، بيروت ، 1387هـ/1967م ،

(3) — ارثر كريستنسن ،

ايران في عهد الساسانيين ترجمة يحي الخشاب ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ، 1377هـ/1957م .

(4) — احمد امين ،

ضحى الاسلام ، ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1392هـ/ 1972م .

فجر الاسلام ، ط11 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1395هـ / 1970م .

(5) — احمد زكي ،

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1356هـ/1937م .

(6) — احمد عادل كمال ،

جداول التقويم الميلادي المقابل للتقويم الهجري ، ط1 ، دار النفائس بيروت ، 1400هـ/1980م .

(7) — احمد الشايب ،

تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، ط2 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1373هـ/ 1953م .

(8) — احمد محمود حسنين ،

رسالة في تاريخ هارون الرشيد ، دراسة جامعية قدمت لجامعة الازهر ، 1346هـ/1927م ، مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل ، رقم 8099 .

(9) — احمد مختار العبادي ،

في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1392هـ/ 1972م .

(10) - احمد مختار العبادي ، السيد عبد العزيز سالم ،
في تاريخ البحرية الاسلاميةفي مصر والشام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر
بيروت ، 1401هـ / 1981 م .
(11) - لـ مينة محمدعلي بيطار ،
الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية
وحتى الفتح الفاطمي ، رسالة جامعية ، قدمت لكلية الاداب قسم التاريخ
جامعة القاهرة ، 1395هـ / 1975 م .
(12) - انيس المقدسي ،
امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ط1 ، المطبعة الادبية
بيروت ، 1351هـ / 1932 م .
(13) - بارتولد شبولر ،
تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، ط4 ، دار المعارف بمصر
1386هـ / 1966 م .
(14) - بدوي عبد الرحمن ،
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، (ترجمة لدراسات كبار المستشرقين) ،
ط4 ، نشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، و دار القلم بيروت ، 1400 / هـ
(15) - بلساييف (اي ، ا) ،
العرب والاسلام والخلافة العربية ترجمة انيس فريحة ، ط1 ، الدار المتحدة للنشر ،
ببيروت ، 1392هـ / 1972 م .
(16) - توفيق سلطان اليوزبكي ،
الوزارة (نشاتها وتطورها في الدولة الاسلامية ، 132-447هـ) ط2 ، موسسة
دار الكتب جامعة الموصل (العراق) ، 1396هـ / 1976 م .
(17) - ثريا حافظ ،
الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الاول . ط1 ، المملكة
العربية السعودية ، جدة ، 1402 هـ / 1982 م .

(18) - جاسم آل كلكاوي ،
البرامكة والعلويون، مطبعة آل البيت ، كربلاء ، 1384هـ / 1965م .
(19) - جرجي زيدان ،
تاريخ التمدن الاسلامي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
(20) تاريخ الادب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ .
العباسة ، سلسة روايات تاريخ الاسلام ، دار الهلال ، دار مكتبة الحياة ،
بيروت ، بدون تاريخ .
(20) - جميل نخلة المدور ،
حضارة الاسلام في دار الاسلام ، ط2 ، مطبعة المؤيد ، مصر ، 1323هـ/1905م .
(21) - جواتيان (س. د) ،
دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، ترجمة عطية القوصي ،
وكالة المطبوعات الكويت ، 1400هـ / 1980م .
(22) - حسن ابراهيم حسن ،
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الاول ،
ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1384هـ/1964م .
(23) - حسن احمد محمود واحمد ابراهيم الشريف ،
العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ط3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1393هـ/
(24) - حسن خطاب الوكيل ،
غبرة في ايام الرشيد ط1 ، مطبعة الجمالية ، مصر ، 1332هـ/1914م .
(25) - الخضري محمد بك ،
محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسية ، ط10 ، مطبعة الاستقامة ،
القاهرة ، بدون تاريخ .
(26) - خير الدين الزركلي ،
الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و
المستشرقين) ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1400 هـ/1980م .

(27) _ دانيـــال دينيت،
الجزية والاسلام ،ترجمة فوزي فهيم جاد اللهمنشورات دار مكتبة الحياة،مؤسســة فركـــلين ،بيـــروت، بدون تاريـــخ •

(28) _ دومنيك ســورد يــل جانيـــن ،
الحضارة الاسلامية في عصـــرها الذهبي ،ترجمة حسني زينة ،ط4، المكتبــة التاريخـــية ،دار الحقيقـــة ،بيروت، 1400هـ/1980 م •

(29) _ رمزية محمـــد الاطرقجـــي ،
بناء بغداد في عهد ابي جعـــفر المنصور،رسالة جامعية ،قدمت لجامعة عين شمس، مكتبة الجامـــعةرقم ، 1271_16754•

(30) _ زمـــــباور،
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريـــخ الاسلامي،مطبعة جامعة فؤاد الاول ، الـــــقاهرة، 1371هـ / 1951م •

(31) _ سامية توفـــيق عبد اللـــه ،
تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجـــري ، رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة، 1399 هـ/1979م ،مكتبة الجامـــعة قســـم الرسائـــل رقـــم 0917•

(32) _ سامية توفـــيق عبد الله ،
الحياة السياسية في خراســـان في بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الـــهجري ،رسالة جامعـــية قدمت لجامعة القاهرة ،مكتبة الجامعـــة ، قســـم الرســـائل رقـــم 02974•

(33) _ سامية محمود ابراهيـــم نصار،
الحركات المناهضة للخلافة العباســـية في الشرق اسلامي منذ قيامها حتى اوائـــل القرن الثالث الهجـــري ،رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة 1403هـ/1983م مكتبة الجامعـــة قســـم الرســـائـــل رقم 3782 •

(34) السيد احمد ابراهيم حمور،
هرون الرشيد وعصره بين حقائق التاريخ وشائعات المغرضين، رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر 1389هـ/1969م .. ، مكتبة الجامعة، قسم الرسائل، رقم 159/165 .

(35) سهيل زكار،
تاريخ العرب والاسلام منذ ماقبل الاسلام وحتى القرن السابع الهجري، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1401هـ / 1981م .

(36) سليمان محمد الطماوي،
عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الجديدة، دار الفكر، مصر، بدون تاريخ .

(37) شكري فيصل،
المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجري، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1398هـ / 1978م .

(38) شكري ابو خليل،
هرون الرشيد، ط3، دار الفكر، دمشق، 1401هـ / 1981م .

(39) شوقي ضيف،
الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط10، دار المعارف، مصر، 1398هـ/1968م

(40) ضيف الله بطانية،
العلاقات بين العباسيين والعلويين في العصر العباسي الاول، رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر، 1393هـ/1973م، رقم 1175 .

(41) صالح محمود سليمان صالح،
الشعوبية واثرها في الشعر العربي، رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر، مكتبة الجامعة قسم الرسائل رقم 628 .

(42) صبحي الصالح،
النظم الاسلامية (نشأتها وتطورها) ، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ/

(43) طاهر مظفر العميد ،
بغداد مدينة المنصور المدوّرة ، مطبعة النعمان ، النجف بغداد ، 1387/هـ
(44) عبد الجبار الجومرد ،
هرون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية) مطبعة دار الكتاب ،
بيروت ، 1376هـ/1956 م
(45) عبد الرحمن العمري ،
اثر الفرس السياسي في العصر العباسي الاول رسالة جامعية قدمت
لجامعة الازهر ، 1397هـ/1977م ، قسم الرسائل ، رقم 1247/1349 .
(46) عبد العزيز الدوري ،
الجذور التاريخية للشعوبية ، ط3 دار الطليعة بيروت ، 1401هـ/1981
مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1381هـ/1961
(47) عبد اللطيف الطيباوي ،
محاضرات في التاريخ العرب والاسلام دار الاندلس بيروت ، 1382هـ/1963م
(48) عبد الله فياض ،
تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد ، بغداد ، 1367هـ / 1948 م .
(49) عبد الله مهدي الخطيب ،
الحكم الاموي في خراسان (دراسة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ،
رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل ،
(50) عبد المنعم ماجد ،
تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة الرسالة
القاهرة ، 1382هـ / 1963 م .
العصر العباسي الاول او القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسين ،
(التاريخ السياسي) ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1399 هـ/1979م .
الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ط2 ، دار
الفكر العربي القاهرة ، 1387هـ/1967 م .

(51) عدنان مردم بك،
العباسة، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1388 هـ/1968 م ٥
(52) عزيز اباظة،
العباسة، دار المعارف، مصر، 1385هـ/1965 م.
(53) عمر رضا كحالة،
اعلام النساء في عالمي العروبة والاسلام، ط2، المطبعة الهاشمية، دمشق،
1378هـ/1959م .
(54) عمر فاروق،
طبيعة الدعوة العباسية، ط1، دار الارشاد، 1389هـ/1970م .
بحوث في التاريخ العباسي، ط1، دار القلم، بيروت،
و، مكتبة النهضة، بغداد، 1397هـ/ 1977 م .
ابو نواس، مطبعة الكشاف، بيروت، 1351 هـ/ 1933م .
(55) عمر محمد سعيد موعد،
نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد (132-656هـ) رسالة
جامعية قدمت لجامعة عين شمس، قسم الرسائل رقم 19142 .
(56) فائق مصلح،
طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الاول، رسالة جامعية، قدمت
لجامعة عين شمس، 1391 هـ/ 1971 م، قسم الرسائل، رقم 17398/7393/17371
(57) فان فلوتن،
السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية، ترجمة، حسن ابراهيم
و، محمد زكي ابراهيم ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1385هـ/1965م
(58) فتحي عبد الفتاح ابو يوسف،
احوال خراسان السياسية والحضارية من سقوط الطاهريين حتى بداية الحكم
الغزنوي، (259 - 389 هـ)، رسالة جامعية قدمت لجامعة عين شمس،
1401 هـ/1981م، قسم الرسائل رقم 25662-25664 .

(59) ـ فليب حتي ،
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، ط 2 ،
دار الثقافة ، بيروت ، 1392 هـ / 1972 م .
(60) ـ كارل بروكلمن ،
تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس و منير البعلبكي ،
ط 7 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1397 هـ / 1977 م .
تاريخ الادب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط 4 ، دار المعارف
القاهرة ، بدون تاريخ .
(61) ـ كلود كاهن ،
تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامراطورية العثمانية
ترجمة بدر الدين القاسم ، ط 2 ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1397 هـ / 1977 م .
(62) ـ محمد احمد برانق ،
البرامكة في ظلال الخلفاء ، دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ .
(63) ـ محمد امين غالب الطويل ،
تاريخ العلويين ، ط 3 ، دار الاندلس ، بيروت ، 1399 هـ / 1979 م .
(63) ـ محمد بديع الشريف ،
الصراع بين الموالي والعرب ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1374 هـ / 1954 .
(64) ـ محمد توفيق خفاجي ،
تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي
الى نهاية القرن الرابع ، رسالة جامعية ، قدمت لجامعة القاهرة ، 1386 هـ
1966 م ، مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل رقم 539 .
(65) ـ محمد جابر عبد العال الحيني ،
حركات الشيعة المتطرفين واثرها في الحياة الاجتماعية والادبية لمدن العراق .
ابان العصر العباسي الاول ، ط 2 ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1387 هـ / 1967 م .

(66)- محمد جمال الدين سرور ،

الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، ط4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1393هـ/ 1973م .

(67)- محمد سفر الزهراني ،

نظام الوزارة في الدولة العباسية ، مؤسسة الرسالة ، الرياض ، 1400هـ/1980

(68)- محمد ضياء الدين الريس ،

الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط4 ، دار الانصار ، القاهرة ، 1397هـ/ 1977م .

(69)- محمد فؤاد عبد الباقي ،

المعجم المفهرس للألفاظ القرآن ، مطبعة دار الكتاب المصرية القاهرة ، 1384هـ/1964م .

(70)- محمد عبد الحي محمد شعبان ،

الدولة العباسية (الفاطميون) ، دار الأهلية ، بيروت ، 1401هـ/ 1981م .

(71)- محمد عبد الرحيم الصديقي ،

النبراس ، ط1 ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1384هـ/ 1964م .

(72)- محمد عبد السلام الكفافي ،

في ادب الفرس وحضارتهم (نصوص ومحاضرات) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1391هـ/ 1971م

73)- محمد علي نصر الله ،

تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام ، ط1 ، دار الحداثة ، بيروت ، 1402هـ

(74)- محمد عمارة ،

المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر بيروت ، 1392هـ/ 1972م .

(75)- محمد كرد علي ،

امراء البيان ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، بيروت ، 1356هـ/7

(75)ـ محمـــــد كرد علي ،

امراء البيـــان ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1356/هـ

رسائل البلغاء ،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،1326/ هـ

(76)ـ محمد ماهر حمادة ،

المصادر العربية والمعربة ، موسسة الرسالة ، بيروت ، 1392هـ/ 1972م •

الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الاول ، ط 2 ،

موسسة الرسالة ، بيـــــــــروت ، 1401هـ/ 1981م •

(77)ـ محمد محمد شمس الدين ،

رسالة في تاريخ هرون الرشيد ،دراسة قدمت لجامعة الازهر ،1349/ هـ

1930م ،مكتبة الجامعة قسم الرسائل رقم 81.00•

(78)ـ محمد محمـدي ،

الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى ، منشورات اللغة

الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية ،بيروت ،1384هـ/ 1964م •

(79)ـ محمد مصطفى هدارة ،

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجـــري ،ط 2 ، دار المعارف

مصـــــــر ،1389هـ/ 1969م •

(80)ـ موريس لومبار ،

الاســـــلام في مجده الاول (القرن 8م ــ 11م / 2هــ 5هـ) ، ترجمـــة

وتعليق اسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1399/هـ

(81)ـ موسى سانـــــت،

ميـــلاد العصور الوسطى ،ترجمة حسين مونس ،محمود يوســـــــــف

زايــــــــد ،ط 2 ،دار القومية ،القاهرة ،1377هـ/ 1957م •

(82)ـ نورمان بينيـــــز،

الامبراطورية البيزنطيـــة ، ترجمة حسين مونس ،محمود يوسف زايد ،ط 2

الدر القوميـــة ،القاهرة ،1377هـ/ 1957م •

(83) - هاملتون جيـــــب،

دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس وآخرون، دار العلـــــم

للملايين، بيروت، 1384هـ/ 1964م.

(84) - يوليوس فلهوزن،

تاريـــخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الامويـــة

ترجمة، محمد عبد الهادي ابو ريدة، القاهرة، 1378هـ/ 1958م.

ثالثا : الدوريات

(أ) — العربية :

(1) — ابراهيم امين الشواربي ،
(مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي) ، مجلة كلية الاداب ، ج 7 ، (1364/ 1944م ، القاهرة) .

(2) — انستانس الكرملي ،
(السن واثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة) ، مجلة المشرق عدد 10 ، (1325هـ/ 1907م ، بيروت) .

(3) — صالح احمد العلي ،
(استيطان العرب في خراسان) ، مجلة كلية الاداب ، (1379هـ/ 1959 بغداد) .

(4) — عبد العزيز الدوري ،
(ماساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الآخيرة في دراسة التاريخ العربي حتى سنة 334هـ/) ، مجلة الابحاث ، عدد 12 ، (1379هـ/ 1959 بيروت)
(ضوء جديد على الدعوة العباسية) ، مجلة كلية الاداب ، (1381هـ / 1961م ، بغداد) .

(5) — عبد العزيز حميد ،
المسكوكات المزيفة في العصر العباسي) مجلة كلية الاداب ، عدد 22 ، (1398هـ/ 1978م بغداد) .

(6) — عبد الكريم البليخ ،
(الرقة ، مدينة الرشيد التي تغنى بها الشعراء) ، مجلة الدوحة ، عدد 69 ، 1404هـ/ 1983م قطر) .

(7) — عمر فاروق ،
(مصادر التاريخ الاسلامي) ، مجلة المكتبة ، عدد 62 (1388هـ/ 1968 بغداد) .

(7)ـ عمر فاروق ،

(نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة الثورة العباسية) ،مجلة كلية الاداب ، (1388هـ/ 1968م الرياض) •

الثورة العباسية ثورة عربيه) ،مجلة الشرطة ،عدد / 19/ 20، (1391هـ/ 1971م ، بغداد) •

(يعقوب بن داد و وزير الخليفة المهدي) ، مجلة كلية الاداب ،(1388هـ / 1968م ،بغداد) •

(8)ـ فريال داود المختار ،

د ور الطرز في مدينة الاسلام) ،مجلة المورد ،عدد 3 (1394هـ/ 1974 بغداد) •

(9)ـ لويس شيخو ،

(كتب عن البرامكة) مجلة المشرق ،ج1 ،(1316هـ/ 1898م ،بيروت) •

(10)ـ محمد بهجت الاثري ،

(الفضل بن الربيع) ،مجلة الجيل ،عدد 10(404-هـ/ 1984م ،بيروت)

(11)ـ محمد سعيد رضا ،

(الاثار السياسية والاجتماعبة لنظم المصادرات في العصر العباسي) ،مجلة كلية الاداب ،عدد 12(1397هـ/ 1977م ،البصرة) •

(12)ـ محمد كرد ،

(سهل بن هرون) ،مجلة المجمع العلمي العربي ،مجلد 7 ،ج1 (1346هـ/ 1927م ، دمشق) •

(13)ـ محمد ماهر حمادة ،

(المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة) ،مجلة كلية اللغة العربية ، عدد 9(1399هـ/1979م ،السعودية) •

(14)ـ نبيه عاقل ،

بعض احداث الدولة العباسية والدور العباسي الاول من خلال منظور عنصري واقتصادي واجتماعي) ،مجلة دراسات تاريخية ،عدد 4(1401هـ/ 1981م ،دمشق) •

- دائرة المعارف الاسلامية (1)،

(استعنت بمقالات بعض المؤرخين ومنهم

1- اوستروب OESTRUP. "(ابو العتاهية) ،ج1 ،ص377-378.

2- بارتولد BARRTOLD (ابو مسلم الخراساني) ،ج 1 ،ص403- 404.

3- بخنر BICHNER (الساسانيون) ،ج 11 ،ص 47-55.

4- بروكلمان BROKHELMAN (ابن خلكان) ،ج 1 ، ص 157- 158.

" " (ابونواس) ج1 ،ص 413- 415.

4- جولد زهير GOLDZHER (اهل الذمة) ،ج 3 ،ص 106- 9ج 10

7- رينه باسيه RENèe,B (ادريس العلوي) ج 1 ، ص 544-545.

8- ستريك STERCK (ارمينيا) ج 1 ،ص 637-671.

9- سير بولد SYRPOLD (بنو سراج) ج 11 ،ص 333.

10- شادا SCHAADA (ابوشيص) ج 1 ،ص 259-200.

.... وغيرها

---

(1) ترجمة لجنة من الاساتذة ،القاهرة 1352هـ / 1933م .

رابعاً المراجع الأجنبيـــة :-

1) AMAR DHINA,
GRANDS TOURNANTS DE L'HISTOIRE DE L'ISLAM DE LA BATAILLE DE BADR A L'ATTAQUE D'ALGER PAR CHARLES QUINT ,deuxième édition, S.N.E.D ALGER 1982

2) BERNARD LEWIS,
LES ARABES DANS L'HISTOIRE,traduit de l'anglais par ANNIE MESRITZ ,A LA BACONNIERE,NEUCHATEL SUISE,distribué en FRANCE par la société Française du livre PARIS - 7

3) BLANCHERE (R),
HISTOIRE DE LA LITTERATURE ARABE PARIS, 1958.

4) BOUVAT(L) ,
LES BARMACIDES D'APRES LES HISTORIENS ARABES ET PERSANS ,PARIS, 1912.

5) BROWN LIIERARY HISTORY OF PERSIA , LONDON-LEPCIX 1909.

6) CHARLES PELLAT,
IBN AL-MUQAFFA CONSEILLEUR DU CALIF, MAISONNEUVE ET LA ROSE, PARIS, 1976.

7) DOMINIQUE SOURDEL,
1) HISTOIRE DES ARABES,deuxième édition corrigée, QUE SAIS-JE? , PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, 1984.

2) LE VISARAT ABBASIDE DE 749 à 936 INSTITUT FRANCAIS. DAMAS 1959 -60.

8)DOZY , ESSAI SUR L'HISTOIRE DE L'ISLAMISME,TRADUIT PAR CHAUVIN 1879 LEYD - PARIS.

9) GABRIEL AUDISO,
LA VIE DE HAROUN-AL RACHID,7ième édition LIBRAIRIE GALLIMARD,1930 .

10) FRANCESCO GABRIELI,
LES ARABES,traduit par MARIE DE WASTER BUCHET- CHASTEL, Paris 1963.

11) LA HARPE, LE BARMACIDE, TRAGEDIE ,PARIS 1878
12) LA VOIX (M.HENRI). CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE NATIONALE,PARIS 1887.
13) NIKITA ELISSEFF,L'ORIENT MUSULMAN AU MOYEN AGE 622-1260 ARMAND COLIN,COLLECTION U PARIS 1977.
14) RENE GROUSSET,LES CIVILISATION DE L'ORIENT les éditions G. PARIS, 1929.
15)ROBERT FOSSIER, LE MOYEN AGE(les Mondes Nouveaux350-950) EDITEUR,ARMAND COLIN,PARIS 1982.
16) Ssheffer(ch), NOTICE SUR L'HISTOIRE DES BARMACIDES, (CHRESTOMATHIE PERSANE) PARIS, 1885.
17) CLAUD CAHEN, POINT DE VU SUR LA REVOLUTION ABBACIDE) REVUE HISTORIQUE, (1963 , PARIS).
18) DOMINIQUE SOURDEL,(La biographie d'Ibn AL MUKAFFA d'après les sources anciènne),BARAMICA, T1(1954)
19)QUATREME ET MARC, (Notes sur les Barmacides),JOURNAL ASIATIQUE 5iéme SERIE , N°17 (1861. PARIS).
20) MOSCATI, (LE CALIFAT D'ALHADI),REVUE,STUDIA ORIENTALIA N°13 , T4 (1946)
21) NADVI (S.S.), (THE ORIGIN OF THE BARMACIDE),ISLAMIC CULTUR N° 6 (1932).
22)VAJDA, (LES ZINDIQS EN PAYS D'ISLAM AU DEBUT DE LA PERIODE ABBASSIDE), R.O.5 (REVISTA DEGLIS STUDIO ORIENTALI), T.17 (1938).

فهرست الأعلام والأماكن

اولا ، الاعـــــلام

ابراهيم الفزاري ، ص358 ، 259 .

الاتليدي (مؤرخ) ، ص56 ، 22 ، 68 ، 71 ، 74 ، 269 ، 280 ، 281 ، 291 ، 200 .

ابن الاثير (مؤرخ) ، ص 15 ، 18 ، 20 ، 60 ، 62 ، 63 ، 65 ، 67 ، 68 ، 71 ، 73 ، 74 ، 75 ، 78 ، 79 ، 85 ، 86 ، 90 ، 96 ، 102 ، 104 ، 105 ، 106 ، 108 ، 109 ، 111 ، 112 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 119 ، 120 ، 122 ، 123 ، 125 ، 126 ، 228 ، 131 ، 132 ، 133 ، 136 ، 137 ، 144 ، 147 ، 150 ، 151 ، 155 ، 156 ، 161 ، 167 ، 168 ، 178 ، 237 ، 242 ، 244 ، 246 ، 247 ، 254 ، 255 ، 264 ، 266 ، 278 ، 284 ، 288 ، 296 .

الاربلـي (مؤرخ) ، ص18 ، 106 ، 107 ، 126 ، 130 ، 143 ، 150 ، 176 ، 177 ، 189 ، 237 ، 252 ، 284 ، 286 ، 290 ، 295 ، 296 ، 301 .

الازدي (مؤرخ) ، ص 105 ، 121 ، 126 ، 136 ، 160 ، 169 ، 188 ، 194 ، 210 ، 218 ، 230 .

اشجع السلمي (شاعر) ، ص289 ، 290 ، 215 .

الاصمـوـي (كاتب) ، ص212 ، 213 ، 264 ، 295 .

الاميـــن (خليفة عباسي) ، ص42 ، 126 ، 150 ، 151 ، 152 ، 154 ، 156 ، 194 ، 292 ، 297 ، 298 ، .

البغدادي (مؤرخ) ص107 ، 126 ، 127 ، 127 ، 130 ، 137 ، 143 ، 150 ، 154 ، 163 ، 189 ، [illegible] ، 287 ، 290 ، 297 .

تغري بردي (ابن)، (مؤرخ)، ص87، 96، 102، 110، 111، 118، 120،
122، 126، 130، 131، 132، 137، 151، 157، 160 ،
256، 281، 284، 291.

الجاحظ (كاتب)، ص5، 299، 318 .

الجهشيلري (مؤرخ)، ص 11، 29، 61، 77، 82، 87، 89، 90، 93، 95 ،
98، 99، 100، 101، 110، 113، 129، 130، 132، 140،
141، 145، 148، 150، 152، 153، 157، 160، 162،
168، 170، 173، 176، 178، 179، 182، 185، 187 ،
188، 189، 190، 195، 197، 206، 210، 235، 244، 250
256، 257، 265، 266، 278، 283، 286، 288، 289، 293.

جعفر (البرمكي)، ص 2، 4، 6، 9، 13، 19، 22، 23، 24، 26، 27،
30، 137، 138، 140، 145، 146، 147، 149، 153، 156،
157، 170، 173، 174، 175، 176، 191، 192، 194، 213،
214، 250، 256، 269، 271، 274، 275، 276، 277، 278،
280، 283، 284، 285، 289، 290، 291، 293، 299 ،
303، 304، 308، 317، 321، 324، 325 .

ابو جعفر (خليفة عباسي)، ص19، 37، 41، 90، 94، 96، 97، 99، 100،
102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 117،
129، 132، 149، 234، 236، 237، 252، 278، 282 .

خالد (البرمكي) ص 2، 18، 19، 20، 23، 37، 41، 60، 63، 67،
70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81،
82، 84، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 95، 97، 99،
100، 102، 103، 104، 105، 106، 106، 107، 108،
109، 177، 212، 213، 214، 220، 233، 234، 235، 236،
237، 238، 299، 306، 307، 309، 312، 319.

الطبري (مؤرخ) ، ص9، 16 ، 20، 22، 60، 61، 63، 65، 68، 71، 75 ،
78، 79، 80، 81، 85، 86، 90، 94، 95، 102، 103،
104، 105، 108، 109، 111، 112، 113، 114، 115، 116،
119، 120، 121، 122، 123، 125، 126، 127، 128، 130،
131، 132، 135، 139، 140، 141، 142، 144، 147، 148،
150، 151، 152، 154، 155، 156، 157، 160، 161، 167،
178، 178، 182، 187، 191، 192، 197، 232، 237، 239،
242، 243، 244، 246، 254، 255، 256، 257، 263، 276،
278، 289، 296، 218، 220، 314، 318.

الطقطقي (ابن) ، (مؤرخ) ، ص17، 88، 94، 96، 100، 103، 104، 106، 107،
108، 109، 111، 112، 116، 121، 134، 139، 150، 164،
168، 173، 189، 236، 369، 278، 282.

العباسة (اخت الرشيد) ، ص6، 9، 19، 22، 24، 26، 30، 274 ، 275، 276،
277، 278، 304 ، 308 .

عبد ربه (ابن) ، (اديب) ، ص9، 77، 96، 109، 142، 160، 166، 169، 189،
197، 201، 206 ، 230، 271، 273، 288، 336 .

عبيد الله (ابو) ، (الوزير) ، ص109، 110، 165، 239، 240 .

عثمان (بن عفان) ، 60 ، 162 ، 306 .

عمر (بن الخطاب) ، ص 162 ، 164 .

الفداء (ابو) ، (مؤرخ) ، ص 102 ، 103، 104، 114 ، 147 .

الفضل (البرمكي) ، ص 13، 14، 23، 37، 67، 104، 138، 139 ، 141، 142،
143، 144، 145، 146 ، 149، 151، 153، 157، 222، 239،
243، 244، 245، 256، 262، 265، 272، 278 ، 280 ، 284.

هرون (الرشيد) ، ص 2 ، 4 ، 5 ، 6 ، 14 ، 17 ، 18 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 27 ، 28 ،
30 ، 31 ، 33 ، 34 ، 35 ، 37 ، 38 ، 42 ، 88 ، 99 ، 100 ، 104 ، 110 ،
111 ، 112 ، 114 ، 115 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 125 ، 126 ،
127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 132 ، 136 ، 139 ، 142 ، 144 ، 146 ، 147 ،
148 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 157 ، 160 ، 163 ، 165 ،
166 ، 168 ، 169 ، 175 ، 176 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ،
184 ، 185 ، 186 ، 187 ، 191 ، 193 ، 194 ، 198 ، 200 ، 204 ، 208 ،
220 ، 225 ، 236 ، 239 ، 241 ، 245 ، 254 ، 261 ، 263 ، 267 ، 269 ،
272 ، 474 ، 276 ، 278 ، 279 ، 280 ، 281 ، 283 ، 284 ، 285 ، 286
287 ، 283 ، 289 ، 292 ، 295 ، 297 ، 307 ، 308 ، 312 .

ابن الوكيل ، ص 22 ، 33 ، 43 ، 56 ، 60 ، 69 ، 70 ، 88 ، 89 ، 93 ، 104 ، 107 ،
110 ، 118 ، 120 ، 121 ، 125 ، 139 ، 140 ، 142 ، 145 ، 146 ، 148 ،
177 ، 178 ، 180 ، 187 ، 189 ، 180 ، 192 ، 195 ، 197 ، 201 ، 204 ،
213 ، 219 ، 220 ، 226 ، 253 ، 237 ، 250 ، 278 ، 280 ، 296 ، 302 .

ياقوت الحموي ، ص 15 ، 50 ، 51 ، 52 ، 55 ، 56 ، 58 ، 70 ، 74 ، 78 ، 100 ، 102 ،
103 ، 105 ، 168 ، 179 ، 191 ، 243 ، 257 ، 259 ، 265 .

اليافعي (مؤرخ) ص 77 ، 134 ، 137 ، 139 ، 142 ، 145 ، 146 ، 178 ، 182 ، 243 ،
273 ، 274 ، 280 ، 288 .

يحيى (البرمكي) ، ص 5 ، 14 ، 23 ، 38 ، 100 ، 104 ، 105 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 ،
116 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 123 ، 126 ، 128 ، 130 ،
131 ، 132 ، 134 ، 135 ، 137 ، 139 ، 140 ، 142 ، 143 ، 145 ، 146 ،
147 ، 148 ، 150 ، 151 ، 152 ،

ثانيـــا ،الاماكـــــــن ،

ثالثا : الشعوب والمصطلحات

ملخّص
باللغة الفرنسيّة

الفهـــــــــرســـــت

الصفـــــحة